

الحركة اللغوية في الاندلس  
منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف

تأليف  
البحر حبيب مطلق

رسالة قدمت لنيل درجة استاذ في الآداب  
الى دائرة اللغة العربية  
الجامعة الاميركية في بيروت  
ايار ١٩٦٥

## ملخص

### الحركة اللغوية في الاندلس

منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف

جعلت دراستي هذه في مقدمة وخمسة فصول . المقدمة والفصل الاول في كتاب ، والفصلان الثاني والثالث في كتاب ، والفصلان الرابع والخامس في كتاب .

عالجت في المقدمة شئون المجتمع واللغة في العهد القوطي ، واهتصرت في ذلك على ما للمجتمع من اثر في حياة اللغة . وتحدثت عن الاجناس المختلفة في الاندلس بعد الفتح العربي . وتلك الاجناس هي ١- العرب ، وقد وصلوا الاندلس على موجات كل واحدة منها تسمى " طالعة " . وكان منهم القيسية واليعانية مما ادى الى نشوب نزاع عصبي كالذى كان في بلاد المشرق . ٢- البهر ، وكانت الجماعة الاولى منهم قد دخلت الاندلس مع حملة طارق بن زياد . ٣- السود ، وكانوا قلة ينتظمون في سلك الجندية . ٤- اليهود ، وقد كان لهم اثر فعال في استقبال المؤشرات النحوية العربية وطبع النحو العبرى بها . ٥- الموالي ، من ارتبط بالولاة مع البيت الاموي ، وبعض البهر ، وبعض من دخل في ولاء بني امية من اهل الاندلس . ٦- السكان الاصليون ، عجم الاندلس .

ثم صورت حال اللغة بين هذه الاجناس وطبيعة الاختلاط الذى نشأ مسن احتكاك اللغات المختلفة . وتعرضت بعدها الى توضيح مقام اللغة عند الاندلسيين ، وبينت اهتمام اهل هذه البلاد باللغة وشدة عنايتهم بتدريسها . ثم اجمعت العوامل الفعالة في تطور العناية باللغة في الاندلس .

وفي الفصل الأول تحدث عن بواكير الحركة اللغوية في الاندلس، وقسمت هذا الفصل الى ثماني نقاط رئيسية، اولا: نشوء طبقة المؤيدين للغويين المذيين اتخذوا من المساجد مكانا لتدريس اللغة. ثانيا: الرحلة ولقاء العلماء المشاركة، وقد دفع العلماء الى الرحلة انهم كانوا يشعرون بحاجتهم الثقافية الى علماء المشرق فارتحلوا اليهم وأخذوا عنهم وتوزعوا في مختلف البلاد الشرقية، وكثيرون اخذوا عن اكثر من عالم في اكثر من بلد. ثالثا: رحلة لغويين مشاركة الى الاندلس، ممن قصد تلك البلاد بقصد او بآخر. رابعا: هجرة الكتب الشرقية الى الاندلس، التي كانت تصل مع العائدين او مع المرتحلين من المشاركة. خامسا: النشاط الشفوي في ميدان اللغة، المتمثل بالمناظرات والمناقشات. سادسا: حركة التأليف اللغوي حتى اواخر القرن الثالث، ولم يكن للتأليف اللغوي شخصية المستقلة بعد وتتميز باتصاله بعلم الحديث. سابعا: أشهر المدرسين وتلاميذهم، وقد قمت بعمل ثلاثة جداول بينت فيها أشهر مجالس التدريس، وخلصت الى ان الطالب لم يكن يكتفي بمدرس واحد، وان بعض هؤلاء الطلبة صاروا في ما بعد علماء افاضاء. ثامنا: لم يكن هذا النشاط اللغوي النحوي وقفا على العناصر العربية.

اما الكتاب الثاني فهو يعالج الحركة اللغوية بالاندلس في القرن الرابع

الهجري، وهو يتألف من فصلين: الثاني والثالث.

اما الفصل الثاني فيعالج عوامل النهضة اللغوية ومظاهرها في هذا القرن.

وهي عوامل جديدة وقديمة.

أولاً - خطط العوامل الجديدة وهي :

- أ - استتباب الدولة وعلمها .
- ب - جهود الحكم في النهضة اللغوية ، وتشمل في :
  - ١ - إنشاء مكتبة عامة تابعة للقصر .
  - ٢ - حفز الهمم إلى التأليف واغداق العطاء على المؤلفين .
  - ٣ - التدقيق العلمي في الأصول اللغوية .
  - ٤ - الترجمة .
- ج - استقدام العلماء للعمل في قرطبة ، وأشهرهم وأبعدهم أثراً أبو علي القالي .
- د - المنصور بن أبي عامر وأثره في النهضة اللغوية . وقد حاول المنصور أن يقلد الحكم ، فاستقدم صاعداً من بغداد ، ولكن صاعداً لم يستطع أن يعحوّ أثر القالي ولا أن يحقق مثل نتائجه .

ثانياً - وأما العوامل التقليدية فهي :

- أ - الرحلة إلى المشرق ، التي استمرت في هذا القرن ، ولكن ليس بنفس القوة والاندفاع اللذين عرفتهما في القرن المنصرم .
- ب - ظل المؤدب يمثل دوره ، ولكن دخل الصورة علماء كبار من أمثال الزبيدي .

ثالثاً - المظاهر الكبرى التي تميز بها هذا القرن ، وهي :

- أ - ظهور الدارس اللغوي المتخصص ، من أمثال ابن سيّد .
- ب - المناظرات اللغوية النشيطة على مثال المناظرات التي عرفها المشارقة .
- ج - حركة التأليف واتساعها ، وقد قدمت تحتها باسماء المؤلفين وعددت ستة

وثلاثين مؤلفاً لهم وخلصت<sup>١</sup> الى عدد من النتائج .

وأما انصافُ الاندلس في الميدان اللغوي : وقد عالجت فيها رد ابن حزم الاندلسي على ابن الريب القيرواني ، حين رد ابن حزم داحضا حجة ابن الريب وبيننا طول بماع الاندلسيين في العلم .

وأما الفصل الثالث فقد خصصته لدراسة ثلاثة من أشهر اللغويين الاندلسيين في القرن الرابع ، هم الزهيد وابن القوطية والقالي . وقد عالجت حيات هؤلاء المؤلفين ، وذكرت مؤلفاتهم جميعها ، وفصلت القول في أهم هذه المؤلفات . فمما فصلت القول فيه الابي بكر الزهيد : طبقات النحويين واللغويين ، والاستدراك على سيبويه ، ولحن العامة ، ولابي بكر بن القوطية كتابه في الافعال ، ولابي علي القالي كتابه البارع والامالي .

وقد انتهت الفصل الثالث بتذييل اوردت فيه شيئا من أخبار اربعة وثلاثين عالما هم فارق من المشتغلين بالعلوم اللغوية ممن يعتبر نتاجا لهذا العصر بما فيه من مؤثرات وما تركه علماء الكبار من آثار .

وأما الكتاب الثالث والآخر : الحركة اللغوية بالاندلس في القرن الخامس الهجري ، فانه هو الآخر يقع في فصلين : الرابع والخامس .

ويتعلق الفصل الرابع بالعوامل المؤثرة في توجيه الحركة اللغوية في هذا القرن . وقد عالجت فيه خمس نقاط رئيسة :

اولا : اعطيت صورة موجزة للاحوال السياسية في هذا العصر ، واوزت السوان التغير الذي أصاب الجهاز السياسي وأثر هذا التغير في الدراسات اللغوية .

ثانيا : العوامل الجديدة التي اثرت في الحركة اللغوية ، وهي مما يمكن اجمالها في ما يلي :

- أ- الخصب اللغوي الذي اوجده القالي وتلامذته .
- ب- تعدد المراكز الثقافية على أصول الانقسام السياسي ، بحيث اصبحت كل عاصمة دولة من دول الطوائف مركزا من مراكز الأدب والعلم .
- ج- الاهتمام بإنشاء المكتبات ، فقد تعدى هذا الاهتمام نطاق الملوك والامراء الى الوجهاء من الناس والى افراد الشعب أحيانا .
- د - التسامح النسبي الذي ظهر في عصر ملوك الطوائف بالنسبة لدراسة العلوم القديمة .

ثالثا : الظاهرة النظرية في حياة اللغة ، وهي تتمثل :

- أ- في البحث في أصل اللغة ، وهل هي توقيف ام اصطلاح .
- ب- مشكلة الاشتقاق .
- ج- بطلان العلل النحوية .
- د - الصلة بين اللغة والشبهة .

وقد عالجت في هذه الظاهرة آراء ابن حزم الظاهري المذهب وآراء ابن السيد البطليوسي .

رابعا : بحث في صلة اللغة بالواقع العملي ، وابتها تتمثل في نواحي ثلاث :

- أ - وضع معلم اللغة ، وقد بينت الوضع الجديد للمعلم ، والخطر الذي صار

يتحدد مكانته ، ومثلت لذلك بهجوم ابن شهيد على المصنف شهيد على ابن  
الافليحي .

ب- وضع اللغة بين العلوم ، وبينت كيف ان دراسة اللغة ، نتيجة للظروف التي  
جذت ، قد اخذت تتلقى بعض الضربات .

ج- صلة اللغة بالحياة العملية ، وتسرب اللحن والخطأ الى السنة بعض المقرئين  
والمؤدين ، وارتفاع شأن العامية ارتفاعا كبيرا . ثم قيام حركة مضادة  
مترتبة تعتبر ثمرة لجهود القالي وصحبه في القرن السابق .

خامسا : العوامل التقليدية واثرها في الحركة اللغوية ، وهي العوامل التي سبق  
ان عالجتها والتي كان لا يزال تأثيرها فاعلا في الحركة اللغوية :

أ- الهجرة الى الاندلس ، وقد كان للهجرة اليها اسباب جديدة نشأت عن الوضع  
السياسي القلق في بلاد العرب الاخرى . وكان اشهر الراحلين ابو الفتح ثابت  
بن محمد الجرجاني .

ب- الهجرة من الاندلس ، وقد قل شأنها كثيرا عما كان عليه الامر في  
المراحل السابقة ، وقد اهتم الكثيرون من الراحلين بمؤلفات ابي العلاء المعري .

ج- التدريس واشهر المدرسين ، ومن هؤلاء ابن الافليحي والاعلم الشنتمري .

وأما الفصل الخامس والآخر فقد خصصته لأئمة المؤلفين في هذا القرن الخامس  
ولمؤلفاتهم . وقد استهلته بأحصاء للمؤلفين بعامية ولمؤلفاتهم ، وعددت ستة وخمسين  
مؤلفا لخمس عشرة مؤلفا ، وخلصت من دراسة ذلك الى ان التأليف يمثل اتجاهاين كبيرين :



أ - اتجاهٌ لشرح الكتب التي أصبحت عدةً دراسي النحو واللغة ، وهي ثلاثة أنواع ، ١ - شرح لدواوين شعوية ، كديوان المتنبّي وديوان المعري ، ٢ - شرح لمجاميع ، كديوان الحماسة والأشعار الستة ، ٣ - شرح " للمقررات " النحوية واللغوية مثل الجمل للزجاجي والنوادر للقبالي وأدب الكتاب والفهيم المصنف واصلاح المنطق .

ب - اما الاتجاه الثاني ، فهو في التأليف المعجمي . وقد فصلت القول في مثلين للاتجاه الأول وفي مؤلفاتهما هما : ابو عبيد البكري ، وكتابه فصل المقال والسالك ، وابن السيد البطليوسي وكتابه شج السقط والانتخاب . كما فصلت القول في ابن سيده ، مثالا للاتجاه المعجمي ، وفي معجمه المنص والمحكم .

وبعد فلقد كانت تلك دراسةً للحياة اللغوية الاندلسية ، في حقبة تزيد على اربعمائة عام مفعمةً بالسوان من النشاط الدائب . واعتقد انني حققت أمين رئيسيين مهمين :

أولاً ، كانت هذه الرسالة بناءً جديداً ، لم يتوكأ على بناء سابق ، فجاء حركة رائدة ، له ما للهداية من فضل التقدم والاستكشاف . وان تكن هذه الهداية قد اعطت البحث قيمة ، فانها قد زادت على صعوبة . فالى جانب عظم الفترة التي تغطيها دراستي فان جودة البحث قد كانت عاملاً شاقاً يتطلب التتبع الطويل في المصادر وجعل تصور الموضوع غايةً في الصعوبة . والواقع لم استطع ان احيط بالمصادر وان اتصور البحث على صورته الحالية الا بعد اطلاق واسع وبحث دائب وصل جاد امين ، لفترة طويلة من الزمن .



والأمر الثاني الذي اعتقد ان له هو الآخر أهمية بالغة ، انني بهذا البحث قد اسهمت في تصور جزء من تراثنا اللغوي ، وقدمت بحثا عن تاريخ اللغة في الاندلس ارجو ان يفيد منه الدارسون . ولعلني لا أبالغ اذا قلت ان اللغة في الاندلس جديرة أعظم الجدارة بالدراسة والوصف والتحليل والبناء . واذا كنت اقدم مثل هذا المجهود فانما ارد شيئا من الحق الحق الى اصحابه .

ولأول مرة في ما اعتقد - يتكامل بحث واحد ليبين دور المؤرخين في حياة اللغة بالاندلس ، وتأخذ بعين الجد والاستقصاء جهود المهاجرين من المشاركة والكتب المهاجرة من المشرق والرحلة في طلب اللغة ويتلمس نواحي النظرية اللغوية بالاندلس ، ويفصل القول في المؤلفات اللغوية الهامة واصحابها ويعطي للاندلس في الجانب اللغوي ما تستحقه من اهتمام وتقدير .

ولست أقول ان هذا هو جهد العقل ، فكل عمل علمي انما هو جهد العقل . واني لأرجو ان اكون قد اسهمت في ابراز حقبة غامضة من تاريخ حياتنا اللغوية ، واضفت الى مكتبتنا العربية ما يسد ولو فراغا بسيطا . فذلك على ضالة شأنه - يمنحني الرضى ، ويميزني بشجرة علمية متواضعة .

تمت

## تمهيد

تعالج هذه الرسالة تاريخ الحركة اللغوية في الاندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف (٩٢- حوالي ٥٠٠ / ٧١١- حوالي ١١٠٦). وهي فترة طويلة من الزمن استطاعت الاندلس خلالها ان تشارك في النهضة اللغوية، وان يكون لها نصيب واضح في الجهود اللغوية عامة . فبرز من علمائها جماعة من وقتت مؤلفاتهم على قدم المساواة مع المؤلفات المشرقية ، ومن هؤلاء الزبيدي وابن القوطية وابن سيده وآخرون ممن وقتت عندهم وعينت لهم أمكنتهم في تاريخنا اللغوي . وطبيعي ان هذه القسم قد سبقتها محاولات كثيرة درجت بها الاندلس من طور التكون والبناء الذي استمر حتى نهاية القرن الثالث الهجري الى طور الشباب والنضج في القرن الرابع ثم أخيرا طور الكهولة في القرن الخامس .

وتعد نهاية هذه الفترة معلما سياسيا وثقافيا فارقا في حياة الاندلس، ذلك ان سيادة الاندلسيين انفسهم قد تضاءلت عندما انتهت هذه الفترة واصبحت الاندلس ولاية تابعة للعدوة المغربية - ان صح التعبير - واصبحت الكوارث التي تحل بالاندلس تباعا شاغلة عن التفرغ الذي يهيىء للانتاج الاصيل . وليس في هذا انكار للاسهامات الاندلسية بعد هذه الفترة ، ولكنه سبب وجيه حدا بي الى ايثار هذه الوقتة عند نهاية العصر الذي يدعى في التاريخ الاندلسي " عصر ملوك الطوائف " .

والحياة اللغوية في الاندلس بعد هذه الفترة تمثل فصلا جديدا

بخصائصه - قوية كانت او ضعيفة - وربما تمكنت في المستقبل من رصد هذه الحركة حتى نهاية الحكم العربي في تلك البلاد . فهي على الرغم مما دهم الاندلس قد انجبت علماء أفذاذ من امثال ابن مضاء القرطبي وماحب نظرية العوامل .

وقد يلحظ قارىء هذه الرسالة كيف ان الحياة اللغوية في الاندلس قد تأخرت في نشأتها - بحكم الوضع الطبيعي للفتح والاستيطان - عن الحياة اللغوية في المشرق ، ولذا كانت بواكيرها تعتمد على المشرق اعتمادا كلياً ، ولكن المنهج الذى رآته اسلم المناهج في تناول البحث ، لم يمح لي التصدى للحياة اللغوية في المشرق على نحو منفصل لا في نشأتها ولا في تطورها ، فاللغة في المشرق وحركتها المتطورة قد تدخلت في بناء هذا البحث على النحو المتدرج الذى حققته في واقعها الهلي . ولذلك وجدت من المناسب ان ارسد المؤثرات المشرقية حسب التطور الزمني دون ان افردا بالبحث والنظر في فصل مستقل بذلك . ثم ان تاريخ اللغة في المشرق قد حظي بالعناية وكتب فيه بعض أفذاذ الدارسين ، فهناك كتاب " العربية " للاستاذ يوهان فوك ، وكتاب " اللغة والنحو " للدكتور حسن عيون ، فالوقوف عند تاريخ طويل للغة في المشرق لا يعدو في مثل هذا البحث ان يكون تلخيصا لجهود الآخرين ، وقد اغنانني عن ذلك ان كنت ، كلما وجدت ذلك ممكناً ، أشير الى العلاقات بين المشرق والمغرب ، وإلى أثر اللغويين المشاركة في اللغويين الاندلسيين ، وأبين طبيعة هذه العلاقات من تتبع وتلخيص ومعارضة ودراسة وتعلمد . وانني لأعتقد انني قد أعطيت صورة واضحة لأثر المشرق في الدراسات اللغوية الاندلسية ، ولم اغضط المشرق حقه في ما قدمه للاندرلس من خدمات ، تتغل في العلماء المهاجرين والكتب المهاجرة ورحلات الطلاب الاندلسيين الى المشرق ، وكذلك لم أحاول

أن أعطي للأندلس في ميدان اللغة أكثر مما تستحقه من تقدير .

ولا بد لي - وأنا في معرض الحديث عن أعداد هذا البحث - أن أذكر الصعوبة التي لاقتها في بناء بحثي متدرجا متاسكا . فقد حاولت جهدي أن أجعله صورة لوحدة عضوية نامية ، وكان أشق ما عانيته كون هذا البحث في بناءه العام جديدا أحاول وصف لبنائه لأول مرة . فان انشغالي بالبناء قد استغرق من جهدي الشيء الكثير الذي كان يمكن أن يصرفني لولاء الس تعمق في تصور التيارات الكبرى ، واذن لتكثرت من أن أجلس بعض الجوانب جملة يبعث على مزيد من الرضى والانتعاش . ولكنني لست نادما أن كان هذا البحث ريادة في المجهول أو شبه المجهول ، إذ انني اليوم ، بعد أن عشت مع هذه الرسالة أكثر من ثلاث سنوات مفعمة بالجهد الدائب والعمل المتواصل ، أحس بأنني قد أقمت بناء سليما في جملته . وهذا لا يعني انني توصلت الى الكمال - فما بعد ذلك من جهود بني الانسان - بل انني لأرحب بكل توجيه يسدد خطواتي في هذه السبيل الشاقة .

وقد كانت قصتي مع المصادر قصة طويلة مضية ، فان المسادة مبعثرة في كتب التراجم والتاريخ والفقه . وقد زاد في هذه الصعوبة انني لم أجد من المعالم ما يهديني الى الجادة ، اعني انه لم تكن هناك دراسة موجهة تعينني على تتبع المصادر المفيدة . وكمن من مرة حسبتني أفوز بشيء ينير لي الطريق وكنت اخذ من القراءة صر اليدين كما بدأت . وليس هذا تعبيرا عن الاسف وانما هو تعبير حقيقي عما يصادفه المرء في بحثه من فناء وشقة .

ويتصل بحثي هذا بكتب ما تزال مخطوطة . وقد واجهتني صعوبة بالغة في الحصول على المخطوطات التي يمكن ان تفيديني ، رغم اني حاولت جهدي للحصول عليها . واني لأعدني سييء الحظ ان بعض جوانب هذا البحث ظلت معتمدة لعدم الحصول على المخطوطات اللازمة ، وان كنت استدركت جانبها كبيرا منها . وهذه الصعوبة بالذات تجرني الى الشكوى من القصور الشديد الذي تعانيه مكتبتي في ما يتعلق بالمصادر القديمة ذات الأهمية والخطر .

وقد حاولت جهدي ان تتصل هذه الدراسة اتصالا وثيقا بالمصادر الأصلية ، لكي تكون اشدّ المأما بالمنهج العلمي . ولم اعتمد ممن المراجع الا الموثوقة التي اتخذت سبيلها لتكون معتمد الدارسين والباحثين . واقتصرت من هذه المراجع على عدد ضئيل ككتاب فجر الاندلس للدكتور حسين مؤنس ، والمعجم العربي للدكتور حسين نصار ، وما كتبه برونفسال وببييرا وغيرهما من الباحثين الثقات .

وكان يمكن لهذا البحث ان يستوعب دراسة خطيرة ، هي دراسة العمامة الاندلسية . ولكن منعني من ذلك أمران هامان ، اولهما ان مثل هذه الدراسة يمكن ان يفرد لها بحث خاص ، وثانيهما ، وهو الأهم ، ان العمامة الاندلسية قد تأثرت بالاسبانية القديمة تأثرا واضحا مما يجعل حديثي عنها ، وأنا اجهل الاسبانية القديمة ، امرا لاحقا بالمستحيل . واود لو ارى من تيسرت له سبل هذا البحث ومقوماته ان يقوم به خدمة لتراتسما وحياتها اللغوية بخاصة .

وأود ان أشير هنا الى منهجي في الدراسة انني قد اخترت هذا المنهج بعد تأمل وتعقق شديدين في طبيعة الحياة اللغوية عبر قرنين أربعة . ولقد حاولت ان اظهر بوضوح اتجاهات هذه الحركة اللغوية وتطورها خطوة فخطوة . واعتقد ان هذه الخطوة قد سمحت بتبيان التيارات العامة من جهة وسمحت بابرار التطور الذي واجهته الحركة منذ بدايتها ، مع دخول العرب الى الاندلس ، حتى الفترة التي جعلتها حدا لنهاية دراستي .

وقد حاولت ان تكون هذه الدراسة متكاملة ليس فيها فجوات ولا تشوش ولا خلل عن الموضوع مما لا يفيد في اثراء العمل العلمي . ولهذا تراني لم أحفل كثيرا بالعقيدات الطويلة التي أراها معتد الدارسين في هذه الايام ، فمثلا لم اتحدث عن السياسة الا في المواطن الضرورية للغاية ، وحيث كانت السياسة ذات أثر فعال في توجيه الحياة اللغوية ، وعندئذ كنت اجزاكثر ما يمكن الايجاز .

وأخيرا كلمة مودة وامتنان وتقدير لاستاذي الكريم الدكتور احسان عباس ، لما جاني به من عطف صادق ، ورعاية اخوية مخلصة ، ولما قدم لي من وقته وعلمه وخبرته . ولقد كان لدقته العلمية البالغة ومنهجه الصارم في البحث ولأبائيه البيضا ، الأخرى التي لا تحصى أبلغ الأثر في هذه الرسالة ، وفي حياتي العلمية بكامة .

كما انني اتوجه بالشكر العميق للاخوة والاخوات الذين ساعدوني في اخراج دراستي هذه ، وأخص بالذكر منهم الاوانس سلمى صموري وسملوى صايمنج وسيميرة خوري والمهدين ادوار مطلق ورفيق مطلق .

وأرجو ان اكون قد أسهمت في ابرار حقبة غامضة من تاريخ



حياتها اللغوية ، وأضفت الى مكتبتنا العربية ما يسدّ فراغا ولو بسيما .  
 فذلك - على ضالة شأنه - يمنحني الرضى ، ويميزني بشرة علمية  
 متواضعة .

## الكتاب الاول

الحركة اللغوية بالاندلس  
حتى اواخر القرن الثالث الهجرى

## مقدمة

- ١ - حالة المجتمع واللغة في العهد القوطي
- ٢ - الاجناس المختلفة في الاندلس بعد الفتح العربي
- ٣ - حال اللغة بين هذه الاجناس المختلفة
- ٤ - مقام اللغة عند الاندلسيين
- ٥ - عوامل فعالة في تطور العناية باللغة في الاندلس

## ١ - حالة المجتمع واللغة في العهد القوطي :

كانت اسبانيا قبل الفتح العربي تحت حكم القوط الغربيين Visigoths وهم من القبائل التوتونية التي اجتاحت الامبراطورية الرومانية في اواخر القرن الرابع الميلادي ، واستطاعوا عند سقوط الدولة الرومانية الاستقلال بحكم اسبانيا ( ومعها أجزاء من فرنسا ) في القرن الخامس تحت زعامة " يوريك " ( ٤٦٢ ) متخذين مدينة طليطلة عاصمة لهم . وكان القوط أقلية لا يتجاوز عددها ٢٠٠ ألف نسمة في بلاد يبلغ سكانها ٩ ملايين (١) . وكانوا يختلفون عن السكان المحليين من ناحيتين ، (١) أنهم يدينون بعبدة آيوس أي لايعتقدون بالوهمية المسيح ولا يجعلون للمذراء مكانا ممتازا في العقيدة . (٢) أنهم يتكلمون لغة جومانية بينما يستعمل السكان لفظة رومانية او لاتينية عامة . ولذلك فانهم من الناحية الدينية وجدوا بعد فترة من الزمن ان لا بد لهم من التخلي عن الآهوسية واعتناق الكثرة ، وهذا اصبحت الكاثوليكية مذهبها رسميا في اسبانيا منذ عهد الملك هيكاردو عام ٥٨٧ (٢) ، وبعد هذا التحول اعتبرت اللغة اللاتينية لغة رسمية في البلاد ، واصبح ولاء القوط للبابوية شديدا ، واصبحت طليطلة مركزا لاسقية كبيرة يقيم فيها اسقف كبير يمثل البابا ونفوذ (٣) . وقد كان المنتظر بعد هذا التحول - في اللغة والمذهب - ان تتصهر الفروق القائمة في المجتمع الاسباني حينئذ ، وتقرب اسبانيا من الوحدة الثقافية والاجتماعية ، ولكن عوامل أخرى كانت تعمل عليها في المجتمع فتجعل الانصهار مستحيلا ، من ذلك (١) اقرار الفوارق الاجتماعية بين الطبقات ، فقد تكونت مسن

(١) Henri Terrasse, Islam d'Espagne p. 3.

مشار اليه فيما بعد باسم " تراس "

(٢) فجر الاندلس : ٩ وتراس :

(٣) المصدر نفسه : ٩

العائلات القوطية وكبار رجال الدين واشراف العهد الروماني طبقة ارسقراطية تتمتع بامتيازات لا حصر لها . (٢) اقلّ الفوارق بين الاجناس والاديان ولذلك اضطهد اليهود - مثلاً - بشدة ، حتى انهم لشدة ما لحقهم من اضطهاد ذهبوا القيام بشورة عامة قبل سبعة عشر عاماً من الفتح العربي (١) . (٣) نظام الاقطاع الذى جعل قسماً كبيراً من الناس وقيق أرض أو عبيد يعملون لاسعاد الاقلية الغنية (٢) .

ويرسم دوزى صورة قاتمة لحال اسبانيا في أيام القوط ، ومعارضه مؤرخون آخرون فيؤكدون ان اسبانيا تحت حكم القوط كانت تتمتع بالرخاء والرفاهية (٣) . ويحمل دوزى على رجال الدين لانهم كانوا ضالعين مع السلطة الحاكمة لا يهتمون الا بما يتعلق بهم ، وأنهم لم يحاولوا انعاش الطبقات المضطهدة من كهوتها ، ولا علوا شيئاً لتحسين أحوال الناس ، الا القليل منهم (٤) . ولكن ليس من همي وأنا ادرس الجانب اللغوى ، أن أصور الوضع الاجتماعى الا بمقدار تأثيره في حياة اللغة . فقد أصبحت اللغة اللاتينية هي لغة الثقافة حينئذ ، وكان الناس يتكلمون لغة رومانية دخلتها بعض اللفاظ من أصل جرمانى بحيث يصور موضعها من اللغة أثر الفاتحين (٥) . وعلى هذا الأساس الثقافى - اللغوى في أساسه - وجدت حضارة علمية اسبانية مركزها الاديرة والمدارس الدينية ، وكانت اشبيلية من أهم مراكز هذه الثقافة واليهما ينتمى ايزيدور الاشبيلي ( - ٦٣٦ م ) ، الذى قام بدور الوسيط في نقل الفكر اليونانى الى الرومانى

(١) R.Dozy : Spanish Islam p. 227.

(٢) المصدر نفسه : ٢١٧ .

(٣) انظر مثلاً Maurice Legendre, Nouvelle Histoire d'Espagne pp. 73 seq.

(٤) Spanish Islam p.222 seq.

(٥) تراس : ١١

الى القرون الوسطى . ومن اهم آثاره كتاب له في الاشتقاق اللغوي<sup>(١)</sup> ، ومعنى هذا أن اسبانيا لم تكن دون معالم ثقافية حيية دخلها العرب ، واذا كان لنا ان نلاحظ المظاهر القوطية في حياة اسبانيا بعد الفتح العربي ، فيجب أن نتطلع الى طبقة " المستعمرين " الذين ظلوا يحافظون على لغتهم الرومانسية وهي التي أصبح العرب يسمونها " صجية الاندلس " ، وعلى الثقافة الاينيدوية وعلى طراز الابنية القوطية<sup>(٢)</sup>.

## ٢- الاجناس المختلفة في الاندلس بعد الفتح العربي :

أ- العرب : كان الجيش الذي دخل به طارق الى الاندلس (١٢ هـ = ٧١١ م) يبلغ اثني عشر ألفا اكثرهم من البهر وليس فيه من الجند العربي الا قلة ضئيلة ، وتزايد عدد البهر الداخلين الى الاندلس عندما نجح طارق في مهمته ، يقول الرازي حسب نقل المقرئ : " وتسامع الناس من أهل بر العدو بالفتح على طارق بالاندلس وسعة المغانم فيها ، فأقبلوا نحوه من كل وجه ، وخرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر فلقوا بطارق وارتفع أهل الاندلس عند ذلك الى الحصون والقلاع ، وتهاهبوا من السهل ولحقوا بالجبال " (٣) وهذا النص يعني ان عدد البهر المهاجرين ازداد في أثناء الفتح ، وان كان لا ينبغي أن هناك عربا دخلوا معهم في تلك الفترة ، ثم لحق موسى بن نصير بطارق في جيش عربي يبلغ اثني عشر ألفا ، يسمى هؤلاء " الطالعة الاولى " من العرب ، ثم كانت طالعة بلج

(١) قراس : ١٤ ، وفجر الاندلس : ٢٩

(٢) قراس : ٢٣

(٣) نفح الطيب : ١ : ٢٤٣ ، وفجر الاندلس : ١٢٢

ابن بشر القيسي (١٢٣ = ٧٤١) وهي تضم عشرة آلاف من الشاميين القيسية ، وقد سمي الذين استقروا قبل طاعة بلخ باسم البلديين تمييزا لهم عن المهاجرين الشاميين الجدد ، كما ان البلديين كان معظمهم من اليمنية (١). غير أننا يجب أن نقدر أن هجرة العرب في عهد الولاة والعهد الأموي لم تقتصر على هذه الأعداد ، بل كان هناك إقبال عام على الهجرة ، يقول المقرئ : " فاعلم أنه لما استقر قدم أهل الإسلام بالاندلس وتنام فتحها صرف أهل الشام وغيرهم من العرب وساداتهم معهم إلى الحلول بها ، فنزل بها من جرائيم العرب وساداتهم جماعة أورثوها أعقابهم " (٢) .

ويمثل العرب الاندلسيون الانتساب إلى كل من القحطانيين والعدنانيين - أي عرب الجنوب وعرب الشمال - إلا أن القحطانيين كانوا أكثر عددا (٣) ، ويضم هؤلاء القحطانيون قبائل الأزد والأنصار - " وكان جزء الأنصار بناحية طليطلة وهم أكثر القبائل بالاندلس في شرقها وغربها " (٤) - وجذام وتجب وزدى وعين وكلب ، ومنهم خزيمةيون حلوا بمرسية وغرناطة وإشبيلية وطليطوس وقربلة ، . . . وهم كثير بالاندلس (٥) ، ويضم عرب الشمال من ينتسبون إلى قريش خاصة أو إلى كنانة عامة ، ومن ينتسبون إلى قيس عيلان أو للقبائل المتفرعة من قيس عيلان مثل سليم وهوازن وكلاب ونمير ومن ينتسب إلى ربيعة مثل أسد والنمر بن قاسط وتغلب وبكر ، وكان من قبائل تمهم خلق كثير بالاندلس (٦) .

- 
- (١) انظر فجر الاندلس ، ٣٥٦ .  
 (٢) نفح الطيب ١ : ٢٧١ وفجر الاندلس : ٣٦٨ .  
 (٣) النفح ١ : ٢٧٤ .  
 (٤) المصدر نفسه ١ : ٢٧٥ .  
 (٥) المصدر نفسه ١ : ٢٧٩ .  
 (٦) المصدر نفسه ١ : ٢٧٢ وانظر تفصيل ما أورده المقرئ عن العرب الذين استوطنوا الاندلس ٢٧١ - ٢٧٩ .



وقد درس الدكتور حسين مؤنس ظاهرة استيطان العرب في الاندلس دراسة تفصيلية يحق أن أجعلها معتمداً في هذه المقدمة ، لما لها من قيمة في توضيح البيئة العنصرية والاجتماعية التي تكونت فيها الجهود اللغوية ، قال : " ونستطيع ان نقول بصفة عامة ان العرب استقروا على طول خطوط الفتح الاولى ، فنرى منازلهم تنتشر ابتداءً من الجزيرة الخضراء ، وتسلو معظم المنطقة الواقعة جنوب نهر شنيل وحوض الوادي الكبير ، ثم تكثر بصورة ظاهرة في اقليم اشبيلية ، وتستمر على طول الوادي الكبير وفرومه . وقد اقليم اشبيلية تنتشر منازل العرب في نفس الاتجاه الذي سار فيه موسى ، وتكثر في نواحي أونية ولبلبة واجة ، وتصل حتى بظلموس ثم نواحي طليطلة وطليلطة فوادي الحجرة وقلعة أيوب ودروقة وحوض امبره الاوسط حول سرقطة في منطقة واسعة تشمل حوض نهر جليق Gallego ونهر الحمة Rio Alhama . ومن أحواز قرطبة يمتد خط مرسي آخر ، على طول طريق طارق بن زياد حتى طليطلة ماراً بقلعة رباح . ومن حوض الوادي الكبير انماح العرب شرقاً ، فسلخوا نواحي ما يعرف عادة بشرق الاندلس ، وهي نواحي بلنسية وتدمير (مرسية) ولقت والمرة ومالقة " (١) .

وسرى الدكتور مؤنس أيضاً أن العدنانية والقحطانية لم يتخذ أى منهم ناحية ينفرد بالسكنى فيها الا في القليل من المواضع (٢) ، وقد رسم جدولاً بتوزيع القبائل في كل ناحية ، دلّ على أن الكتلة اليمنية كانت أقوى في نواحي اشبيلية وفرب الاندلس وان اليمنيين كانوا كثيرين في <sup>أقاليم</sup> لقلعة البيرة وفرناطة وجيان وأن غالبية من نزلوا سرقطة هم من الخرج وعذرة وقضاعة وتجب وكعدة وجذام وهي كلها قبائل يمنية وأن مرسية وطليليرة

(١) فجر الاندلس : ٣٧١

(٢) المصدر نفسه

وبلنسية غلب عليها عرب الشمال . أما قرطبة فقد نزلها من كل قبيلة من العرب وظل العنصر العربي طوال عصور الاندلس غالبا على اشبيلية واستجة وريسة وقسبة والجزيرة الخضراء والبحيرة وجيان ومالقة وتدمير وسرقطة وشذونة وقرونة ولبلة وباجة وأونبة<sup>(١)</sup>. أما العرب الذين نزلوا الريف فقد اتخذوا لانفسهم حصونا يحتصمون فيها مثل قلعة يحصب (قلعة بني سعيد) في اقليم فوطاة وقلعة خولان (بين الجزيرة الخضراء واشبيلية) ، ومنهم من انشأ قرى كاملة ظلت تحمل أسماء أصحابها كمنزل طي جنوبي مرسية ودار ملي شمالي قرطبة<sup>(٢)</sup> ، وكان هؤلاء العرب يقدون رجالا لا نساء معهم فيمتزجون من نساء غير عربيات ، ولذا فان الاجيال الثامنة منهم ربما جاز اعتبارهم مولدين<sup>(٣)</sup> .

ب - البحر : رأينا منهم الفوج الذي دخل مع الفتح ، ثم تلك الانفواج التي سارعت الى الصحرة لما سمعت من نجاح طارق في فتوحاته ، ولترب انبيتها من الاندلس كان كثير من البحر يهاجرون اليها أملا في ظروف معيشية أكثر ملائمة<sup>(٤)</sup> . وكان البحر في بداية الاستيطان أكثر عددا من العرب ولعلمهم في البداية أيضا اتحدوا مع العرب وعرفه الفتيان معا باسم البلديين ضد الشاميين المهاجرين ، وكان أكثرهم من قبائل مطفرة ومديونة ومكاسة وهوارة أو ما يسمى " السهتر"<sup>(٥)</sup> ، ثم جاءت الهجرات التالية بأناس من فرع " البرانس" ، وقد درس سيزار دويلر منازل البحر في الاندلس من مراجعته لاسماء المواضع البهرية ، وأكثر هذه

(١) فجر الاندلس : ٢٧٢ - ٢٧٥

(٢) المصدر نفسه : ٢٧٦

(٣) المصدر نفسه : ٢٧٦

(٤) Levi Provencal : Histoire de l'Espagne Musulmane, vol.3 p.168.

(٥) فجر الاندلس : ٢٧٦ - ٢٨٠

الاماكن التي اكتشفها تقع في البرتغال <sup>(١)</sup> . هذا الثبت الذي أورده ابن حزم في  
الجمهورية من بهوتات البحر في الاندلس على أن أسراء الشجر كانوا منهم ، أى أن معظم  
سكان النواحي الشمالية كانوا من البحر . وهذه المجموعة التي ذكرها ابن حزم تكون  
خطا واحدا " يبدأ من نواحي جبال البرت عند لاردة ووشقة ثم ينحدر الى ناحية  
مدينة سالم (قاعدة الشجر الاوسط فيما بعد ) فقد نزلها بنو سالم من البرانس وأعطوها  
اسمهم ، وسكن الى جوارهم بنو الفرج وبنو عوسجة . وفي الدائرة الواسعة التي تحيط  
بمدينة سالم والتي تضم شنتبة والسهلة ووادي الحجارة نجد كتلة بهمية ضخمة تعمر  
هذه النواحي كلها الى أحواز طليطلة ٠٠٠ وتمتد هذه الكتلة البهمية شرقا فتشمل  
تيروال حيث نزل بنو غزلون وناحية الجونيت حيث نزل بنو قاسم ثم تتصل هذه السلسلة  
البهمية ٠٠٠ فتشمل مناطق طليطلة (جنوبي طليطلة ) واردة وقوية بين التاجه والدوير ، ثم  
تصل الى ساحل المحيط عند قلنيرة " <sup>(٢)</sup>

ويقول الاستاذ لافي هروفتسال في حديثه عن البحر : " وقد اضطربهم العرب  
في اكثر الاحايين على الاقامة في المرتفعات مما جعلهم قليلي الحظ والنعمة ، وصاروا  
معرضة للقط والجفاف اللذين نزلا في بعض السنين مما حمل بعض جماعات من هؤلاء  
البحر على العودة - طوعا أو كرها الى اقلية " <sup>(٣)</sup> يناقش الدكتور مؤسس هذه  
الدهوى فيذهب الى أن الاقامة لم تكن مدروسة وانما كانت قائمة على العصادفة ، ولم  
ان الفتح سار في طريق غير التي سار فيها لما تكاثرت العرب حيث تكاثروا <sup>(٤)</sup>.

(١) انظر فجر الاندلس : ٣٨١ - ٣٨٢

(٢) فجر الاندلس : ٣٨٤

(٣) هروفتسال ٣ : ١٦٨

(٤) انظر فجر الاندلس : ٣٨٧ - ٣٨٩ ، والصفحة : ٣٧٠

جـ - السود : وكانت في الاندلس عدا العرب والبربر

جماعة من السود ، وقد ظل عددهم قليلا وظلوا يعملون في الجندية .

د - اليهود : كذلك كانت هناك جماعات من اليهود

واقعة تحت الاضطهاد في أيام القوط ، وهم من الفئات التي رحبت بالفاطحيين وتعاونت معهم وقد ظلوا يتمتعون بمركز طيب في أكثر العصور وبلغ بعضهم في العصور التالية درجة الوزارة ، وعمل كثير منهم أطباء في بلاطات الأمراء ، بل ان حركة بعث اللغة العبرية والاسب العبري بدأت في اسبانيا تحت رعاية الحكام الاندلسيين ، وكان بعض علماء المسلمين يعينون اليهود على انشاء نحو لغتهم ، واستعرب اليهود منذ زمن مبكر فاخذوا لغة العرب وأنهاهم (١) .

هـ - الموالي : وكان في الاندلس جماعة كبيرة من الموالي

وكان أهمهم أولئك الذين ارتبطوا بالولاة مع البيت الأموي ومنهم ناس من البربر أنفسهم ، وقد زادت أعدادهم في الاندلس زيادة عظيمة وكثروا بعد سقوط الدولة الأموية في المشرق ، كما دخل في ولاء بني أمية عدد كثير من أهل الاندلس وقد كانت رابطة الولاة هذه التماسا لشرف المنزلة ، وقد اعتمد عليهم عبد الرحمن الداخل كثيرا في ارساء حكمه وظل أمراء بني أمية يحلونهم المراكز الممتازة في الادارة وغيرها ومن عائلات الموالي المشهورة بنو شهيد وبنو فطيس وبنو حدير وبنو منمث (٢)

و - السكان الاصليون : وهناك السكان الاصليون

(١) Levi Provencal, Hist. vol. 1 p. 80 - 81.

(٢) انظر فجر الاندلس : ٢٩٦ - ٤١٣

وهم يسمون " عجم الأندلس " أو " عجم النمة " (١) فمن أسلم منهم أطلق عليهم " المسالمة " أو " الأسالمة " وأولاد هؤلاء " المسالمة " يسمون " المولدين " ، وأما من بقوا على دينهم فهم " نمة " أو " معاهدة " أو " المعاهدين " - أي من لهم عهد من المسلمين - وسع الزمن أخذ عدد الذمة يتناقص ويكثر عدد المسالمة والمولدين ، ولما زار ابن حوقل الأندلس في خلافة عبد الرحمن الناصر كان ما يزال عدد الذميين والمعاهدة كثيرا ، قال : " وبالأندلس غير ضئيلة فيها ألوف من الناس لم تمدن وهم على دين النصرانية ، روم ، وربما عصا في بعض الاوقات ولجأ بعضهم الى حكن فطال جهادهم لانهم في غاية العتو والتسرد . . . . " (٢) . ويقول بروفنسال في وصف فئات المسالمة والمولدين : " هؤلاء المسلمون الجدد زاولوا نفسي القرى تربية المواشي والزراعة ونفي السواحل الصيد والصناعات البحرية بينما كانوا في المدن يقومون هم والموالي بالحرف والتجارة ، وهذا كله يبين الدور القوي الذي قام به المولدون في ميدان الاقتصاد العام للبلاد وهم يشكلون القسم الأكبر من سكان الأندلس وقد برهن الاميون على أفضل سياسة وأحكمها عندما ساعدوهم على الاقتناء وسمحوا لكثير منهم بالاقتناء والتغلغل في المجتمع الاسلامي . . . . . وكانت سياسة اللين لا سياسة القهر هي المتبعة في نشر الاسلام ، وما لبثت هذه السياسة أن اشهرت وأمدت النظام الاموي بجماعة كبيرة من ذوي القمم العليا الذين استطاعوا

(١) أطلق على هؤلاء لفظ " المستعربين " Mozarab وهو لقب يظهر ابتداء من القرن الحادي عشر الميلادي ، وذلك تمييزا لنصارى الأندلس عن غيرهم ممن نصارى قشتالة والفرجة ، اذ كان نصارى الأندلس مستعربين حقا في الثقافة واللغة وأسايب الحياة ، وكانت صلواتهم تقام بلغة خاصة هي عجمية الأندلس وهي خليط من الرومانية القديمة واللاتينية الدارجة والقوطية والعربية ، ولكن عرب الأندلس لم يستعملوا هذه اللفظة " المستعربين " (انظر فجر الأندلس ص: ٤٢٥ - ٤٢٨) .

(٢) صورة الارض : ١٠٦

باستقامتهم - غير مرة - أن يفضوا الخلافات السياسية التي كانت تشب بين العناصر المهاجرة من عرب وبرابرة ٠٠٠٠ وليس ثمة ما يمنع أن يؤكد أنه إذا كانت الاندلس منذ القرن الحادي عشر قد تألقت في ميدان الفكر فانها كانت مدينة بذلك الى هؤلاء المولدين " (١) . ويعدد بروفنسال اسما مولدين ظلوا يحتفظون بأسمائهم القديمة بعد اسلامهم مثل بني شبيق Savarico وبني القبطنة Kabturno وبني مرتسين Martin وبني اللونقة Longo وبني توس Comes وبني قرلمان Karluman وغيرهم (٢) .

### ٣ - حال اللغة بين هذه الأجناس المختلفة :

في التقاء هذه الأجناس المختلفة صورة هجيرة على التصور لما يمكن أن تكون عليه حال اللغة واسطة التقاء بينها جميعا ، ولذا لابد من أن يخطو الدارس في أناة شديدة كي يأمن مواقع الزلل وهو يحاكم الروايات القليلة التي وصلت من تلك الاوضاع اللغوية . ولا بد أن أقدر بادئ ذي بدء ما يمكن أن يعد تحصيل حاصل ، ولكني انما اقرره للخروج منه بنتائج معتمدة ،

١ - حين دخل العرب الى الاندلس جاءوا معهم بلغتهم العربية ، ولكن هؤلاء العرب كانوا ينتمون الى قبائل مختلفة ، وتغلب عليهم الصفة الهمنية ، ولذا كانت لغة الحديث بينهم على تفاوت يحير ، وان اجتمعوا جميعا حول اللغة القرآنية ، وخاصة حين تكون الكتابة تعبيراً عن تلك اللغة .

Levi Provencal, Hist. vol. 3 pp. 180 - 81

(١)

(٢) المصدر نفسه : ١٨٤

٢ - وأدخل البربر لغتهم البربرية ، على أن نذكر أن قدم مهدم النسبي بالاسلام جعل اللغة العربية لديهم لغة الدين والكتابة ، فاذا كانوا يتحدثون فيما بينهم باللغة البربرية ، فقد كان تفاهمهم مع زملائهم الفاتحين بالعربية أسرا طبعيا ، ويقول هرونسفال : " ومنذ القرن التاسع لم يعد أحد يتكلم باللغة البربرية بالاندلس (١) الا في نطاق بعض بلاطات ملوك الطوائف المنتهين الى أصل بربري كهني زهري الصنهاجيين بغرناطة ، وسوف تعود اللغة البربرية الى الظهور في اسبانيا عند قدوم اللُمُونِيَّين (المرايطين) . غير أن البربر كانوا أشد من غيرهم خضوعا لأثر البيئة الأندلسية ، فقد اجتهد معظمهم في التعرب ، وارتبطوا بمن يجاورهم من السكان الاصليين بالصهر والقراة وأخذوا من أسمايتهم الاسبانيات لغة الحديث فكانوا أسرع اندماجا في بيئتهم الجديدة (٢)

٣ - وليس هناك ما يشير الى أن اليهود قبل الفتح العربي كانوا يستعملون اللغة المبرية في غير الطقوس الدينية ، فلما جاء الفتح كانوا من أسرع الفئات تعربا ، حتى نشأت بينهم في عصر ملوك الطوائف حركة بعث اللغة العبرية .

٤ - وأما السكان الاصليون فكانت لهم لغتهم الخاصة بهم تلك اللغة التي كانت دارجة بينهم قبل الفتح وهي اللغة التي يقول فيها الاستاذ مئذت بدال : " أن اللغة التي كان يتكلمها أهل ايبيريا قبل القرن الحادي عشر الميلادي لا يمكن تعرفها الا على وجه التقريب ، نظرا لقلة الاصول التي يعتمد عليها ، وكل ما يمكن قوله انها كانت تضم ألفاظا قليلة من لغة القوط ، أما بقيةها فكانت لهجات مختلفة مسن

Levi Provencal Hist. vol 3. p. 169.

(١)

(٢) فجر الاندلس : ٣١٥ - ٣١٦



اللاتينية العامية "Latin Vulgar" (١) هذه اللغة هي التي سماها العرب عندما سمعوها "العجمية" أو "عجمية أهل الأندلس"، وهي اللغة التي كان يحسنها "الذمة" و "المسالمة" كما ظل يحسنها "المولدون" و انضاف اليهم عدد من البربر والعرب ولكنها لم تنبثق على نقائها الأول بعد الاختلاط بالعناصر المهاجرة، وخاصة وأن العرب من هؤلاء دخلوا البلاد دون زوجات واتخذوا نساءهم من أهل البلاد.

٥ - فالعجمية إذن هي لغة السكان الاصليين، وتحديد طبيعتها أمر صير فهل هذه العجمية هي نفس اللغة التي أصبحت لغة الحديث بعد دخول العرب، يقول الدكتور مؤنس: "وبديهى أن أولئك جميعا (يعني فئات العرب) لم يعودوا يتكلمون العربية في حياتهم العادية بعد الجيل الثاني، فقد غلبت عليهم في المخاطبة والمعاملات لغة أهل البلاد، اختلطت بها لغة الغرب ونشأت عن ذلك "عجمية أهل الأندلس" أو "اللطينية" كما يسميها ابن حزم" (٢) أما أن لغة العرب اختلطت بها فشيء بديهي، وأما أن نتيجة هذا الاختلاط هو ما يسمى "عجمية أهل الأندلس" فأمر يدعو إلى التوقف، لانا نعلم أن عجمية الأندلس هي ما كان موجودا قبل الاختلاط، ولأن مثل هذا القول يجعلنا ننسى حركة "الاستعراب" القوية، وهذه الحركة تعني أن السكان الاصليين تعلموا اللغة العربية بسرعة، وأصبحوا قادرين على التفاعل مع السادة الجدد، واذن فلا بد أن نسبة العناصر العربية في اللغة الناشئة من هذا اللقاء كانت أكبر من نسبة العناصر غير العربية، وإذا صح هذا التقدير كان من لقاء اللغتين لغة ثالثة هي "العامية العربية الأندلسية" لا "العجمية".

(١) Ramon Menendez Pidal: Orígenes del Español  
(3ª ed.) Madrid 1950.-)

مقدمة الكتاب، وقد ورد هذا في فجر الأندلس ص: ٤١٧ حاشية (١)

(٢) فجر الأندلس: ٣٧٧

واذن فاذا سلطنا ان البربر في الاندلس لم يتمسكوا طويلا بلغتهم نرى أن هناك ظاهرة فريدة في اللغة بالاندلس اذ هي تقوم على ثلاثة مستويات : لغة عجمية فيها قليل من الالفاظ العربية ، لغة عربية هي أداة الكتابة والانشاء ، ولغة دارجة عامية معظم الفاظها عربي وقد دخلتها بعض الالفاظ العجمية ، وهذه الثالثة هي التي كانت لغة الحديث اليومي ، وهي التي تتمثل من بعد في الازجال الأندلسية . وهذا لا يعني أن العربي لم يكن يحسن " اللغة العجمية " أو أن المولد ذا اللغة العجمية لم يكن يستطيع الكتابة باللغة العربية . ولكن لا بد من أن نفترض وجود عامية قريبة الشبه بالعربية والا لم نفهم ما يرد في المصادر مصدرا بمثل يقول العامة كذا ومن أمثال العامة كذا - مما هو عربي عامي دارج ، وبه أيضا نفهم كيف يمكن أن تكون الازجال الأندلسية شيئا آخر غير الذي تعنيه العجمية .

٦- ولا بد أن حركة " الاستعراب " كانت قوية وخاصة بين الاجيـال الناشئة ، وهذا هو الذي تعبر عنه صرخة الفارو حين قال : " ان اخواني المسيحيين يستمتعون بقصائد العرب وحكاياتهم فهم يدرسون مؤلفات علماء الكلام والفلاسفة المسلمين لا لينقضوها وانما ليحرزوا أسلوبا عربيا صحيحا ناصعا . أين تجد اليوم بين الناس من يقرأ التعليقات والشرح اللاتينية على الكتاب المقدس ؟ أين من يدرس الاناجيل والاسفار وأمال الرسل ؟ والأسماء ان الشبان المسيحيين المتميزين بمواهبهم لا يعرفون أدبا سوى الأدب العربي أو لغة سوى العربية وهم يدرسون الكتب العربية بنهم وانتان ويجمعون منها مكتبات كاملة مهما تبلغ تكاليفها ، وهم يتفننون بمحاسن الأدب العربي في كل مكان . فاذا ذكرت لهم الكتب المسيحية أشاحوا معرضين وقالوا انها لا تستحق اهتماما ، يا للحسرة ! لقد نسي المسيحيون لغتهم وما تكاد تجد واحدا في كل ألف يستطيع أن يكتب الى صديقه رسالة بلغة لاتينية سليمة فاذا كان الامر كتابة

العربية فما أكثر من يستطيعون التعبير عن نفوسهم بتلك اللغة في براعة عظيمة بل هم ينظمون اشعارا تتفوق في صحتها الشكلية على ما ينظمه العرب أنفسهم (١). وقد يقال إن الثارو في هذا كان مغاليا في حاسته ، وأنه كان دأبة للعودة إلى اللاتينية ولذلك فهو يفرق في الانحاء على <sup>معنى</sup> الثقافة العربية رجاء أن يلفتت الناس بقوة النذير ، وقد يقال ان هذا كله ينصب على اللغة المكتوبة ، وكل هذا حق ، ولكن كيف يمكن أن تكون عملية الاستعراب بهذه القوة ، ثم تظل " معجبة الاندلس " هي اللغة الوحيدة المحكية في البيت والشارع وفي كل ناحية من نواحي الحياة اليومية ؟ ذلك أمر من العسير تقبله ، واذن فلا بد أن تكون لغة الحديث اليومي عربية في معظمها مشوبة بقسط من الالفاظ والتراكيب المعجبة .

٧ - ولم تكن " معجبة الأندلس " مفهومة لدى جميع العرب حتى مطلع القرن الثالث (أى بعد ما يزيد على مائة عام من الاستيطان ) ذكر الخشني أن القاضي سعيد بن سليمان (في زمن عبد الرحمن بن الحكم ٢٠٦ - ٢٣٨) <sup>٨٢١ - ٨٥٢</sup> قضى في المسجد إلى أن مضى صدر النهار ثم قام منصرا إلى داره فلما هم بدخول الدار فإذا به والد نصر الفتى مقبلا وأمرانه بين يديه ، وكان أصمى اللسان فصاح على البعد بالمعجبة كلموا القاضي يثبت علي أكله ، فقال القاضي قولوا له بالمعجبة ان القاضي قد أدركته الملالة والسامة (٢) . فهذا قاض يفصل بين الناس ومن المنتظر أن يكون بين شهوده أناس ممن لا يحسن الا المعجبة ، وكذلك بين المترافعين اليه ، ولكنه يقول : قولوا له بالمعجبة (أى ترجموا له ما أقول ) فهو لا يحسن التكلم بها . أما أن بعض الشهود كانوا أحيانا ممن لا يحسنون الا المعجبة فثابت من نص آخر

Dozy, Spanish Islam p. 267.

(١)

(٢) قضاة قرطبة : ١٦

أيضا

أورده الخشني<sup>١</sup> اذ قال : " وكان حينئذ بالمدينة شيخ أعجمي اللسان يسمى ينير وكان مقبلا عند القضاة مقبول الشهادة مشهورا في العامة بالخير وحسن المذهب، فأرسل فيه الوزراء وسألوه عن القاضي فقال بالعجمية : ما أعرفه الا أنني سمعت الناس يقولون انه انسان سوء ، وصفوه باللفظ العجمي " (١) . ونتقدم قليلا في الزمن الى أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن ( ٢٣٨ - ٢٧٣ / ٨٥٢ - ٨٨٦ ) فنجد قاضيا آخر يفهم الكلام بالعجمية ويتحدث بها ، وذلك هو سليمان بن أسود ، فقد كان في وقته رجلا من العدول يعرف بابن عمار يتردد الى مجلسه ولا يقوم الا اذا قام القاضي ، " وكانت لابن عمار بغلة هزيلة تلوك لجامها طول النهار على باب المسجد قد أضناها الجهد وفيها الجوع ، فتقدمت امرأة الى القاضي فقالت له بالعجمية : يا قاضي انظر لشقتك هذه . فقال لها بالعجمية لست أنت شقتي ، انما شقتي بغلة ابن عمار التي تلوك لجامها على باب المسجد طول النهار " (٢) .

وعلى مر الزمن أصبحت هذه العجمية مفهومة لدى الاكثية من الناس، لا لانها لغة التخاطب ، بل لان ظروف الحياة الاندلسية اقتضت هذه السلامة بين الاجناس المختلفة بحيث يفهم كل فريق لغة الفريق الآخر ، وخاصة وان المرأة التي تسيطر على حياة البيت لم تكن في الغالب عربية . ولهذا ما نكاد نصل الى عصر أمراء الطوائف حتى نجد قبيلة بليّ العربية شاذة من بين القبائل اذ يذكر ابن حزم : " أنهم لا يحسنون الكلام باللطينية ، نساؤهم ورجالهم " (٣) ، وذكر النساء في هذا النص هام جدا لانه يدل على أن رجال قبيلة بليّ لم يتزوجوا من النساء الحرائر والجراري

(١) قضاة قرطبة : ٨٤ والحديث عن القاضي يخامر الذي ولي القضاة

سنة ٢٢٠ / ٨٣٥ .

(٢) المصدر نفسه : ١١٨

(٣) جمهرة الأنساب : ٤١٥ (الطبعة الاولى)

الاجنبيات، ومن ثمّ ظلت العربية وحدها لسانا لهم، ومثل قبائل بني سكان شلب وقراها - وأكثرهم من عرب اليمن - فقد ظلوا يحافظون على اللغة العربية الصريحة الى عهود متأخرة (١).

وعرب بني الذين ذكرهم ابن حزم كانوا يسكنون شمالي قرطبة أي أنهم من أهل الأرياف، وهذا وجه الغرابة في عدم احسانهم الكلام " باللطينية " وكذلك هو وجه الغرابة في محافظة قري شلب نفسها على صريح اللغة العربية، ذلك أنه يجب أن نقم فرقا بين المدن والريف في شئون اللغة، فإذا كانت العامية العربية شائعة في المدن، فإن الأرياف قد غلبت عليها لهجة عجمية مشوبة ببعض العربية، أولا لاشتراك العناصر العربية فيها في شئون الحياة الزراعية وتأقلمها تدريجيا، وثانيا لقلة الثقافة اللغوية الا لمن يستطيع الرحلة الى المدن، ولذا لا يستبعد شيوع العجمية الاندلسية في الأرياف والبادي بالاندلس، وذلك هو ما يذهب اليه الاستاذ لثي بروفنسال حين يقول: " ومن الطبيعي أن يكون ذلك ( أي غلبة الرطانة الاسبانية ) أظهر في الأرياف منه في المدن " (٢).

٨- هل هذه " اللطينية " التي يتحدث عنها ابن حزم هي " عجمية الاندلس " ؟ لقد ذكرت من قبل رأي مننث بدال في أن هذه العجمية كانت لهجات مختلفة من اللاتينية المحلية فيها ألفاظ قليلة من لغة القوط، وعندما ذكر ابن حزم تلك اللغة التي سماها " اللطينية " ذكرها في معرض كلامه عن لغة الحديث، غير أنه ذكر اللغة اللطينية في كتابه " التقريب لحد المنطق " فقال مرة: " على أن

(١) السروض المعظار : ١٠٦

Levi Provencal, Hist. vol.1 p577.

(٢)

السؤال بما والسؤال بأي قد يستويان في اللغة العربية وينوب كل واحد من هذين اللغتين من صاحبه ويقعان بمعنى واحد ، ومن أحكم اللغة اللطينية عرف الفرق بين المعنيين اللذين قصدنا في الاستفهام ، فان فيها للاستفهام من العام لفظا غير لفظ الاستفهام عن أبعاد ذلك العام ببيان لا يختل على صاحبه أصلا " (١) . وقال في الحديث من الكمية ، " وهذه عبارة لم تعط اللغة العربية غيرها وقد تشاركها فيها الكيفية ، وهذا يستبين في اللغة اللطينية عندنا استبانة ظاهرة لا تختل ، وهي لفظة تختص بها الكمية دون سائر المقولات العشر وللکيفية أيضا في اللطينية لفظ يختص بها اختصاصا بينما لا اشكال فيه ، دون سائر المقولات لا يوجد لها ترجمة مطابقة فسي العربية " (٢) . فهنا احتكام الى لغة ذات قواعد وأصول ، وأكبر الظن أن ابن حزم لم يعن باللطينية هنا ما عناه حين تحدث من قبائل بلي ، فاللطينية هنا - فيما يخيل السي - لغة مكتوبة ، الا اذا افترضنا أن الفرق بين العجبة المحكية والاخرى المكتوبة فرق ضئيل أو معدوم ، وعندئذ نستطيع أن نقول في اطمئنان ان هذه العجبة لم تغلب عليها عناصر دخيلة بحيث تصبح رطانة دارجة .

١ - ويقول الأستاذ نكل ان هذه الاعجبة تمثلت في ثلاث لهجات كبرى وهي الارغونية والبلنسية والقشتالية (٣) ، ويبدو أن هذه اللهجات لم تكن متباعدة احداها عن الاخرى ، وأن نصارى قرطبة كانوا - لاجادتهم العجبة - يستطيعون فهمها والترجمة عن يتحدث بها وهذا يبدو واضحا في تاريخ الوفود الاجنبية على سلاط قرطبة ففي سنة ٢٦٠ / ٩٧١ وفد بون فليو سفير بيل Borrell حاكم امارة برشلونة

(١) التقريب : ١٥

(٢) المصدر نفسه : ٥٢ وانظر أيضا ص ٥٤

(٣)

على الحكم المستقر ، فجلس الحكم لاستقبال الوفد يوم السبت لاربع خلون من شهر رمضان من العام المذكور وتوجه في رسل بهل بن شير : جمهور بن الشيخ في قطع من الجند معه النفر من كبار النصارى بقرطبة المترجمين فقاموا بالترجمة عنه اليهم وعرض اليه (١) . وفي موضع آخر ذكر ابن حيان هؤلاء المترجمين وفيهم أصبغ بن نبيل قاضي نصارى قرطبة واسمهم عيسى بن منصور وقومهم معاوية بن لب ومطران اشبيلية عبيد الله بن قاسم (٢) . كذلك قام هؤلاء المترجمون بدور الترجمة عندما تلقى الحكم رسل حلونية صفة الطائفة أمير جليقية وفي هذه المرة فقد القاضي أصبغ بن عبد الله بن نبيل ما كان له من حظوة لدى الخليفة لانه لم يحجم عن أن ينقل عن الرسل كلاما فيه بعض الجفاء في مخاطبة الخليفة وأمر بصرف الرسل وتوبيخهم وأوصى ابن أصبغ عن قضاء النصارى (٣) . وهذه المواقف جميعا تدلنا على أن بعض نصارى قرطبة كانوا يحسنون الترجمة عن وفود تشالة وبرشلونة وجليقية وإذا لم يكن هؤلاء الترجمة من المتوسعين في اللغات كان من الحق أن نفترض أن معرفتهم بهذه اللهجات كانت ناشئة عن قربها من العجمية " الأم " . ويجب أن نلاحظ جلال المناصب التي كان يحتلها هؤلاء المترجمون بحيث لا نفترض أنهم كانوا يتخذون من الترجمة مهمة خاصة ، ثم ان اختيارهم من نصارى قرطبة دليل على ان اتقان " العجمية الأم " لم يكن أمرا ميسرا لغيرهم من المسلمين ، ولو لم يكن الأمر مقاما رسميا خلفنا لاستطعنا القول أيضا ان الحكم ويطانته لم يكونوا يعرفون من " العجمية " ما يمكنهم من التفاهم المباشر مع هؤلاء الرسل الاجانب .

١٠ - ولنا في الفقرة بين هذه العجمية ولغة الحديث التي سميت " فامية "

(١) . المقتبس : الورقة ٢ (نسخة مدريد)

(٢) المصدر نفسه : الورقة : ٢٣

(٣) المصدر نفسه : الورقة : ٨٨



ما نستنتج من قول ابن بسام في حديثه عن عل الشاح في الخرجة : " يأخذ اللفظ العامي والعجمي ويسميه المركز " (١) فهنا نوعان من اللفظ أحدهما يسمى عجميا والآخر يسمى عاميا ، ونحن نعرف ما تبقى من موشحات أن الخرجات الاعجمية شي غريب عن العربية ، وإن خالطته أحيانا ألفاظ مأخوذة من لغة العرب ، كما نعرف خرجات عامية ، ألفاظها عربية كلها وليس فيها لفظة واحدة أعجمية .

وقد حدثتنا المصادر عن بعض خصائص هذه العامية العربية فأنبأنا ابن حزم أن العامة قد بدلت الألفاظ في اللغة العربية تهديلا هو في البعد من أصل تلك الكلمة كلفة أخرى ولا فرق فنجدهم يقولون في العنب : " العنب " ، وفي السوط : " أسطوط " وفي ثلاثة دنائير : ثَلَاثَدَا (٢) . وقال غيره انهم يقولون في التين : " تَيْن " وفي النوتي : " نَوْتِي " وفي القبيط : " قبيد " (٣) . واختلفت هذه اللهجة العامية في منطقة أندلسية دون أخرى فكان أهل شرق الاندلس يفتحون أول الكلمة من نحو " الحوت " و " المود " وينطقون بالتاء طاء ويلحقون آخر الصغر لاما مشددة مفتوحة في المؤنث مضمومة في المذكر وهاء ساكنة (وهي اداة التصغير اللاتينية) فيقولون في تصغير حوت : " حوطله " و " حوطله " (٤) ، بل اختلفت بين المدينتين المتقاربتين أحيانا ، يقول ابن حزم : " ونحن نجد من سمع لغة أهل فحص البلوط - وهي على ليلة واحدة من قرطبة - كاد أن يقول انها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة " (٥) ويورد ابن حزم تعليلا لهذا بقوله : " فانه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تبدل لغتها

(١) الذخيرة ٢ / ١ : ١

(٢) الاحكام ١ : ٣٢

(٣) تنقيح اللسان : الورة : ٤ نقل عن تاريخ الادب الاندلسي ١ : ٢٠

(٤) بغية الوعاة : ٢٨٣

(٥) الاحكام ١ : ٣١

تبديلا لا يخفى على من تأمله " (١) وفي صفحات " لحن العوام " للزبيدي ألفاظ كثيرة لا بد أنها كانت سماعة ، وكان العامة يستعملونها في الأندلس كقولهم لا يمر من الروم " القصص " بدلا من القوس وجمعون الكرم على " كرمات " وفي النسبة الى قبيلة كلب " كلبي " بكسر الكاف ، ويقولون للحظيرة تكون في الدار " حيرا " بدل " حائر " (ومنه حير الزجالي) ويقولون لموقف الدابة " صبل " بدل " اصطل " ويقولون دفر بكسر أوله الى غير ذلك من الألفاظ واستعمالات (٢) .

#### ٤ - مقام اللغة عند الأندلسيين :

قد تحملنا الصورة السابقة على التوهم بأن اللغة العربية تضعفت أمام هذه المنافسة القوية التي كانت تلقاها من العجمية ومن اللهجة العامية الدارجة ولولا التراث الأندلسي الغزير الذي وصلنا ، لما استطعنا أن نضع الى تلك الصورة صورة أخرى تمثل قوة اللغة وسيطرتها واضطلاعها بالفكر كله في شتى الميادين، والحقيقة التي لم أستطع أن أدرسها في هذا البحث هي تاريخ اللغة في خدمة النواحي الفكرية وتميز الأندلس بظاهرها اللغوي على مر الزمن ، فذلك انما يمثل دراسة تحتاج رسالة مستقلة ، أما في هذا البحث فقد قصرت جهدي على درس اللغة نفسها في تطورها ورسمت لحياتها خطا متدرجا مع الزمن من خلال جهود علمائها في التدريس والتأليف . فهجود المفكرين والشعراء والكتاب من ناحية ، وجهود علماء النحو واللغة من ناحية أخرى لم تنهزم اللغة الفصحى أمام المنافسة القوية التي لقيتها من جاراتها العجمية والعامية ، ولا ريب في أن للناحية الدينية والسياسية أثرهما في احتفاظها بقوتها ، ولكن الناحية الدينية كانت موجودة في المغرب مثلا ، ومع ذلك فان المغرب ، بمعناه الشامل ، لم يحقق

(١) الاحكام ١ : ٣١

(٢) لحن العوام : ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ١٢٠ ، ١٣٣ ، ١٥٦ .

في ميدان اللغة بعضا يسيرا مما حققته الأندلس في العصور التي هي موضوع هذه الدراسة . ولقد اجتاز أبو علي القالي المغرب الى الأندلس فكانت شهادته في الحال اللغوية لدى الاقوام التي مرّ بها على النحو الآتي : " لما ذكرت القيروان وأنا أعتبر من أمر به من أهل الامصار فأجدهم درجات في العبارات وقلة الفهم بحسب تفاوتهم في مواضع منها بالقرب والبعد كأن منازلهم من الطريق هي منازلهم من العلم محاسبة ومقايسة ، قال أبو علي : " فقلت ان نقص أهل الاندلس عن مقادير من رأيت في أفهامهم بقدر نقصان هؤلاء عن قبلهم فمحتاج الى ترجمان في هذه الاوطان " . . . . فكان يصل كلامه هذا بالتعجب من أهل هذا الافق الاندلسي في ذكائهم ويتغنى عنهم عند المباحة والمناقشة " (١) .

وليس لنا أن نحمل هذا الكلام محل المجاملة من القالي فقد وجدني الاندلس بيئة لغوية صالحة ، حقا انها لم تكن لتتأثر بما كان قد تمّ في المشرق ولكنها كانت على نأى هذا القطر - أحسن حالا من أكثر بلدان المغرب . ولذلك أعتقد أن غاية الاندلسيين باللغة كانت بالغة وهذا يظهر في أسلوب التعليم الذي اتبعوه للمبتدئين ، وأنا استعد هذا من شهادة ابن خلدون لاعتقادي أنه يصور ما كان عليه الحال في العصور الأولى من تاريخ التعليم بالأندلس فهو يحدثنا أن الاندلسيين يجعلون القرآن أصلا في التعليم ولكنهم لا يقتنون عند ذلك كما يفعل سائر أهل المغرب وإنما يخلطون في تعليمهم رواية الشعر والترسل والأخذ بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط : " الى أن يخرج الولد من عمر البلوغ الى الشبيبة وقد شدا بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بهما " (٢) ويعلق ابن خلدون على هذا المنهج التعليمي لدى

(١) نفع الطب ٤ : ١٥٠

(٢) المقدمة ج ٤ : ١٢٤٠

الاندلسيين بقوله : " وأما أهل الاندلس فأفادهم التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل وندارسة العربية من أول العمر حصول ملكة صاروا بها أعرف في اللسان العربي " (١). وإنما أحكم بأن كلام ابن خلدون ينطبق على العصور التي درستهم من استشهاده بعد هذا التعليق توا بمذهب أراد القاضي أبو بكر بن العربي أن يحدث في نظام التعليم . إذ أن ابن العربي قدم حسب نظامه الجديد تعليم العربية والشعر على سائر العلوم كما هو مذهب أهل الأندلس ، قال " لان الشعر ديوان العرب ويدعوا الى تقديمه وتعليم العربية في التعليم ضرورة فساد اللغة " (٢) . ومن رأى ابن العربي تأخير درس القرآن الى المرحلة الثالثة بعد الحساب وبذا يخالف ابن العربي مذهب أهل بلده في شي' ويقرهم على شي' ، وابن العربي شهد أواخر عصر ملوك الطوائف وتعلم في المشرق وعاد الى الاندلس أيام المرابطين . فما يقوله ابن خلدون من الطريقة الجارية لدى أهل الاندلس ينطبق على العصور التي أدرسها لان ابن العربي إنما ينتقد الوضع الذي كان جاريا عليه الحال قبل عودته من رحلته .

ويتحدث ابن خلدون أيضا في موضع آخر عن هذه الملكة التي حدثت لأهل الاندلس في اللسان العربي فيقول : " وأهل صناعة العربية في الاندلس ومعلموها أقرب الى تحصيل هذه الملكة وتعليمها من سواهم ، لقيامهم فيها على شواهد العرب وأمثالهم والتفقه في الكثير من التراكم في مجالس تعليمهم ، فيسبق الى المبتدئ كثير من الملكة أشياء التعليم ، فتقطع النفس لها وتستعد الى تحصيلها وقبولها " (٣) . فابن خلدون يعمل هذه الملكة باعتقاد الاندلسيين على حفظ الأحوال حتى ان الاندلس

(١) المقدمة : ١٢٤٢

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه : ١٢٧٨

لما كادت تضع منها العربية ظلت هذه الملكة موجودة في أهلها : " لان أهل اللسان العجمي الذين بهم تفسد ملكتهم انما هم طارئون عليهم وليست عجمتهم أصلا للغة في الاندلس " (١) .

#### ٥ - عوامل فعالة في تطور العناية باللغة في الاندلس :

ولمؤ قد اقتصر الأمر على هذه الريح في الحفاظ على لغة الدين من باب القيام بما تتطلبه العبادات ، والحفاظ على لغة رسمية للدولة تبليغ في التعبير عن سياستها أسمى الأساليب المقبولة في كل عصر ، لكان هذا النشاط التعليمي وحده عاملا قويا في ترسيخ هذه الملكة باللغة في الاندلس . ولكن في كل عصر من هذه العصور التي سأناولها بالدرس كانت هناك عوامل أخرى هامة في تنمية هذه الملكة وتطوير حركة التدريس اللغوي ومجالات التأليف ، وفي طبيعة هذه العوامل هجرة الاندلسيين للأخذ من علماء اللغة في المشرق والسعي الى لقائهم ورواية الاصول عنهم وكانت هذه الرحلة أحيانا تقف عند حدود الاندلس نفسها وأحيانا تتجاوزها الى القيروان وأحيانا ثالثة تكون ارتدادا لكثير من المناطق الثقافية في المشرق فهناك اذن ثلاثة درجات من الرحلة صفرى ووسطى وكبرى . ثم هناك هجرة بعض المشاركة من علماء اللغة يضيفون الى جهود اخوانهم الاندلسيين في هذا الميدان جهودا جديدة ، وهجرة الكتب المشرقة على مر الزمن الى الاندلس حتى اننا لنجد ثقافة كل جيل تال نسي الامور اللغوية لا تقتصر على الأصول القديمة وعلى ما ألفه الاندلسيون ، بل يضاف اليها دائما ما يجد من مؤلفات مشرقة . وقد تأزرت هذه العوامل جميعا ووجدت في حرص بعض الحكام الاندلسيين على تطوير الحياة الثقافية عامة - ومنها اللغة - عاملا

## قويا حائزا الى التأليف والافادة .

ولست أعني اذ أذكر هذه العوامل أنها كانت مقصورة الاثر على الميدان اللغوى،  
وانما هي عوامل عامة لها أثرها في جميع جوانب الحياة العلمية بالأندلس . فير  
أن دراستي هذه تتحو نحو تبيان الحركة اللغوية ولذا لم أتحدث عن هذه  
العوامل هنا الا بمقدار صلتها بهذا المجال وحده ، فذلك حسبي منها ، ولم  
يكن من اليسير دراسة أثر كل عامل منها على حدة لتشابهها وتضافرها معا .  
وعلى هذا فقد وقفت عندها في كل عصر من العصور محاولا أن أضع الى جانبها  
عوامل أخرى جديدة نشأت من تطوّر الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية  
العامة ، ليكون بناء هذا البحث بناء تكامليا متدرجا .

## الفصل الاول

### بواكير الحركة اللغوية في الاندلس\*

#### ١ - نشوء طبقة المؤدبين اللغويين :

اجتمعت الحاجة الى تعليم اللغة للناشئة من الأندلسيين مع الدوافع المتعددة، التي كانت تشجع على الرحلة، على خلق طبقة من المعلمين اخذت على عاتقها تدريس اللغة والنحو في مدن الاندلس، وبخاصة قرطبة وهي يومئذ دار القوم وعاصمة الدولة . ويمكن ان نطلق على هذه الجماعة اسم " المؤدبين " فهذا الاسم عرفهم الاندلسيون ، وان كانت هذه اللفظة في المشرق تنصرف الى الذين كانوا يعلمون ابناء الخاصة . غير ان المؤدبين في الاندلس قاموا بالمهمتين معا فمنهم من كان يؤدب اولاد الخاصة ، ومنهم من كان يعلم ابناء العامة في المساجد . وتدل الروايات التي أوردها ابوبكر الزبيدي في كتابه " طبقات النحويين واللغويين " على قيامهم بهذين الامرين ، فكان المسمى طاهرا يؤدب بني هشام وبني حدير ، وهما عائلتان من اشراف قرطبة ، وكان صالح بن معافى يؤدب عند بني فطيس واستأدب الحكم المستنصر لبنيهم - عثمان بن سعيد المعروف بورش (١) . وكان جابر بن غيث مؤدبا لولد الوزير هاشم بن عبد العزيز ، استجلبه لذلك من لبلبة الى قرطبة (٢) . وكان ابن ارقم مؤدبا لاميير المؤمنين عبد الرحمن الناصر ، وكان ابو محمد بن ارقم يؤدب ابناء

\* كان جل اعتمادى في كتابة هذا الفصل على طبقات الزبيدي وتاريخ ابن الفريسي ، وما ذلك الا لان اكثر المصادر التي تتحدث عن هذه الفترة لم تصلنا ، كما ان كتب المشاركة عالة عليهما فيما يتصل بهذه الحقبة . غير اني لم اكتب بهما حين كنت اجد المصادر الاخرى مسعفة على ذلك .

(١) طبقات الزبيدي : ٣١٢ ، ٢٩٩ ، ٢٩٣

(٢) المصدر نفسه : ٢٨٩ ، وتاريخ ابن الفريسي ١ : ١٢١

الخلفاء (١). وكان هشام بن الوليد الغافقي يؤدب الامير عبد الرحمن (٢). ومن المؤدبين الذين لم يختصوا بأبناء الخاصة الغازي بن قيس الذي " كان ملتزماً للتأديب بقراطية أيام دخول الامام عبد الرحمن بن معاوية رضي الله عنه الاندلس " (٣)، وأبو الغمر عبد الواحد بن سالم المعروف بالاحدب الذي توفي سنة تسع ومائتين ( ٨٢٥ م ) ، وكان من أهل العلم بالنحو والتأديب (٤) . ومنهم احمد بن نعيم الذي أدب بجمان وطيطة (٥)، وجابر بن غيث المتوفى سنة تسع وتسعين ومائتين ( ٩١١ م ) الذي كان من أحد الناس في التأديب ، نقل من تأدب عنده الا وتعلق من العلم بمسكة " (٦) .

ومنذ البداية كان هؤلاء المؤدبون قد اتخذوا التعليم حرفة يتعيشون بها ، دون ان يخالفهم شك في ان الاجر الذي يتقاضون حق من حقوقهم ، بل لقد جرت العادة ان يقبض المؤدب جملاً كلفا بلغ احد تلاميذه مرحلة الاتقان والحدق لما تعلمه . وقد عرف هذا الجمل في الاندلس بالحدقة (٧)، وتمسك بها المؤدبون وأبوا ان يتنازلوا عنها ، وعندما حاول بعضهم ان يسلبهم هذا الحق انكسروا ذلك ولجأوا الى تحكيم مؤدب من قدام المؤدبين قض لهم باستمرار أخذ الحدقة ان كان ذلك " مما جرى عليه الناس " (٨) .

واذا استثنينا دور الخاصة ، حيث كان ابناؤهم يتلقون العلم على ايدي

- 
- (١) طبقات الزبيدي : ٣٠٦  
 (٢) المصدر نفسه : ٣٠٨  
 (٣) المصدر نفسه : ٢٧٦  
 (٤) المصدر نفسه : ٢٧٩  
 (٥) المصدر نفسه : ٢٨٢  
 (٦) المصدر نفسه : ٢٨٩  
 (٧) المصدر نفسه : ٢٧٨  
 (٨) المصدر نفسه :



اولئك المؤدين ، وجدنا ان المجال الذي شهد نشاط هؤلاء المؤدين هو المسجد . وهذه الحقيقة يجب ان نتذكرها حين نتأمل الدور التثقيفي الذي قامت به هذه الطبقة ، ذلك ان الاندلس لم تعرف ما عرفه المشرق من أمر المدارس ، وانما بقي التعليم فيها قاصرا على المساجد ، او على دور المعلمين انفسهم (١) . حتى في المستوى الابتدائي الخالص كان المؤدب يجمع طلبته في المسجد . ويدل نص اورد الخشني على ان القاضي كان يجلس للحكم في الخصومات في ناحية من المسجد وفي الركن الثاني الذي يقابله جلس مؤمن بن سعيد مع من جلس اليه من الأحداث من رواة الشعر وطلاب الادب (٢) . واكبر الظن ان الامر لم يستمر كذلك ، وان الطلبة المبتدئين - دون غيرهم - قد أفردت لهم دور خاصة يحفظون فيها القرآن ، واصبح القائمون فيها طبقة من المعلمين يستقون المكتبين ، وان ظلت كلمة مؤدب العامة تطلق عليهم . وفي زمن الحكم المستنصر كثر عدد هذه الكتائب ، قال ابن عذاري : " ومن مستحسنات افعاله وطيبات اعماله اتخاذ المؤدين يعلمون اولاد الضعفاء والمساكين القرآن حوالى المسجد الجامع ، وكل روض من ارباض قرطبة ، واجرى عليهم المرتبات وعهد اليهم في الاجتهاد والنصح ابتغاء وجه الله العظيم ، وعدد هذه المكاتب سبعة وعشرون مكتبا ، منها حوالى المسجد الجامع ثلاثة ، وباقها في كل روض من ارباض المدينة " (٣) .

(١) انظر طبقات الزبيدي : ٢٩٩ ، ٣٣٦

(٢) قصيدة قرطبة : ١٠٣ - ١٠٤ ، اما مدى النظام في هذا الدرس فيدل عليه سائر النص ، ان يقول الخشني : " فتلاحي حدثان من جلاس مؤمن في شي " فرفع احدهما يده بخف فضرب صاحبه ١٠٠ الخ

(٣) البيان المغرب ٢ : ٣٥٨ ، وقد ذكر ابن حيان في حوادث سنة ٣٦٤ / أن الخليفة الحكم أنفذ تحميم حوانيت السراجين بسوق قرطبة على المعلمين الذين قد كان اتخذهم لتعليم اولاد الضعفاء والمساكين بقرطبة ( انظر المكتبين ، نسخة مدريد ، الورقة : ١١٥ ) .

فروعاً

وكان نشاط هؤلاء المؤرخين يتناول فروعاً من العلم فيها الفقه والحديث  
والاخبار والشعر . غير ان ما يهتفنا في هذا المقام انما هو مدى اثرهم في النواحي  
النحوية واللغوية . ويجب ان لا ننغالي في تصور ما كانت تحسنه الجبهة الغالبة من  
هؤلاء المؤرخين في هذه النواحي ، فقد لخص لنا الزبيدي في عبارة جامعة طبيعة  
التحصيل اللغوي والنحوي الذي كانت تضطلع به تلك الطبقة من الناس فقال : " ولم  
يكن عند مؤدبي العربية ولا عند غيرهم من عني بالنحو كبير علم . . . . . وذلك ان المؤرخين  
انما كانوا يعانون اقامة الصناعة في تلقين تلاميذهم المواصل وما شاكلها ، وتقريب  
المعاني لهم في ذلك ، ولم يأخذوا انفسهم بعلم دقائق العربية وغوامضها ، والاعتلال  
لمسائلها ، ثم كانوا لا ينظرون في امالة ولا ادغام ولا تصريف ولا أبنية ، ولا يجيبون  
في شي منها . . . . . " (١) .

واذا كان هذا الحكم اكثر شي انطباقاً على عامة المؤرخين فانه يصيب من  
بعض نواحيه أيضاً اكابر المشهورين منهم ، اذ كان اهتمامهم كثيراً ما يدور حول امور  
ابتدائية تتناول جانب الصواب والخطأ ، وقد يعجز بعضهم عن توجيه الحكم في أبسط  
المسائل اللغوية ، هذا جودى النحوى وهو من أبرز المؤرخين المبكرين ينكر أحدهم في  
حلقة على الشاعر عباس بن ناصح عدم تشديده بآء النسب من لفظة " نصراني " في قوله (٢) ،

يشهد بالاخلاص نوبتها لله فيها وهو نصراني

فلا يستطيع المؤرخ أن يقول شيئاً في تجهيز هذا التخفيف . ولذا نجد أن كثيراً  
مما يدور في مجالس هؤلاء المؤرخين انما يتناول بعض شئون يسيرة من مثل : " تقول

(١) طبقات الزبيدي : ٢٢٦ - ٢٢٧

(٢) المصدر نفسه : ٢٧٩

للرأة : أنت تؤدين كذا فكيف تقول للنسوة ؟ " (١) أو يدور الخلاف الحادث حول أيهما أصوب عند العرب : سودتك أو سيدتك (٢) ، وهكذا .

على أي أحسب أن هذا الحكم يجيء جائرا في حق بعض البارزين من هؤلاء المؤدين ، فقد كان كثير منهم يحسنون من المستوى اللغوي والنحوي ما يرتفع فوق ما تقدم بكثير ، وكان بعضهم ذا أصالة في تعليمه أو تأليفه ، بل إن الاندلسيين أنفسهم اتخذوا بعضهم مثلا أعلى في الفصاحة ، فكانوا إذا استفصحو رجلا قالوا : ما هذا إلا أبو حرش (٣) وضربوا المثل بفصاحة بكر الكساني فقالوا : " أفصح من بكر الكساني " (٤) ومثل ذلك قالوا في الرشاش أحد أهل الحفظ للغة (٥) .

وكان كثير من أفراد هذه الطبقة ينزلون في نفوس الناس منزلة الاحترام لا لمدى ما أحرزوا من ثقافة فحسب وإنما لأن بعضهم كان يجمع في شخصيته بين الاخلاص في أداء الواجب التقني والتقوى ، وقد وصف ناس منهم بالصلاح ، ولعل هذه الناحية الدينية هي التي كانت تكسبهم ثقة الناس فيعهدون اليهم بتقديف أبنائهم (٦) .

وكانت قرطبة - بحكم مركزها - تجتذب اليها أكثر المشتغلين بالعلوم اللغوية ، فهي مستقر الغازي بن تيس وعبد الله ابنه وعبد الملك بن حبيب ومحمد بن اسماعيل الحكيم والقفاط والأقشيين والمذاكرة وغيرهم كثيرين . وقد اجتذبت اليها كثيرا من علماء

(١) طبقات الزبيدي : ٣١٢

(٢) المصدر نفسه : ٢٩٥

(٣) المصدر نفسه : ٢٨١

(٤) المصدر نفسه : ٢٨٣

(٥) المصدر نفسه : ٢٨٤

(٦) راجع أمثلة من هؤلاء المؤدين الاتقياء في ترجمة : أبي عبد الله محمد بن عبد

الله ، طبقات الزبيدي : ٢٩٣ ، و ترجمة " البغل " ، نفس المصدر : ٢٩٢ ،

وترجمة صالح بن معاني : ٢٩٦

المدن الاندلسية الأخرى مثل جودى النحوى وهو موزورى الأصل ، والخشني وهو جهاني الأصل . ولكن بعض علماء اللغة آثروا بلادا أخرى اندلسية ، فلم تجتذبهم قرطبة اليها ، منهم خصب الكلي بمورور ، وأحمد بن نعم الذى تنقل بين جيان وطيطة ، وأحمد بن بترى بقرمونة ، وثابت وابنه القاسم بمقرسطة ، وأبو عمرو بن حجاج ، ومحمد بن سيد وعير بن عمر ، وابن وقاص القرشي ، والمروكي ، والمقصد ، وأبو عمرو المورورى باشبيلية . ولكن هذا لا ينبغي أن أكثر النشاط انما كان في العاصمة ، وأنه لم يكن يكثر فيها في هذه الناحية الا اشبيلية ، وهي يومئذ تشبه ان تكون عاصمة ثانية .

## ٢ - الرحلة ولقاء العلماء المشاركة :

ولم يكن تحصيل هؤلاء المؤيدين مقصودا على تجوالهم طلبا للعلم في المدن الأندلسية أو ما أسميته " الرحلة القصيرة " ، بل نزلهم الترحال اما الى القيروان وهي يومئذ من مراكز العلم المشهورة واما الى المشرق ، حيث كانوا يسمون للقاء العلماء المشهورين ، قبل أداء فريضة الحج أو بعد أدائها . ولما أصبح الاندلسي العائد الى وطنه يشرف في نظر قومه لأنه فدا يروى من " الشيخ " لم تعد الرحلة العلمية أمرا منوطا بالنية الدافعة للحج بل أصبحت هي نفسها ضرورة لازمة ، وخاصة لدى الطلبة القادرين على تحمل أعباء السفر ، وهي أعباء جسيمة لا يحتملان بها سواء أكانت الرحلة هبة أم بحرية . وما ان حلّ القرن الثالث حتى غدت الرحلة العلمية لدى الأندلسيين هدفا يسمون اليه كأنه " فريضة ثقافية " يؤدونها ، وهي تطول أو تقصر حسب الفترة التي يراها الطالب كافية لتحصيله ، أو تسمحفه عليها ظروفه وأوضاعه المادية . ومن الطبيعي أن تكون الرغبات العلمية لدى هؤلاء الراحلين متنوعة متباينة ، فمنهم من يؤثر رواية الحديث ، ومنهم من يطلب الفقه ، ومنهم من يلتقي شعراء المشاركة ، ومنهم من يطلب اللغة والنحو ، وكثير منهم يجمع عددا من هذه الفروع

العلمية والأدبية في تحصيله ؛ وانما يهمننا في هذا المقام اولئك الذين استأثرت اللغة بجهودهم - في الاكثر - وعادوا معهم كتب لغوية من المشرق أو آثروا التأديب باللغة والنحو ، وقدموا هذين العلمين على سائر ما حصلوه . وقد لقي بعضهم مشاهير اللغويين في البصرة والكوفة ، امثال الأصمعي والمجستاني والكسائي ، بل توغل بعضهم في الطلب ، فلقى الاعراب وشافهم وأخذ اللغة عنهم مباشرة . ولا تسعفنا المصادر دائما على تبيين الاساتذة المشارقة الذين تتقف عليهم اولئك الراحلون ، من مؤدبين وغير مؤدبين - وهم كثر - ولكنني أتف عند نماذج ممن لقي اولئك الاعلام ،

- ١ - جودى النحوى ( - ١١٨ / ٨١٤ ) ، لقي الكسائي والفراء وغيرهما (١) .
- ٢ - الغازى بن قمى ( - ١١١ / ٨١٥ ) ، أدرك الاصمعي ونظراءه (٢) .
- ٣ - محمد بن عبد الله بن سوار ، لقي ابا حاتم والرياشي (٣) .
- ٤ - قاسم بن أصبغ ، لقي ابن قتيبة والمبرد وشعلبا (٤) .
- ٥ - محمد بن عبد الله الغازى ، لقي الرياشي واما حاتم (٥) .
- ٦ - محمد بن عبد السلام الخثني ، لقي المازني واما حاتم والرياشي (٦) .
- ٧ - الاقشيني ( - ٣٠٢ / ١٢٠ ) ، لقي ابا جعفر الدينورى والمازني ، وانتسخ من نسخة الأول كتاب سيبويه وأخذه من الثاني (٧) .

---

(١)	طبقات الزهيدى	: ٢٧٨
(٢)	المصدر نفسه	: ٢٧٧
(٣)	المصدر نفسه	: ٢٨٢
(٤)	تاريخ ابن الفرضي	: ٤٠٥
(٥)	طبقات الزهيدى	: ٢٨١
(٦)	المصدر نفسه	: ٢٩٠
(٧)	المصدر نفسه	: ٣٠٥

٨ - منذر بن سعيد البلوطي ، لقي ابن ولاد بمصر (١) .

وينقسم هؤلاء العلماء الذين لقيهم الاندلسيون المهاجرون في مدرستين (اذا استثنينا ابن ولاد الذي ينتمي لمصر ، وابا جعفر الدينوري الذي قضى اكثر حياته بمصر أيضا ) هما مدرستا البصرة والكوفة : واليك ترتيبهم في هاتين الفتيين :

#### طبة اللغويين والنحويين الكوفيين

علي بن حمزة الكسائي  
أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء  
محمد بن زياد بن الاعرابي  
أبو سعيد القاسم بن سلام  
يعقوب بن السكيت

#### طبة اللغويين والنحويين البصريين

عبد الملك بن قهوب الاصمعي  
عروة بن عثمان بن قنبر ، سيبويه  
أبو عثمان بكر بن محمد المازني  
أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني  
العباس بن الفج الهاشمي  
أبو العباس محمد بن يزيد البرد  
أبو اسحاق ابراهيم بن السري الزجاج  
أبو محمد عبد الله بن مسلم ، ابن قتيبة  
محمد بن الحسن بن دويد

ومن هذا الثبوت يمكننا ان نرى كيف ان حملة اللغة والنحو في الاندلس كانوا - في اغلب الاحيان - تلامذة الطبقة الاولى من اللغويين والنحويين المشاركة ، وانهم منذ البداية نشروا في بلدتهم اصول المدرستين النحويتين اللغويتين ؛ مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة ؛ الا ان تلامذة مدرسة البصرة كانوا ظاهريين في الاندلس على نظرائهم ، كما أصبح كتاب سيبويه لديهم هو غاية المتعلقين بالدراسات النحوية . وهذا أمر سيئال مزيدا من التوضيح في القرون التالية . ومن امثلة الاهتمام بهاتين المدرستين ما لقيه زعمما

المدرستين : سيبويه والكسائي . فلقد رحل الاقشطين الى المشرق ولقي ابا جعفر الدينوري وانتسخ كتاب سيبويه من نسخه ، وأخذ عنه رواية ، وأخذ من المازني (١) . وأما ابو وهب بن عبد الرؤف فقد طالع كتاب سيبويه ونظر فيه (٢) . وقد قرى الكتاب على محمد بن يحيى الرهاحي وأخذ عنه رواية (٣) . وكان جودى النحوى اول من ادخل كتاب الكسائي (٤) . وأما " البغل " فقد وضع مؤلفا في شح كتاب الكسائي (٥) .

### ٣ - رحلة لغويين مشاركة الى الأندلس :

وتقابل هذه الرحلة الاندلسية الى المشرق هجرة بعض المشارقة الى الاندلس من لهم اهتمام باللغة والنحو ، ولدينا بعض أسماء هؤلاء الراحلين في هذه الفترة وهم - حتما - أقل عددا بكثير من نظرائهم الاندلسيين الراحلين الى المشرق ، ولم تكن غايتهم من الرحلة طلب العلم لان المشاركة كانوا يرون أنهم أوفر نصيبا من الاندلسيين في الشئون العلمية ، ولذلك كانت لهم من الرحلة غايات أخرى منها التجارة ، أو التكسب عامة ، أو أسباب أخرى خاصة . ومن هؤلاء الراحلين ابو جعفر أحمد بن محمد بن هارون البغدادي (٦) ، وهو من ذلك الفتيق المشرقي الذي كان يظن الاندلس قطرا متأخرا في الامور العلمية ، فلما شاهد ما فيها من نهضة علمية خرج معجبا بما رأى ، قال لمن سأله بعد موصلته منها الى المغرب : كيف تركت الاندلس : " والله لقد رأيت بها ما لم أتوهم ان أراء مع نأى دارها ، لقد رأيت فقها وشعرا

(١) طبقات الزهيدى : ٣٠٥

(٢) المصدر نفسه : ٣٢١

(٣) المصدر نفسه : ٣٣٦

(٤) المصدر نفسه : ٢٢٨

(٥) المصدر نفسه : ٢٩٢

(٦) ورد في طبقات الزهيدى : ٢٩٦ أن اسمه محمد بن هارون ، ولعل هنا سهوا فقد ذكره ابن الفري في تاريخه ( ١ : ٢٤ ) في من اسمه " أحمد " من الغرأ .

وتحويين وأدباء . . . (١) ويبدو أن هذا البغدادي دخل الاندلس متجسسا ،  
وتجول فيها أعواما ، ولكنه من الناحية العلمية نجد أن بعض الاندلسيين أخذوا عنه ،  
كما أنه جلب معه بعض كتب ابن قتيبة وبعض كتب عمرو بن بحر الجاحظ (٢) .

ومن المهاجرين رجل يعرف بالعجلي ، وقد هاجر الى الاندلس من العراق  
ولا نعرف كثيرا عنه سوى أنه ضنّ بكتبه ومنعها من الطلبة واستدعى الناس للاملاء  
عليهم بقرطبة فهرع اليه الناس بما في ذلك تلامذة الخشني ، وكانت اللغة من املاءاته (٣)  
وقد أحدثت هجرة المشاركة بعض المنافسة بينهم وبين علماء الاندلس، فقد  
انفض تلامذة الخشني عنه ولحقوا بالعجلي ، فما كان من أحد المخلصين للخشني الا  
أن جلس في مجلس العجلي وخطاه في بعض ما يورده من اللغة ، فكان ذلك سببا في  
انفضاض الناس من حوله ، ولما عرف الخشني ما قام به صديقه من أجله استدناه وقبل  
بين عنقه شاكرا وقال له " نعم مستودع العلم أنت " (٤) .

وتبدو هذه المنافسة على وجهها الواضح في حال أبي محمد الاعرابي وهو  
المهاجر المشرقي الثالث الذي تحدثنا عنه المصادر بوضوح . قدم هذا الاعرابي  
من الحجاز ونزل بأشبيلية على رئيسها ابراهيم بن حجاج (٥) ويسميه ابن حيان

(١) طبقات الزهيدى : ٢٩٠

(٢) تاريخ ابن الفريسي ١ : ٧٤

(٣) طبقات الزهيدى : ٢٩٨

(٤) المصدر نفسه .

(٥) ابراهيم بن حجاج ، كان واليا على اشبيلية من قبل عبد الله بن محمد . قال حيان بن  
خلف : لما ملك ابراهيم بن حجاج اشبيلية وقرونة وما والاها ، ارتفع ذكره ،  
وبعد صيته ، واتخذ لنفسه جندا ، ورتب لهم الارزاق كفضل السلطان .  
وكان فظا على أهل الرب ، قائما لأهل الشر . وودعه الشعراء ومنهم  
ابن عبد ربه . ومات عام ٢٨٨ / ٩٠١ . ( انظر البيان  
المغرب ٢ : ١٨٨ - ١٩٥ ) .



الاعرابي العذري ، اما الزبيدي فيدعوه الاعرابي العامري . وقد كان " نصيح اللهجة  
 ذا قطع من الشعر مستحسنة " (١) . وربما أثار ما حصله من منزلة عند صاحبه ابن  
 حجاج نفوس المشتغلين باللغة عليه ، فناصروه العداوة وتبعوا سقطة . فكان قاسم  
 بن محمد احد اقرباء ابن حجاج كثير المنازعة له (٢) . وكان العامري يعتمد التقليل  
 من شأن اللغويين امثال قاسم هذا ، او حسب ما روى الزبيدي كان " قليل الالتفات  
 الى اهل العلم بالعربية مظهرها للغنى عنهم " (٣) . ويبدو انه كان يلقي عليهم المسألة  
 في شئون اللغة والنحو استخفافا بهم وامتحانا لهم في آن واحد . من ذلك قوله لقاسم  
 المذكور " يا ابا عمرو اتقول للمرأة انت تؤدين كذا ، فكيف تقول للنسوة ؟ فقد اختلط عليّ  
 ذلك بسبب دخول امصاركم ومخالطتي لكم " (٤) . وفي قوله هذا نلمس تهكمه بمن يحصلون  
 اللغة من اهل المدن عن طريق التعلم ، وامتداده باعرايته . ومن سقطة التي  
 تتبعوها بالنقد ، قوله ذات يوم حين شكر ابراهيم بن حجاج : ايها الامير ما سيّدك  
 العرب الا بحقك فانكر ابو الكوثر الخولاني عليه قوله سيّدك بالياء وقال له :  
 يا ابا محمد العلماء بالعربية ضدنا لا يقولون الا سودّتك . فقال : يخطئون ويصحفون ،  
 فانتهر ابراهيم ابا الكوثر ، وقال : يتسرون على الاعراب في لغاتهم ويعارضون مسن  
 ينطلق بالسليقة ! ... فنجّل ابو الكوثر وكتب بالخبر الى يزيد بن طلحة العباسي  
 المعروف بالنصح ، وكان من اشهر من بغري الاندلس من العلماء بالعربية ، فأجابه أن  
 المعروف سودّتك بالواو ، وقال فلعل ما ذكره الاعرابي لغة لقومه . فعرض ابو الكوثر  
 جوابه على الامير ابراهيم فلم يزد الاعرابي بذلك الا محكا ولجاجة ، وشدّ شكيته

(١) المقتبس : ١٣

(٢) طبقات الزبيدي : ٣١٢

(٣) المصدر نفسه :

(٤) المصدر نفسه :

ابراهيم نصره وعصبة ، واحضر يزيد بن طلحة فوخه ، وذهب الى تهييت قول الاعرابي فقال له يزيد اصلح الله الامير ان بيان العلم ليس يجي من جهة المغالبة وانما يصح بالانصاف (١) ...

على أن الفائدة العلمية التي كان ينقلها أمثال هؤلاء المهاجرين المشاركة لا توازي ما كان ينقله الراحلون الاندلسيون ، أولا : لقلة المهاجرين ، ثانيا : أن هؤلاء المهاجرين لم يكونوا من طراز عال في علمهم واطلاعهم ، ثالثا : ان هدفهم لم يكن علميا في الغالب ، ولذلك فان الأثر الذي أحدثه المشاركة المهاجرون قبل ورود القالي يعد ظاهرة ضئيلة الأثر في الحياة العلمية بالاندلس .

#### ٤ - هجرة الكتب المشرقية الى الاندلس :

وأيا كان الامر فان هؤلاء الراحلين ، من اندلسيين ومشاركة ، هم الذين غدوا الدراسات اللغوية والنحوية في الاندلس ، لا بما جلبوه من علم مروي فحسب ، وانما بالكتب التي هاجرت معهم . وستظل هجرة الكتاب المشرقي في هذا العصر وفي ما تلاه من عصور ظاهرة هامة في تحديد التمار العام الذي تسير فيه الحياة اللغوية في الاندلس . فهي التي تقررنوع الكتب المتداولة لدى المدرسين والطلاب ، وهي التي توجه أيضا حركة التأليف الاندلسي .

ومن الطبيعي أن تكون أشد الكتب ذيوما في هذه الفترة هي كتب الأعلام التي ظهرت قبل نهاية القرن الثالث . وقد مرر بنا كيف ان ابا جعفر البغدادي أدخل كتب ابن قتيبة والجاحظ الى الاندلس ، وكيف ان الأقتشين انتسخ كتاب سيبويه . وهب ان المصادر لم تحدثنا تفصيلا عن سائر الكتب التي دخلت في هذه الفترة

(١) طبقات الزهيدى : ٢١٥ ، والمقتبس : ١٤

فلسنا نبعد عن الصواب حين نتصور ان كثيرا من كتب الاصمعي والكسائي والفراء والمازني وابن ولّاد قد عرفها الاندلسيون وتداولوها . " وذكر بعض الرواة ان وهب بن نافع اخذ كتب ابي عبيد عن علي بن ثابت وابي جعفر محمد بن وهب المسعوي وهو اول من أدخلها الاندلس، وأول من أخذت عنه ، ثم أدخلها الخشني بعده " (١). واهتم الاندلسيون الراحلون أيضا بكتاب العين للخليل ، فيقال ان قاسم بن ثابت واباه اول من أدخله الى الاندلس (٢). كذلك رواه في المشرق موهب بن عبد القادر الباجي وكتبه ، وجمع هذا الرجل وقتر جعل من الكتب المشرقة في عودته الى وطنه ، ولكنه توفي قبل ان يبلغه . وكان من نصيب كثير من كتبه ان تصل مع المرافقين له من أهل بلده (٣) كذلك اهتم منذر بن سعيد بهذا الكتاب فرواه بمصر عن ابي العباس بن ولّاد ، وأدخل معه نسخة منه عند عودته الى قرطبة . وهي نسخة وقعت من بعد الحكم المستنصر، وطلب الى علماء اللغة يومئذ مقارنتها على غيرها من النسخ ، وظهرت كثيرة التصحيف والخطأ والتبديل (٤).

غير أن بعض هذه الكتب لتي من القبول أكثر مما لقيه سواء . ونخص بالذكر كتاب سيبويه وكتاب العين للخليل وكتاب الغريب المصنف لأبي عبيد وكتاب معاني القرآن لابن قتيبة . وإذا كان الاول والثاني من هذه الكتب لم يتضح اثرهما تماما الا في القرن التالي ، فان الكتابين الثالث والرابع ، اعني الغريب المصنف ومعاني القرآن ، يفسران لنا طبيعة التأليف في هذا العصر الذي نتحدث عنه ، الأمر الذي سأوضحه بعد قليل .

(١) تاريخ ابن الفريسي ٢ : ١٦٠ . وقد توفي وهب المذكور سنة ٢٢٣ / ٨٨٢ .

(٢) المصدر نفسه ١ : ٤٠٣ .

(٣) المصدر نفسه ٢ : ١٥٢ .

(٤) جذوة المقتبس : ٤٧ ، ٣٢٦ وتاريخ ابن الفريسي ٢ : ١٤٢ .

واود أيضا ان اميز الغريب المصنف من هذين الكتابين نظرا لما لقيته كتب  
 ابي مبيد<sup>(١)</sup> على اختلاف موضوعاتها من اهتمام علماء الاندلس في هذه الفترة . وقد  
 انتقلت رواية هذه الكتب الى المثقين الاندلسيين من خمس طرق ، ا - طريق ظاهر  
 بن عبد العزيز ( - ٣٠٥ / ١١٨ ) وكان هو اول من ادخل هذه الكتب الى  
 الاندلس<sup>(٢)</sup> . ب - طريق محمد بن عبد السلام الخشني وهو ثاني رواية نقل هذه  
 الكتب الى الاندلس<sup>(٣)</sup> . ج - طريق عيسى بن شذانق<sup>(٤)</sup> . د - طريق عيسى بن  
 أيوب<sup>(٥)</sup> . وهؤلاء الاربعة تتصل روايتهم مباشرة عن علي بن عبد العزيز تلميذ ابي مبيد .  
 هـ - طريق وهب بن نافع الذي اخذ كتب ابي مبيد عن علي بن ثابت<sup>(٦)</sup> . وهذه الطرق  
 جميعا - وربما وجد غيرها - تدل على مبلغ ما لقيته مؤلفات ابي مبيد من اهتمام  
 الراحلين . غير ان ابرز الرواة الاندلسيين جميعا ممن كانت تؤخذ عنه هذه الكتب  
 هو محمد بن عبد السلام الخشني .

##### ٥ - النشاط الشفوي في ميدان اللغة :

ويبدو ان النشاط التأليفي في هذا العصر ظل ضعيفا  
 محدود المجال ، وان حياة اللغة غلب عليها الجانب الشفوي . فنحن نقرا تراجم  
 عشرات من المهتمين باللغة والنحو ممن ترجم لهم الزميدى وابن الفريسي فلا نجد في

(١) لأبي مبيد القاسم بن سلام عدد كبير من المؤلفات منها : الغريب المصنف ، الامثال ،  
 فريب الحديث ، معاني القرآن ، كتاب في القراءات ، كتاب في الاسوال  
 ( انباء الرواة ٣ : ١٤ - ١٥ ) .

(٢) طبقات الزميدى : ٢١٢ ، تاريخ ابن الفريسي ١ : ٢٤٣ .

(٣) تاريخ ابن الفريسي ٢ : ١٦

(٤) المصدر نفسه ١ : ٣٢٥

(٥) المصدر نفسه ١ : ٣٢٥

(٦) المصدر نفسه ٢ : ١٦٠

ترجماتهم ذكرا لكتب ألفوها . وحسب المترجم في هذه الناحية ان يقول : " كان من أهل العلم بالعربية واللغة " (١) ، او يقول : " كان له حظ من اعراب ولغة " (٢) ، او يقول : " كان له بصر تام بالنحو واللغة " (٣) ، او يقول : " كان متقدما في معرفة لسان العرب والبصر بلغاتها " (٤) ، وما أشبه ذلك من تعميمات ليس فيها دقائق تفصيلية . وقد يشير كل ذلك الى ان اكثر جهود الاندلسيين يومئذ صرفت في تدريس الكتب المهاجرة او في المناقشة الشفوية لأمر جزئية . وفي هاتين الناحيتين لا تضمن علينا المصادر ببعض الاخبار المفيدة . فقد ذكر الزبيدي ان يوسف البلوطي الذي كان يؤدب عند بني حدير " كان يقرأ عليه كتاب الادب وكتاب يعقوب في اصلاح المنطق، ونحو ذلك من كتب اللغة " (٥) . ولا ريب في ان كتاب الادب في هذا النص يعني كتاب " ادب الكاتب " لابن قتيبة ( او ادب الكاتب كما يدعى احيانا ) . وكان موسى بن أزهري الاستجي العالم اللغوي : " يقرأ عليه شرح الحديث والغريب المصنف " (٦) . واما المناقشة الشفوية فهي المجال الأكبر لطلاب اللغة والنحو والمتطلعين الى معرفة ما خفي عليهم من شئون هذين العلمين . ولنا في " المذاكرة " مثل نموذجي من هذا القليل . و " المذاكرة " هذا هو المنذر بن عبد الرحمن ، لقب بهذا اللقب " لانه كان اذا لقي رجلا من اخوانه قال له هل لك في مذاكرة باب من النحو ، فلهج بهذه الكلمة واكثر منها حتى نبز بها " (٧) . وكان اطلعه في العربية موفورا ، ولذلك كان

(١) طبقات الزبيدي : ٢٨٧

(٢) المصدر نفسه : ٣١٤

(٣) المصدر نفسه : ٣٢٧

(٤) تاريخ ابن الفرضي : ٤٤

(٥) طبقات الزبيدي : ٣٢٣

(٦) المصدر نفسه : ٢٩٩

(٧) المصدر نفسه : ٣١٠

علمه ضرباً من الرواية التي ينحو بها منحى الأحجية . شاهد يوماً سيفاً مع القائد ابن أبي  
عبدة فأخذه وسقى أجزاءه بما سمتها به العرب ، فعجب جميع من شهد المجلس من سعة  
علمه وصحة حفظه (١) . كذلك كان هذا النشاط الشفوي مصدراً كبيراً للمعرفة اللغوية ،  
وخاصة في أوائل هذه الفترة ، إذ لو كان التأليف اللغوي متوفراً يومئذ في قرطبة لما كان  
الأمير نفسه يرسل البريد إلى عالم لغوي يعيش في منطقة نائية ليسأله عن مسألة لغوية  
جرت الاختلاف فيها بين علماء اللغة في العاصمة . يقول الزبيدي في ترجمة خصيب  
الكلي : " كان خصب ساكناً بمروور . . . وكانت المشيخة من أهل مروور يذكرون أن  
الفرانق كان يأتي من قرطبة من الخليفة محمد رضي الله عنه إلى خصب يستفتي في  
الكلمة من اللغة والمسألة من العربية تحدث عندهم " (٢) . ولا يخلو هذا الاتجاه الشفوي  
من مباحثات يستدعيها اللجاج في الجدل أحياناً كما لا يخلو من التافس والتحاسد بين ذوي  
الحرة الواحدة المتنافسين على اكتساب قلوب الطلبة ، حسبما هي الحال في كل زمان ومكان .  
ومن صور هذا التحاسد ما نشأ بين أحمد بن بشر بن الأغص وعبد الملك بن شهيد من  
ناحية ، وبين عفير بن مسعود الغساني من ناحية أخرى ، فقد استخرج الاثنان الأولان  
من كتاب العين حروفاً مهمة ونسخا من ذلك دفترًا ضخماً ولقيا عفيراً بالكتاب ، وقصدهما من  
ذلك أن يثبتا عليه عدم الاطلاع وأن يوقعا عليه تهمة الغفلة ، ولكن عفيراً أبطل جميع  
ما جاءا به وأسقطه ونفى أن يكون من كلام العرب ، واضطر خصماءه أن ينزلا على  
حكمه ومعترفوا بعلمه ونهشا إلى الحق (٣) .

كذلك فإن ذلك الجدل الشفوي لم يكن يخلو

- 
- (١) طبقات الزبيدي : ٣١١ .
  - (٢) المصدر نفسه : ٢٨١ .
  - (٣) المصدر نفسه : ٢٩٩ .

من تعاليم للدلالة على سعة الرواية ، مثلما كانت حال أبي عمرو بن حجاج الذي كان ينحو نحو الغريب والتعقّر في اللفظ<sup>(١)</sup>. وحال سعيد بن الفرج المعروف بالرشاش فإنه كان أيضا شديد التعقير في كلامه<sup>(٢)</sup>. غير ان هذه الظاهرة الاخيرة من اقل الظواهر لدى لغويي الاندلس شيوعا ، وما ذلك الا لانهم سيشغلون بعد قليل بالمحافظة على سلامة اللغة دون الاسراف في انتحاء غرائبها . فمن الظواهر التي تلفت النظر في تاريخ اللغة في الاندلس تسرب الخطأ الى الكتابة . وقصة ابن فطيس الوزير الذي كتب الجخط بالطاء في رسالة وأنكر عليه الزهيدى ذلك ، فلم يصغ اليه ، ليست الا نموذجا واحدا من هذا الخطأ<sup>(٣)</sup>. وقد اشار الزهيدى الى ان هذا اللون من الخطأ ضمنه الشعراء اشعارهم واستعمله جلة الكتاب<sup>(٤)</sup>. ولا نظن ان كلام الزهيدى ينصرف الى عصره فحسب وانما ينصرف بنفس القدر الى مقدمات عصره .

## ٦ - حركة التأليف اللغوى حتى أواخر القرن الثالث :

ذلك هو حال النشاط الشفوى في ميدان اللغة . فاذا ذهبنا نتلمس النشاط في التأليف وجدنا ثمرة حفزت اليها مجالس التدريس من ناحية ، والاحتذاء للكتب المشرقية المهاجرة من ناحية أخرى . وأكبر ما يميز التأليف اللغوى في هذه الفترة عدم انفصاله عن الحديث . وذلك هو الاثر المباشر الذى تركه كتاب " الغريب المصنف " لأبي عبيد القاسم بن سلام في نفوس اللغويين الاندلسيين . فأبرز المؤلفات اللغوية التي ظهرت يومئذ انما تتعلق باللغة من حيث صلتها بغريب الحديث .

(١) طبقات الزهيدى : ٣١٢ .

(٢) المغرب ١ : ١١٤ .

(٣) لحن العوام : ٨ ، لم يذكر الزهيدى اسم الوزير ، وانما ذكره صاحب

الذيل والتكملة ، انظر : ٧٣ .

(٤) المصدر نفسه : ٧ .

وهؤلاء المؤلفون فريقان ، فريق ألف كتابا او كتبها ولكن المصادر لم تذكر شيئا عنها ،  
وفريق نعرف كتبهم بأسمائها . فمن الفريق الاول

- ١ - جودى النحوى ( - ١٩٨ / ٨١٤ ) ، وله تأليف في النحو (١) .
- ٢ - ابن ابي غزالة . له كتاب ألفه في العمريّة (٢) .
- ٣ - خصيب الكلبي . له كتاب مصنف في اللغة نحو مصنف ابي عبيد (٣) .
- ٤ - ابو بكر بن خابط المكثوف ( بكر بن خابط حسب رواية ابن الفريسي ) .  
له تأليف في النحو (٤) .
- ٥ - ابو الاصمغ عثمان بن ابراهيم السبر شقيقى . له تأليف في النحو (٥)
- ٦ - يحيى بن عبد الرحمن الملقب بالابيض ( - ٨٧٢ / ٢٦٣ ) . " الف في  
النحو كتابا اخذه الناس عنه " (٦) .
- ٧ - ابو الحسن مفرج بن مالك النحوى ، الملقب بالهغل . له كتاب في  
شرح كتاب الكماني (٧) .

#### ومن الفريق الثاني :

- ١ - عبد الملك بن حبيب ( - ٢٣٩ / ٨٥٤ ) (٨) . غلبت عليه شهرته في

- 
- (١) طبقات الزهيدى : ٢٧٨ .
  - (٢) المصدر نفسه : ٢٨١ .
  - (٣) المصدر نفسه :
  - (٤) المصدر نفسه : ٢٩٢ ؛ تاريخ ابن الفريسي ١ : ١١٢ .
  - (٥) المصدر نفسه : ٣٣٤ .
  - (٦) تاريخ ابن الفريسي : ٢ : ١٧٩ .
  - (٧) طبقات الزهيدى : ٢٩٢ .
  - (٨) ترجمته في : طبقات الزهيدى : ٢٨٢ ؛ تاريخ ابن الفريسي ١ : ٣١٢ ؛  
جذوة المقتبس : ٢٦٣ ؛ بغية الملتص رقم ١٠٦٣ ؛  
الديباج المذهب : ١٥٤ ؛ تذكرة الحفاظ : ٥٣٧ .



الفقه والحديث، ولكنه كان جامعاً لضروب الثقافة الإسلامية وقد ذكره ابن الفريسي في كتابه طبقات الأدباء فجعله صدراً فيهم وقال: إنه كان فقيهاً مفتياً نحوياً لغوياً نساباً اخبارياً عروضاً فائقاً شاعراً محسنًا مترملاً حاذقاً<sup>(١)</sup>. وله مؤلفات جمّة يهمنها منها في الجانب اللغوي كتابه في غريب الحديث. كذلك سماء ابن الفريسي في ثبت كتب عبد الملك. وأعاد ابن فرحون ذكره بهذا الاسم. ثم ذكر ابن الفريسي في ترجمة مجاهد بن أصبغ البجاني قوله "وقرأت أنا عليه كتاب شرح غريب العوطاً لابن حبيب"<sup>(٢)</sup>، ويبدو أنهما تسان من كتاب واحد<sup>(٣)</sup>.

٢- محمد بن عبد السلام الخشني (٢٨٦ / ٨٩٩)<sup>(٤)</sup>. رحل إلى العراق وغيره من البلاد، وكان من شيوخه محمد بن المغيرة، ومحمد بن وهب السمرى صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام وعنهما أخذ كتب أبي عبيد وأدخلها الاندلس. وقد أقام في هذه الرحلة متجولاً خمساً وعشرين سنة. وقلب عليه طلب الحديث وحفظ اللغة لأنه لقي في أثناء رحلته أيضاً كثيراً من أئمة اللغة كالسجستاني والرياشي والزيادي فأخذ عنهم كثيراً من كتب اللغة رواية الأصمعي، وغيره. وكان تدريس اللغة في قرطبة يشمل جانباً من نشاطه. وقد ألف في شرح الحديث كتاباً فيه من الغريب علم كثير.

٣- قاسم بن ثابت (٣٠٢ / ٩١٥)<sup>(٥)</sup>. رحل مع أبيه ثابت إلى

- 
- (١) الديباج المذهب : ١٥٤ .  
 (٢) تاريخ ابن الفريسي : ١٤٨ . (٣) راجع الديباج المذهب : ١٥٥ .  
 (٤) ترجمته في : طبقات الزبيدي : ٢٩٠ ، تاريخ ابن الفريسي ٢ : ١٦ ، جذوة المقتبس : ٦٣ ، بغية الملتبس رقم : ٢٠٢ ، تذكرة الحفاظ : ٦٤٩ .  
 (٥) ترجمته في : طبقات الزبيدي : ٣٠٦ ، تاريخ ابن الفريسي ١ : ٤٠٢ ، جذوة المقتبس : ٣١٢ ، بغية الملتبس رقم : ١٣٠٠ ، وانباء الرواة ٣ : ١٢ ، ١ : ٢٦١ ، بغية الوعاة : ٣٢٦ ، الديباج المذهب : ٢٢٣ ، فهرسة ابن خير : ١٩١ ، ونفع الطب : ٢ : ٢٥٥ .

المشرق سنة ٢٨٨ / ١٠١ ، وعني هو وأبوه بجمع الحديث واللغة . وكان قاسم مقدما بالمعركة في الغريب والنحو . وقد ألف كتابا في شرح غريب الحديث ومعانيه ، وهو المسمى بكتاب " الدلائل " ، وبلغ من جودته أن نال عليه ثناء العلماء . روى الزبيدي عن القاضي أنه قال : " لم يؤلف بالاندلس كتاب أكمل من كتاب ثابت في شرح الحديث ، وقد طالعت كتابا<sup>كتابا</sup> ألف فيها لديكم ورأيت كتاب الخشني في شرح الحديث وطالعت ما رأيته صنع شيئا ، وكذلك كتاب عبد الملك بن حبيب " (١) . وقد بلغ من إعجاب القاضي به أن أخذه على ولد القاسم وما كان ولده أهلا لأن يؤخذ عنه . وقال فيه ابن حزم : " ما شاء أبو عبيد الا بتقدم العصر " (٢) . وقال الحميدى ان ابنه ثابت زاد في هذا الكتاب زيادات ، وأظنه وهم في ذلك ، إذ أن المصادر الأخرى ذكرت أن ثابت الأب هو الذى أكمل الكتاب بعد أن شكل ابنه في حياته ، أما ثابت الابن فقد روى الكتاب من جده إذ كان صغيرا حين توفي أبوه (٣) . وعن ثابت الابن انتقلت روايته في سائر الاندلس على مر الزمن . ومن نظر الى طرق الرواية التي اشتهر ابن خير لهذا الكتاب عرف مبلغ ما أحرزه من شيوخ لدى علماء الاندلس من بعده . هذه ثلاثة كتب في اللغة ، أو ان شئت الدقة قلنا في غريب الحديث ، لم تصلنا . ولكنها اذا استأنسنا بحكم القاضي عليها عرفنا أن ثالثها ، وهو كتاب قاسم ، كان أكثرها اتقانا ، حتى عند مقارنته بأمثاله من كتب أهل المشرق . ولهذا قال الزبيدي : " لسو قال اسماعيل ( القاضي ) أنه لم ير بالمشرق كتابا أكمل من كتاب قاسم في معناه لما

(١) طبقات الزبيدي : ٣٠٦ .

(٢) جذوة المقتبس : ٣١٢ .

(٣) فهرسة ابن خير : ١١١ .

رددت مقالته<sup>(١)</sup> .

وفىما عدا ما تقلم ذكره من مؤلفات لغوية ونحوية ، عرفت اسمائها اولم تعرف ، لا نعرف جهدا آخر يستحق التوثيق سوى ما صنعه زيد بن سليمان الجبرى المعروف بالبارد ( - ٣٠٠ / ١١٣ ) ، فانه جمع بين الابهواب في كتاب الاخفش ، واقتدى الناس به ، وكانت الابهواب مفرقة (٢) .

## ٧ - أشهر المدرسين وتلامذتهم :

على أننا اذا اقتصرنا في النظر الى النشاط اللغوى على <sup>مصرنا</sup> التأليف عرفنا ذلك رؤية الجانب الاكبر من هذا النشاط المعتمد على حلقات التدريس . ففي هذه الحلقات تخرج اكثر تلامذة اللغة والنحو في الاندلس ولم يكن المرتحلون الى المشرق العائدون بالكتب المشرقية الا أساتذة لاولئك العشرات من الطلبة الذين اتجهوا وجهة الدراسات اللغوية والنحوية . وليس من اليسير ان نحصر اساتذة اللغة في هذا المقام وتلامذتهم الذين غلبت عليهم الثقافة اللغوية . ولهذا اكتفي بأن أعرض ثلاثة نماذج متفاوتة للتعرف الى الجهود الدراسية في ميدان اللغة ، وعدد من تخرج في هذه الدراسات ممن أصبحوا حملة اللغة في القرن التالي .

(١) طبقات الزبيدي : ٣٠٦ ؛ أقول ، وقد بلغ من ا كبار الاندلسيين لهذا الكتاب أن حملوا قول القالي " لم يؤلف بالاندلس " - ولم يقل " لم يؤلف بالمشرق " محملا نسبوه فيه الى التعصب ( انظر تاريخ ابن الفريسي ١١ / ٤٠٣ ) .

(٢) طبقات الزبيدي : ٣٠٨ ؛ والتكملة : ٣٣١ . وذكر القفطي هذا ضم في انباء الرواة ٢ : ١٥ ؛ ونغية الرواة : ٢٥٠ . وأغلب الظن ان الاخفش المشار اليه هو سعيد بن مسعدة الاوسط ، المتوفى سنة ٢١١ / ٨٢٦ او ٢١٥ / ٨٣٠ . اما كتابه المشار اليه فليس من اليسير تعيينه لان له عدة كتب ( انظر الانباء ٢ : ٤٢ ) .

وأبرز المدرسين اللغويين ممن تخرج على يديه أكبر عدد من الطلبة هو قاسم  
 بن أصبغ البيماني<sup>(١)</sup>. وقد سمع في رحلته من علي بن عبد العزيز تلميذ أبي عبيد كما  
 سمع من ابن قتيبة والمبرّد وشعلب . ولكن الطلبة كانوا أكثر إليه اقتبالا ليدرسوا  
 عليه كتب ابن قتيبة . وهذا جدول بدارسي اللغة الذين أخذوا عنه<sup>(٢)</sup> :

---

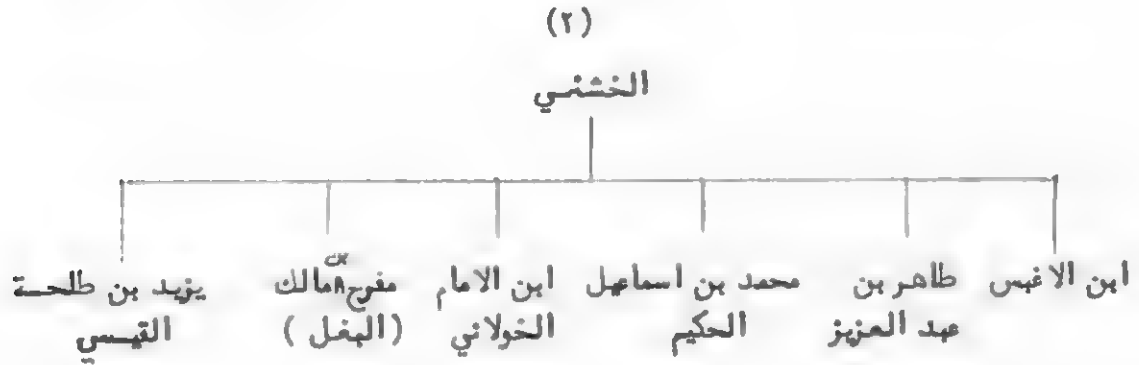
(١) ترجمة قاسم بن أصبغ في تاريخ ابن الفري ١ : ٤٠٦

(٢) اعتدت في حصر أسماء الطلبة على كتابي ابن الفري والزبيدي ، والاول منهما  
 أكثر ضاية بذكر الشيخ والطلاب في الترجمات التي أوردها .

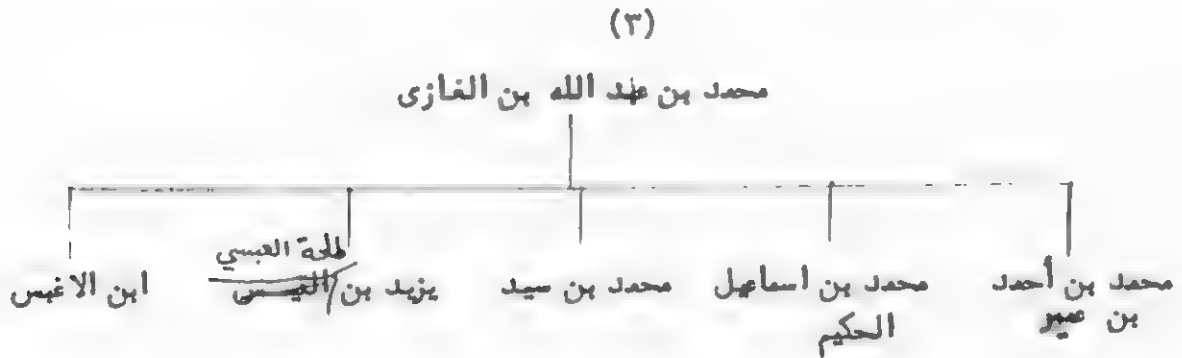
فاطمه بنت ابي



فهؤلاء ستة عشر تلميذا ممن درسوا على قاسم ثم كانت اللغة أهم بضاعة لهم . وثاني هؤلاء المدرسين هو الخشني ، وليست قلة العدد في تلامذته دليلا على أنه كان أقل حظا من قاسم بن أصبغ ولكن أكثر الطلبة الذين درسوا على الخشني انما اتجهوا وجهات علمية أخرى غير الوجهة اللغوية . وهذا جدول بأهم تلامذة الخشني اللغويين



والنموذج الثالث يمثل محمد بن عبد الله بن الغازي ، وهذا جدول بتلامذته



وتطلعنا هذه الجداول الثلاثة على الحقيقتين التاليتين :

(١) أن الطالب لم يكن يكتفي بالتردد الى مدرس واحد ومن أمثلة ذلك الحكيم

(٢ ، ٣) ويزيد بن طلحة (٢ ، ٣) وابن الامام الخولاني (١ ، ٢)

(٢) أنه لم ينل من هؤلاء الطلبة شهرة العالم في القرن التالي سوى اثنين هما

الزبيدي وابن القوطية ، وهما تلامذة قاسم بن أصبغ .

وهؤلاء جميعا سيكونون أساتذة اللغة في القرن الرابع هم والمبكرون في الاخذ عنهم من تلامذتهم . وباستثناء الزبيدي وابن القوطية كان من الممكن أن تظل صورة القرن الرابع من حيث النشاط اللغوي المحلي تديبا ومناقشة وما الى ذلك من نشاط شفوي . وليس من استباق القول في هذا الوطن أن أشير الى أن صورة القرن الرابع اللغوية قد تغيرت كثيرا من هذا ، اذ كانت حافلة بالوان من التأليف اللغوي المتنوع . ومعنى ذلك أن هناك عوامل تدخلت في توجيه الحياة اللغوية في ذلك القرن ، وهي ما سنقف عنده في الفصل التالي .

#### ٨ - هل كان هذا النشاط اللغوي النحوي وقفا على العناصر العربية في الاندلس :

ذلك سؤال قد يضطر الدارس الى طرحه في كل حقبة من

حقب هذه الدراسة ، ولكن اهميته في هذا المقام اشد ، لان الاجابة عليه يمكن ان تصور لنا الى اى حد تعرّبت العناصر غير العربية في الاندلس ، واقبلت تشاكر بجهودها في دراسة اللغة العربية .

ان التراجم التي وصلتنا لهؤلاء العلماء لا تشير دائما الى انسابهم ، كما ان النسب العربية التي تطلق عليهم لا تدل على انهم عرب أصالة ، اذ كان من حق الموالي ان يتخذوا تلك النسب . ولكن الاخبار اليسيرة التي لدينا تدل على ان الموالي والبربر وبعض المولدين الأندلسيين شاركوا في هذا النشاط . فكان الاقشيق

مولسى الامير منذر بن محمد<sup>(١)</sup>. وكان عافى بن سعيد مولسى بنى سيد<sup>(٢)</sup>. وكان والد عباس بن ناصح عبدا لمزاحمة بنت مزاحم الثقفي<sup>(٣)</sup>. وكان محمد بن زيد مولى الامير عبد الرحمن بن الحكم<sup>(٤)</sup>. وكان قاسم بن أصبغ مولى امير المؤمنين الوليد بن عبد الملك. وكان ثابت وابنه قاسم من أصل بهرى ينتسبان الى عوف بالولاء، قال زكريا بن خطاب: "هم من البهر يتولون زهرة بن كلاب"<sup>(٥)</sup>. وقال ايضا في حديثه عن ثابت: "هو مولى بنى زهرة مولى علاة، وهم من البهر، وانتاء البهر الى ولاء زهرة في ذلك الشجر وذلك المشرق (سرقطة) كثير جدا لا ترى أحدا من البهر يذكر ولاء زهرة، الا الشاذ منهم"<sup>(٦)</sup>. ومن اشهر من عرف باللغة من مسلة الذمة عبد الله بن عمر بن الخطاب من أهل اشبيلية<sup>(٧)</sup>. ويقال ان عبد الملك ابن حبيب السلي انما كانت نسبه الى سليم بالولاء وقيل انه من أنفسهم<sup>(٨)</sup>.

(١) طبقات الزهيدى : ٣٠٥ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٣٤ .

(٣) المغرب : ١ : ٣٢٤ .

(٤) طبقات الزهيدى : ٣٣٥ .

(٥) فهرسة ابن خير : ١٩٣ .

(٦) المصدر نفسه .

(٧) تاريخ ابن الفريسي : ١ : ٢٥٥ .

(٨) الديباج المذهب : ١٥٤ .



## الكتاب الثاني

الحركة اللغوية بالاندلس

في القرن الرابع الهجري

## الفصل الثاني

### عوامل النهضة اللغوية ومظاهرها في هذا القرن

#### ١- العوامل الجديدة

##### أ- تمهيد :

هذا هو مصر عبد الرحمن الناصر ( ٣٠٠-٣٥٠ / ١١٣-١٦١ ) وابنه الحكم المستنصر ( ٣٥٠-٣٦٦ / ١٦١-١٧٧ ) والحاجب المنصور بن أبي عامر ( - ٣٩٢ / ١٠٠٢ ) على التوالي . وفيه بلغت الاندلس ذروة المجد السياسي والوحدة السياسية في ظل الأميين والعاميين ، كما بلغت فيه قرطبة من العمران أقصى ما وصلت إليه ، فأصبحت الدولة خلافة ( بعد ان كانت إمارة ) تشمل أكثر أجزاء الاندلس ، فهي تهيمن على الانظار في الناحيتين السياسية والحضارية . أما في الناحية السياسية ، فأية هذا الذي بلغت أصداء شهرتها في العالم الخارجي تلك الوفود التي وفدت في أيام الناصر وابنه الحكم لتعقد أواصر التحالف والصداقة مع الدولة الأموية في الأندلس . ذكر صاحب النفع نقلا عن ابن حبان وغيره انه " لم يبق أمة سمعت به ( أي الناصر ) من ملوك الروم والفرنجة والمجوس وسائر الأمم الا وفدت عليه خاضعة راغبة وانصرفت عنه راضية ومن جملتهم صاحب القسطنطينية العظمى ، فانه هاروا ورغب في موافقته ، وكان وصول أرساله في صفر سنة ٣٣٨ / ١٤١ (١) ، او ٣٣٦ / ١٤٢ ، حسب قول ابن خلدون (٢) . كذلك ترددت مثل هذه الوفود الى قرطبة أيام ابنه الحكم

---

(١) نفع الطب ١ : ٣٤٣ ، وأزهار الرياض ٢ : ٢٧٢

(٢) تاريخ ابن خلدون ٤ : ١٤٢ .

المستصر<sup>(١)</sup>. ولم تكن هبة الحكم في أيام المنصور بأقل مما كانت عليه في أيام الناصر والحكم المستصر . وأما في الناحية الحضارية فان قرطبة والزاهرة والزهاء على مقربة منها أصبحت مثلثا نموذجيا لأرقى ما بلغته المدنية يومئذ في شكلها العادي . وكان كل هذا يتطلب اهتماما خاصا بالنواحي الثقافية حتى تكتمل الصورة الحضارية . فاذا قلت ان هذا العصر يتميز بنهضة عامة في نواحي العلم بالنسبة للعصر السابق فما ذلك الا لأن عوامل ايجابية جديدة قد دخلت في توجيه الحياة الثقافية في هذه الفترة . وليس من قبيل الرمز أن أقول ان هذا العصر افتتح بانشاء اكبر مكتبة عرفتها الاندلس واختتم بخراب هذه المكتبة . فقد اتفق أن كانت البداية بداية ارتفاع الخط الحضاري والثقافي في تاريخ الاندلس، وكانت النهاية تهدر الوحدة السياسية والمجد السياسي ، وخراب العمران الذي شهدته قرطبة في عصرها الذهبي . يقينا ان العوامل السابقة من : رحلة الى الشرق ، وهجرة للكتب المشرقية ، ونشاط في حلقات التدريس، وحيوية مفرقة في التأليف، ظلت تفعل فعلها في هذا العصر كما فعلت في العصر السابق ، ولكن انضات اليها عوامل جديدة جعلت جانبها من هجرة الكتب ومن حركة التأليف والتدريس نفسها امرا قائما على التنظيم والتشجيع الرسمي . وفي هذه العوامل الجديدة يعزى اكثر الفضل للحكم المستصر الذي أشرف على تنفيذ المخططات الثقافية يوم كان وليا للمهد في حياة أبيه ، يوم أصبح خليفة بعده<sup>(٢)</sup>. فقد كان الحكم نفسه مثقفا ، ويمكننا دون عناء ان نعد واحد من علماء الاندلس في هذا العصر،

(١) راجع نفع الطيب ١ : ٣٦٠ وأزهار الرياض ٢ : ٢٨٨ وفي المقتبس، (مخطوطة مدريد) أخبار ضافية عن كثير من هذه الوفود بين ٣٦٠ - ٣٦٣ هـ / ٩٧١ - ٩٧٣ .  
(٢) راجع تشجيع الحكم لضرب الثقافة العامة في كتاب : تاريخ الأدب الاندلسي - مصر سيادة قرطبة : ٤٣ - ٥٢ وقد وردت فيه اكثر الروايات التي استشهدت بها هنا .

وتلميذا لا كبر استاذين شهدناهما في العصر الماضي ، وهما : القاسم بن أصبغ والخشني ، " وكان في المعرفة بالرجال والاخبار والانساب أحوزيا نسيج وحده ، وكان ثقة فيما ينقل " (١). وذكر ابن الأثير انه " قلما وجد كتاب من خزائنه الا وله فيه قراءة او نظر في اى فن كان ، ويكتب فيه نسب المؤلف ومولده ووفاته ، ويأتي من بعد ذلك بفرائب لا تكاد توجد الا عنده ، لعنايته بهذا الشأن (٢).

### ب - جهود الحكم في النهضة اللغوية :

ونستطيع ان نتبين ما آداء الحكم من جهود ثقافية وخاصة ما كان منها يمسّ موضوع هذه الدراسة في الأمور الاتية :

١ - انشاء مكتبة عامة تابعة للقصر : " كان الحكم يستجلب المصنفات من اقاليم والنواحي ، باذلا فيها ما أمكن من الأموال حتى ضاقت عنها خزائنه ، وكان ذا غرام بها قد آثر ذلك على لذات الملوك " (٣). وقال ابو محمد بن حزم " كان محبا في العلم ملأ الاندلس بجميع كتب العلوم واخبرني تليد الفتى وكان على خزانة العلوم بقصر بني مروان بالاندلس ان عدد الفهارس التي كانت فيها تسمية الكتب اربع واربعون فهرسة ، في كل فهرسة خمسون ورقة ، وليس فيها الا ذكر أسماء الدواوين فقط " (٤). وكان جمعه لهذه الكتب يعتمد على تجّار يرسلهم الى الاقطار او يبعث الى المؤلف نفسه فيطلب نسخة من كتاب ألفه ، كما فعل مسع ابي الفرج الاصبهاني حين أرسل اليه بألف دينار ليحصل منه على نسخة من كتاب

(١) نفح الطيب ١ : ٣٧١

(٢) الحلة السراء ١ : ٢٠٢ ونفح الطيب ١ : ٣٧١

(٣) نفح الطيب ١ : ٣٧١

(٤) جبهة انساب العرب : ١٠٠ (الطبعة الثانية) ، وانظر النفح ١ : ٣٦٢ ، والحلة السراء ١ : ٢٠٣ ، وذكر صاحب النفح ان في كل فهرسة عشرين ورقة .

الاغاني<sup>(١)</sup>، ووظف له نسخا في بغداد وغيرها لاستنساخ الكتب وارسالها الى الاندلس وكان من ورائه بهنداد محمد بن طرخان<sup>(٢)</sup>. كما رتب في جناح بقصره في قرطبة " الحدائق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والاجادة في التجليد"<sup>(٣)</sup>، "وتسامع الناس بشغفه بالكتب ونفاقها عليه فحملت من كل جهة اليه والملك سوق ما نفق فيها جلب اليها"<sup>(٤)</sup>. ومن الطبيعي ان تحتل الكتب اللغوية مكانها اللائق بها في هذه المكتبة لان شغف الحكم بالكتب لم يكن فيه اشارة لعلم على آخر. قال صاعد: " واستجلب من بغداد ومصر وغيرها من ديار المشرق عيون التواليف الجليلة والمصنفات الغريبة في العلوم القديمة والحديثة"<sup>(٥)</sup>. وبعد أسطر من هذا النص نستدل على ان المكتبة كانت تحوى كتباً في علوم المنطق وعلوم النجوم والطب والحساب واللغة والنحو والاشعار والاخبار والفقه والحديث وغيرها. فاللغة اذن من الموضوعات التي عني الحكم بكتبتها في ما عني.

وكان جمع الحكم لهذه الكتب حافزا على الاقتداء، وسرعان ما أخذ السراة في قرطبة يقلدون الخليفة بانشاء مكاتب خاصة<sup>(٦)</sup>. ومن أشهر هذه المكاتب مكتبة ابن فطيس التي كان يعمل فيها ستة من النساخين ولها أمين خاص. ويقول الاستاذ خوليان ربييرا في مقاله القيم عن المكتبات وهواة الكتب في اسبانيا الاسلامية: " ان تأسيس المكتبات لم يكن قاصرا على الاثرياء وحدهم، بل انما نجد هذه الرغبة أيضا بين الطبقات الفقيرة التي تعيش على كسب ايديها. ونذكر

(١) نفح الطيب ١ : ٣٦٢ .

(٢) انظر الحلة السراء ١ : ٢٠٢ .

(٣) نفح الطيب ١ : ٣٦٢ .

(٤) الحلة السراء ١ : ٢٠١ .

(٥) طبقات صاعد ١ : ٦٦ .

(٦) راجع حضارة العرب لبروفنسال : ٦١ .

هنا على سبيل المثال مكتبة معلم مدرسة فقير هو محمد بن حزم وكان يعيش على ما يكسبه من التدريس للأطفال ، يساعد في ذلك ابن له يتعهد الصبيان وابنة تتعهد البنات . وقد خص المبالغ الضئيلة التي كان يستطيع ادخالها لشراء الكتب ، كما استغل اوقات الفراغ بين الدروس لنسخ ما كان يستعيره اصدقاؤه <sup>(١)</sup> . كذلك شاركت المرأة الاندلسية في جمع الكتب وفي نسخها ، فكان في الرض الشرقي من قرطبة مائة وسبعون امرأة لنسخ المصاحف بالخط الكوفي <sup>(٢)</sup> . وهذه العناية بالنسخ وجمع الكتب - وهي عناية استتمر وتزايد طوال هذا العصر والعصر التالي - جعلت مجال الاطلاع ميسرا لفئات كثيرة ، فأصبح تداول الكتب سهلا على الطلاب والمثقفين .

٢ - حفز الهمم الى التأليف واغداق العطاء على المؤلفين ، واكرام العلماء بصنوف التقدير : وهذه ناحية تضم اتجاهات علمية كثيرة ، فيها التأليف في الانساب والحديث والفقه وجغرافية الاندلس وتاريخها وتراجم قضاتها وأدبائها وغير ذلك . ولكن ما يهمنا منها هو الناحية اللغوية . وانا على مثل اليقين بأن الحكم اولها أيضا من عنايته مثل ما أولى سائر العلوم ، فنحن مدينون للحكم بحفز الزبيدي الى كتابة مؤلفه القيم في طبقات النحويين واللغويين في المشرق والاندلس وفيه من تراجم اللغويين والنحويين الاندلسيين ما أصبح معتمدا لكل مؤلف في هذا الموضوع من بعد ، وذلك هو القسم الذي اعانني على تصوير بواكير الحياة اللغوية في الاندلس حتى مطلع القرن الرابع . وتدل مقدمة الزبيدي على هذا الكتاب أن الحكم لم يقف عند حد الاقتراح بل حدد للزبيدي الشكل الذي سيتخذه

(١) مجلة معهد المخطوطات ، مجلد ٤ : ٩٢ ، نقلا عن التكملة ٣٥٨

(٢) مقالة بهيرا ، نقلا عن المعجب : ٢٤٨ .

تأليفه ، وأمدّه بعنايته وعلمه وأوسع من روايته وحفظه (١). ولعل كتاب لحن العوام  
 انما ألف أيضا طلبا لرضي الحكم واستمدادا لفضله ، ان لم يكن قد ألف بطلب منه (٢).  
 وكذلك مختصر العين كما أهيّن ذلك في موضعه . وما كان حرص الحكم على  
 الزيدى وكرامه لابي<sup>علي</sup> القالي ، كما سأوضح بعد قليل ، الا ترسيخا لاصول النهضة  
 اللغوية حينئذ . ولم يكن القالي والزيدى هما الوحيدين بين علماء اللغة اللذين  
 نالا تقدير المستصر وكرامه ، بل كان هذا التقدير يشمل عددا كبيرا من العلماء  
 بينهم بعض علماء اللغة وان لم ينفردوا بالاتجاه اللغوي . من هؤلاء عهد الله بن محمد  
 المعروف بالسري ، وكان عالما بالعدد والهندسة ، وهو في الوقت نفسه امام فسي  
 النحو واللغة ، " وكان الحكم المستصر بالله يعظه ويؤثره " . الا ان الرجل كان  
 زاهدا في شئون الدنيا (٣).

٣ - التدقيق العلمي في الأصول اللغوية : كان الخليفة الحكم ذا اهتمام خاص  
 بأن تكون الأمهات في كل علم صحيحة الأصول لا مسرب فيها للخطأ والتصحيف .  
 وقصته في اعتماد نص صحيح دقيق من كتاب " العين " تدل على ذلك . فقد كان  
 في أثناء جمعه لمختلف الكتب قد حصل على نسخ كثيرة<sup>التصحيح</sup> من كتاب " العين " ، ومنها  
 النسخة التي كان قد رواها بمصر القاضي منذر بن سعيد الهلوطي ، فجمع الحكم أربعة  
 من أكبر علماء اللغة في قرطبة ، وهم : ابو علي القالي ، ومحمد بن ابي  
 الحسين ، وابنا سيد ، وطلب اليهم المقارنة بين النسخ لاستخراج نسخة دقيقة  
 الضبط يقرها هؤلاء الاعلام (٤). ولو وصلتنا اخبار تفصيلية عن هذه النواحي

(١) انظر طبقات الزيدى : ٩ - ١٠

(٢) انظر لحن العوام : ٩

(٣) طبقات الامم : ٦٢ - ٦٨

(٤) جذوة المقتبس : ٤٧ - ٤٨

لوجدنا ان كتاب العين لم يكن بهذا <sup>بهذه</sup> العناية ، فنحن نعلم ان المستصر قد أسند وظيفة المقارنة بين الكتب الى علم من أعلام اللغة هو الراهي ووسع له في السزل والجراية (١).

٤ - الترجمة : لعمل هذه الناحية أضعف من سواها في الاندلس ، اذا نحن قارناها بما كان يتم في بغداد في عصر الرشيد والأمين . فقد كان بإمكان الحكم ان يستورد الكتب المترجمة من المشرق دون أن ينفق جهدا مستأنفا في ترجمتها . وعلى هذا وصلته كتب كثيرة في علوم الاوائل مما كانت ترجمته قد تمت في المشرق . ولكن الذي يلفتني الى هذه الناحية وصول كتابين هدية من امبراطور القسطنطينية ، هما كتاب هروشيوس Paulus Orosius في التاريخ ، وكتاب ديوسقوريدوس في النبات . اما الكتاب الأول فقد قال فيه ملك القسطنطينية في رسالته الى عبد الرحمن الناصر : " أما كتاب هروشيوس فعندك في بلدك من اللاتينيين من يقرؤه باللسان اللاتيني وان كاشفتهم منه نقلوه لك من اللاتيني الى اللسان العربي " (٢). وقد ترجمه للحكم المستصر قاضي النصارى وترجمانهم بقربطية وقاسم بن أصبغ (٣). وأما كتاب ديوسقوريدوس فانه كان مكتوبا باللغة الاغريقية مصورا ، ولم يكن بقربطية من نصارى الاندلس من يقرأ اللسان الاغريقي فبقي في خزانة عبد الرحمن الناصر دون ان يترجم . فلما ردّ الناصر على رسالة امبراطور القسطنطينية سأله ان يبعث اليه به رجل يتكلم الاغريقية ليعلم له عبيدا يكونون مترجمين ، فبعث اليه الامبراطور براهب يسمى نيقولا ، وصل الى قرطبة سنة ٩٠١/٣٤٠ ، فاجتمع بقوم من المهتمين بشئون العقائير فتعاون معهم

(١) طبقات الزهيدى : ٣٤٠

(٢) صيون الانباء : ٣ : ٧٦ ، طبعة بيروت ، وتاريخ هروشيوس اثر اسباني (راجع تراس : ٥٣)

(٣) تاريخ ابن خلدون : ٢ : ٨٨ ، ومقدمة كتاب طبقات الاطباء والحكماء لابن جليل : (كط)



على تصحيح اسماء العقائير في ذلك الكتاب بالوقوف على أعيانها في مدينة قرطبة<sup>(١)</sup>. وترجمة هذا الكتاب وتعيين اسماء الحشائش فيه بدقة من الامور التي اضافت الى الثقافة اللغوية . فقد ظل علم النبات قربنا لعلم اللغة من حيث المعجم الجديد الذي كان يضيفه الى المعجم العربي عامة . وأما فيما يتصل بغير هذين الكتابين فلا نعرف اهتماما آخر بالترجمة يغني اللغة العربية كما حدث في حقل الترجمة بالشرق .

٥ - استقدام العلماء للعمل في قرطبة : وفد على الاندلس بتشجيع من الحكم عدد من علماء الأماصار ليعاونوا في النهضة الثقافية ، وليجدوا حظوظ انفسهم أيضا . ومن ذوى الاتجاه اللغوي فيهم " ابو الحسين بن الفارس وهو من أهل حلب روى بالشرق عن جماعة من الشاميين والبصريين ، ووفد على المستنصر بالله فأجرى عليه وتوسع لـه وقرا عليه الناس كثيرا شيوخا وشبانا ، وقرا عليه ابو بكر الزبيدي - رحمه الله - ومن قرا على الزبيدي . ومات سنة ٣٧٦ / ٩٨٦ " (٢). وأبرز شخصية بين المهاجرين أبو علي القالي الذي وفد من بغداد باستدعاء من الحكم نفسه في الأرجح . وتلقاه الحكم والناصر بالحفاوة والاكرام . ولم تكن هجرة القالي الى قرطبة أمرا عاديا نقف منه كما نقف من هجرة أى رجل آخر ، بل كانت هجرة ذات أثر بعيد في الحياة اللغوية بالاندلس ، فقد تمثل أثرها في النشاط الذى أشاره القالي من حوله في قرطبة والزهراء . فقد كان يعملى أماليه على طلبته بالزهراء كل يوم خميس ، ثم زاد فيه فبلغه ستة عشر جزءا للعامة ، ثم زاد فيه فبلغه عشرين جزءا للحكم<sup>(٣)</sup>. وتمثل هذا النشاط في كبار التلامذة الذين التفروا من حوله وتخرجوا به ، وفي حلوله من نفوس هؤلاء الطلبة رمزا لما يمكن أن يمثلها العالم الحق ، وفي

(١) جون الانباء . ٣ : ٧٦ - ٧٧

(٢) فهرسة ابن خير : ٤٠٨

(٣) المصدر نفسه : ٣٢٥

الكتب التي جلبها معه مقرونة على العلماء محققة الأصول . فقد جلب معه دواوين الشعر الجاهلية والإسلامية مثل شعر ذى الرمة والحطيئة وعمر بن قتيبة والناهمية والشماخ والأعشى وأوس بن حجر والأخطل وأمرى القيس ونقائض جرير والفرزدق إلى غير ذلك مساعدته ابن خير في فهرسته<sup>(١)</sup>. وهي دواوين قرأها على العلماء أمثال نبطويه وابن دريد ، وتعدّ أصول الشواهد اللغوية . كذلك حدث الأندلسيين بكثير من أمهات كتب اللغة ، ككتاب نوادر اللحياني ونوادر أبي زياد الكلابي والاضداد لشعرب وكتب يعقوب بن السكيت ، ومنها القلب والابدال وكتاب الاصوات وكتاب الفرق وكتاب خلق الانسان وكتاب النبات وكتاب الاضداد . وحدث أيضا بكتاب الفرق لثابت بن أبي ثابت وكتاب الخيل لأبي عبيدة وكتاب الاضداد للتوزي وغيرها<sup>(٢)</sup>. وكل هذا يشير إلى أن أبا علي قد زاد من رسوخ الأندلس في الموروث العربي وأتاح لطلاب اللغة والأدب دراسة منظمة قريبة المتناول لكتب كانوا يرحلون لقراءتها على العلماء . أما جهوده في التأليف فنوف أوليها عناية خاصة في موضعها من هذا الفصل<sup>الكتاب</sup> .

### ج - المنصور بن أبي عامر وأثره في النهضة اللغوية :

ولم يكن المنصور بن أبي عامر مقصرا عن سابقه في التشجيع الثقافي والتأني له من نواحيه المختلفة . ولكن الذي أخطه في سياق هذه النهضة الثقافية أمران هامين :

الأول : تلك الثورة التي أعلنها المنصور على علوم الأوائل ، فاستخرج كتب الفلسفة والمنطق من مكتبة الحكم المستنصر وأحرقها على الملأ ، قال صاعد : " وعد أول تغلبه عليه (على هشام المؤيد، ابن الحكم) إلى خزائن أبيه الحكم الجامعة للكتب المذكورة وغيرها

(١) فهرسة ابن خير : ٣٩٥ - ٣٩٧

(٢) المصدر نفسه : انظر صفحات متفرقة منه .

واراد (اقرأ واهرز) ما فيها من ضروب التآليف بمحضر خواص من اهل العلم بالدين وامرهم باخراج ما في جملتها من كتب العلوم القديمة المؤلفة في علوم المنطق وعلوم النجوم وغير ذلك من علوم الاوائل ، حاشا كتب الطب والحساب . فلما تميزت من بيان الكتب المؤلفة في اللغة والنحو والاشعار والاخبار والطب والفقه والحديث وغير ذلك من العلوم والمباحثات عند اهل الاندلس ، الا ما خلت منها في اثناء الكتب ، وذلك اقلها ، امر باحراقها وافسادها فأحرق بعضها ، وطرح بعضها في آبار القصر وهبّل عليها التراب والحجارة وغيرت بضرب من التغاير . وفعل ذلك تحببا للمسيح عوام الاندلس وتقبيحا لمذهب الخليفة الحكم عندهم ، اذ كانت تلك العلوم مهجورة عند أسلافهم مذمومة بالسنة رؤسائهم وكان كل من قرأها متبها عندهم بالخروج من الملة ومظنون به الالحاد في الشيعة (١).

الثاني : أن المنصور لم يكن متنوع الثقافة كالحكم المستنصر بل كان يميل حتى من بين العلوم الاسلامية الى ما كانت له صفة أدبية ، ويؤثر من بين هذا اللون أيضا ما كان أميل الى كتب الأسفار ، ولذلك نفق هذا اللون عنده ، فالتفت له فيه كتب متعددة منها كتاب لحيان بن ابي عبدة اسمه " ربيعة وعقيل " قال فيه ابن حزم " انه من املح ما الف في هذا المعنى " (٢) . ومنها تلك الكتب ذات الطابع القصصي التي كتبها صاعد البغدادي مثل كتاب الهجف بن غدقان بسن يشري مع الخنوت بن مخزوم بن أنيف ، وكتاب الجواس بن قعطل المذحجي مع ابنة عمه عفراء .

- (١) طبقات الامم ، صاعد : ٦٦ . ويرى بروفنسال أن هذه الحركة التي قام بها المنصور انما كانت تهدة لحركة المقاومة الناشئة بين المحافظين في قرطبة وأنه كان في قرارة نفسه أول من يقدر مدى ما في تلك الحركة من عدوان على حرمات الفن والعلم ( حضارة العرب : ٦٢ - ٦٣ ) .
- (٢) جذوة المقتبس : ١٨٤ .

وصاعد مؤلف هذين الكتابين هاجر الى الاندلس في حدود ٣٨٠ / ٩٩٠ .  
ويظن الحميري ان أصله من ديار الموصل وأنه دخل بغداد فعرف بالاندلس بنسبة  
البغدادى . " وكان عالما باللغة والآداب والاخبار سريع الجواب ، حسن الشعر ،  
طيب المعاشرة ، فكه المجالسة متعا " (١) . ويمثل في أيام المنصور بن ابي عامر ما  
كان يمثل به القالي في أيام الناصر وابنه الحكم . فهو مشرقى مثله وهو عالم في  
اللغة وقد لقي من اكرام المنصور مثلما لقيه القالي من اكرام صاحبه وألف للمنصور  
كتاب "النصوص" على نحو كتاب النوادر للقالي . وقد كان المتوقع من صاعد  
ان يكمل النهضة اللغوية التي وضع قواعدها ابو علي القالي ، وبمضي قدما بالأثر  
المشرقى الذى يقدره الاندلسيون كل التقدير . فهو لاجل هذا الغرض هاجر ، اعني  
ليعرض ما لديه من بضاعة لغوية ، قال القفطي : " وبلغه ان اللغة بالاندلس مطلوبة  
والآداب هناك مرغوب فيها من ملوكها ورعيتهما ، فارتحل الى الاندلس " (٢) . ولكن حالت  
دون ذلك حوائل ، منها : ١ - ميل المنصور نفسه الى جانب المتعة في كتب  
الاسمار ، مما حدا بصاعد الى ان يتوجه بهمه لارضاء الرجل الذى كانت الاندلس تدين  
لسلطانه يومئذ ، وقد شغف المنصور حقا بما كتبه صاعد في هذا الموضوع حتى قيل  
انه كان لشدة شغفه بالكتاب " الجواس " قد رتب من يقرأه بحضوره كل ليلة (٣) .  
٢ - كان صاعد نفسه متكسبا على غير ما كانت عليه حال ابي علي ، ولذلك قيل فيه  
انه كان حسن الطريقة في استخراج ما في ايدى الناس من الاموال (٤) . ومثل هذا

(١) جذوة المقتبس : ٢٢٣ ؛ وراجع ترجمة صاعد في : الذخيرة ١/٤ : ٢ - ١٣ ،  
المعجب : ١٩ ؛ نفع الطبيب ٤ : ٧٥ ؛ وفيها الايمان ٢ : ٨١ ؛  
انباء الرواة ٢ : ٨٥ ؛ بهيمة الرواة : ٢٦٧ .

(٢) انباء الرواة ٢ : ٨٥ .

(٣) معجم الادباء . ١١ : ٢٨٤ - ٢٨٥ ؛ انباء الرواة ٢ : ٨٦ .

(٤) جذوة المقتبس : ٢٢٣ ؛ الصلة : ٢٢٣ ؛ انباء الرواة ٢ : ٨٦ .

الميل جعله يؤثر ما يدر عليه كسبا فاتجه الى الشعر يستخدمه في الارتزاق حتى كادت شهرته في الشعر تغلب لدى الاندلسيين ايمانهم بشهرته في اللغة . ٣ - أراد المنصور ان ينافس به ما صنعه القالي في عهد الحكم . ويبدو ان هذا القصد لم يكن خافيا على تلامذة القالي ، فوقفوا موقف العصية لاستاذهم وحاولوا بكل الطرق الممكنة ان يبرزوا عيوب صاعد ، وان ينسبوا اليه التزبد والكذب (١) . وربما ساعدهم صاعد نفسه على ذلك ببعض التخلصات التي كان يسزوها لئلا تقطع به الحجة . واستارت هذه الاكاذيب مثيلات لها على طريقة التفكه والدعابة ، وامتلأ الجو في قرطبة بين طلاب اللغة بأن صاعدا مطرّح مجرّح العدالة لا يحسن الأخذ عنه . ومن ذلك ما يروونه ان المنصور سأله يوما " هل رأيت فيما وقع لك من الكتب كتاب القوال والزوال لبرمان ابن يزيد ، فقال : نعم رأيت بهفداد في نسخة لابي بكر بن دريد بخط كأكسرع النمل ، في جوانبها علامات للوضع هكذا وهكذا . فقال له ، أما تستحي أبا العلاء من هذا الكذب ! هذا كتاب عاملنا ببلد كذا يذكر فيه ان الارض قد قلبت وزلت ؛ فجعل يحلف انه ما كذب " (٢) . ومن هذه الروايات ان سأله يوما وقدامه تمر يأكل منه " ما التمر كل في كلام العرب ؟ فقال تمر كل الرجل تمر كلا اذا التف في كسائه " (٣) . وشاعت عنه حكايات كثيرة من هذا القبيل (٤) ، وأعتقد كما قدمت ان كثيرا منها قد اصبح يتردد طلبا للنادرة . ولكن مثل هذه السمعة كانت كافية لان تدين صاعدا لدى علماء اللغة في قرطبة ؛ وأكثرهم يموئذ من طلبه القالي . وقد نتساءل : ألم يغضب المنصور لهذا الذي رآه من فعل صاعد ؟ اكبر الظن ان المنصور

(١) انظر تاريخ الادب الاندلسي - عصر سيادة قرطبة ٦٠ - ٦١ .

(٢) جذوة المقتبس : ٢٢٤ - ٢٢٥ ؛ انباء الرواة ٢ : ٨٧ .

(٣) المصدر نفسه

(٤) نفح الطيب ٤ : ٨١ .

قد أعجب بروح الفكاكة وحسن الحديث لديه وبطيب معاشرته ، فظل يلاحظه بعنايته  
تقديرًا لهذه النواحي فيه ، ولكنه يش من أن يجعل منه ندا للقبالي صاحب  
الحكم في الناحية اللغوية .

وفي القصة التالية ما يدل على أن صاعدا لم يكن يستطيع الفلج حتى في  
مناظرة تلامذة القبالي . جلس المنصور يوما " وعنده إيمان ملكته ودولته من أهل  
العلم كالزبيدي والعاصمي وابن العريف ومن سواهم ، فقال لهم المنصور : هذا الرجل  
الوارد علينا صاعد يزعم أنه <sup>مقدم</sup> في هذه الآداب . . . وأحب أن يمتحن ما عنده ، فوجه  
إليه ودخل والمجلس قد احتفل فنجل ، فرفع المنصور مجلسه وآتته ، وسأله عن أبي  
سعيد السمراني ، فزعم أنه لقيه وقرا عليه كتاب سيبويه ، فبادره العاصمي  
بالسؤال عن مسألة من الكتاب ، فلم يحضره فيها من جواب ، واعتذر أن النحو ليس  
جل بضاعته ولا رأس صناعته ، فقال له الزبيدي : فما تحسن أيها الشيخ ؟ قال :  
حفظ الغريب ، قال : فما وزن أولق ، فضحك صاعد ، وقال : أمثلي يسأل عن هذا  
أنا يسأل عنه صبيان المكتب ، قال الزبيدي : فقد سألتك ولا نشك أنك تجهله ،  
فتغير لونه ، وقال : أفعل . قال الزبيدي : صاحبكم مخزوق ، قال له صاعد : أخال  
الشيخ صناعته الأبنية ، قال له : أجل ، قال صاعد : وضاعتي أنا حفظ الأشعار ،  
ورواية الأخبار وفك المعنى ، وعلم الموسيقى ، قال : فناظره ابن العريف ، فظهر  
عليه صاعد ، وجعل لا يجري في المجلس كلمة إلا انشد عليها شعرا شاهدا ، أو أتى  
بحكاية تجانسها ، فازداد المنصور عجبًا ، ثم أراه كتاب النوادر لأبي علي ، فقال :  
إن أراد المنصور أُمليت على متيدي خدمته وكتاب دولته كتابا أرفع منه قدرا وأجل  
خطرا أدخل فيه خيرا ما أدخله أبو علي ، فأذن له المنصور في ذلك . وجلس  
بجامع مدينة الزاهرة يعلّي كتابه المترجم بالفصوص ، فلما أكمله وتبعه أدباء الوقت لم

تمر فيه كلمة زعموا صحتها عندهم ، ولا خبر ثبت لديهم<sup>(١)</sup> . وهذه الحكاية على علالتها تدل على أن صاعدا كان واثقا من نفسه فيما يتصل بالشعر والرواية للاخبار، ولكنه لم يكن يثبت لامثال الزهيدى في علم الابنية والتصريف . وأيا كان الأمر ، فان روح التحدى للقالى قد أساءت كثيرا الى صاعد وجعلته غرضا لسهام المناوئين . أما أن أدباء الوقت لم يجدوا كلمة صحيحة في كتابه ولا خبرا صحيحا فالأمر يستدعي شيئا من التوقف والمناقشة .

فن كل ما تقدم يتبين لنا ان جهود صاعد في ميدان اللغة كانت محدودة، فلانعرف له كتابا ذا مسحة لغوية سوى كتاب الفصوص الذى أراد ان يهذه كتاب النوادر، بحيث يأتي أرفع منه وأجل دون أن يورد فيه خبرا مما أورده أبو علي . ومعنى هذا ان صاعدا اعتمد روايات وأخبارا لم يسمع بها الاندلسيون ولهذا قال علماءهم حين تنبهوه " فلم تمر فيه كلمة صحيحة عندهم ولا خبر ثبت لديهم " . وقد شبه ابن بسام الى ان تفرّد صاعد هو الذى ساق الى كتابه هذه التهمة فقال : " وما أظن أحدا يجترئ على مثل هذا (اى الوضع والكذب) وانما صاعد اشترط ألا يأتي الا بالغريب وغير المشهور<sup>(٢)</sup> . اما المادة التي يدور عليها هذا الكتاب فهي تجمع بين اللغة والاخبار لقول ابن خیر في تسمية الكتاب " كتاب الفصوص في اللغات والاخبار<sup>(٣)</sup> . وهذا الجانب اللغوى فيه يؤكد ردّ القزاز عليه في " مشاكير كتابه في النوادر والغريب<sup>(٤)</sup> . غير ان عنوان الكتاب لم يرد كذلك في جميع المصادر ، فقد جاء في الصلة نقلا من ابن حيان : " وجمع ابو العلاء للنصور محمد بن ابي عامر كتابا سماه الفصوص فسي

(١) الذخيرة ١/٤ : ٦-٧ ؛ وانظر نفح الطيب ٤ : ٧٦-٧٧ .

(٢) نفح الطيب ٤ : ٧٨ وهو بايجاز ومعض تلخيص لما جاء في الذخيرة ١/٤ : ٨ .

(٣) فهرسة ابن خیر : ٣٢٦ .

(٤) الصلة : ٢٠٤ .

الآداب والاشعار والاخبار" (١) فقد حذف ابن حيان هنا كلمة اللغات من اسم الكتاب .  
ومهما يكن من شيء فلا بد ان يكون فيه مشابه من نوادر القالي لأنه معارضة له ،  
وان يكون للغة فيه مقام وان لم يكن مقاماً بارزاً . وقد بدأ صاعد تأليفه هذا في شهر  
ربيع الأول سنة ٣٨٥ / ٩٩٥ وقضى فيه قرابة ستة أشهر اذ أكمله في شهر رمضان  
من العام نفسه (٢) . ولعل اضطراب الروايات التي شاعت عن تقبل هذا الكتاب أن  
تدلنا الى أي حد واجهت صاعدا مشاعر الحسد من معاصريه . فهناك رواية تقول ان  
علماء قرطبة أغرقوا كتابه المترجم بالفصوص ونهذوه ورموه في النهر (٣) . ورواية ثانية تقول :  
ان المنصور أغاظته مرة الاذيب صاعد فأمر باخراجه من مجلسه وأن يتخذ كتاب الفصوص  
في النهر . وتجيء هذه الرواية مؤيدة بقول بعض الشعراء :

قد غاص في النهر كتاب الفصوص      وهكذا كل ثقل يغوص

ورد صاعد بقوله :

عاد الى معدنه انما      توجد في قعر البحار الفصوص (٤)

وهاتان الروايتان لم يذكرهما الحميدى وابن بشكوال ، وانما ذكر الثاني منهما رواية ثالثة  
نقلا عن ابن حيان جاء فيها " ان المنصور أتابه عليه بخمسة آلاف دينار دراهم في  
دفعة واحدة وأمره ان يسمعه الناس بالمسجد الجامع بالزاهرة في عقب خمس وثمانين  
وثلاثمائة (٩٩٥ م) ، واحتشد له من جماعة اهل الادب ووجوه الناس أمة " (٥) .

والارجح ان الرواية الثالثة هي اوثق الروايات لان راويها ، وهو ابن حيان ، قد درس هذا

(١) الصلة : ٢٣٣ .

(٢) المصدر نفسه

(٣) الذخيرة ١ / ٤ : ٣ ، نفح الطيب ٤ : ٧٦ .

(٤) نفح الطيب ٤ : ٧٨ .

(٥) الصلة : ٢٣٣ .



الكتاب على مؤلفه سنة ٣٩٩ / ١٠٠٩ ، ومن طهريق ابن حيان وصلت رواية هذا الكتاب الى ابن خير<sup>(١)</sup>. فاذا كان الكتاب قد بقي في النهر حقا بأمر من المنصور فذلك يدل على غضة مؤقتة لم تلبث ان زالت اسبابها ، واذا كان علماء قرطبة هم الذين طرحوه في النهر فذلك خبر رمزي يشير الى نفورهم من رواية ما كان يدرسه صاعد في مسجد الزاهرة<sup>(٢)</sup>.

ومع ذلك فهناك عدد من التلامذة الذين درسوا على صاعد ، عرفنا منهم المؤرخ ابن حيان ، الذي قرأ عليه كتاب الفصوص . ومنهم أيضا عبد العزيز بن احمد بن مفلس القيسي الذي قرأ عليه اللغة<sup>(٣)</sup>. وهشام بن محمد المعروف بابن المصحفي ، وهو احد علماء اللغة في العصر التالي<sup>(٤)</sup> ، قرأ على صاعد كتاب اصلاح المنطوق ليعقوب ابن السمكيت<sup>(٥)</sup> ، وكان صاعد يرويه عن شيخه : السيرافي والفارسي . كذلك كان صاعد قد قرأ كتاب المداخل في اللغة من تأليف المطرز على الوزير ابن خثابة بمصر ، فلما عهد المصحفي الى ابن خشخاش بأن يدرس هذا الكتاب لحفيده ابي بكر طلب الى صاعد ان يحضر تلك الدروس<sup>(٦)</sup> .

(١) الصلة : ٢٣٣ ، فهرسة ابن خير ٣٢٦ .  
(٢) لا يزال الجانب الادبي لدى صاعد وما أثاره في الاندلس من معارشات شعبية ، وكذلك فترة اقامته في صقلية بحاجة الى دراسة . ولكن هذه الدراسة للجانب اللغوي عنده لا تتمحور لكل ذلك . كما ان الحكم الدقيق على كتاب الفصوص وقيمتها من الناحية اللغوية غير ميسر لي . فهناك نسخة خطية صحيحة محفوظة بخزانة جامع القرويين لم يتيسر لي الاطلاع عليها .

(٣) جذوة المقتبس : ٢٦٩ .

(٤) الصلة : ٦١٣ .

(٥) فهرسة ابن خير : ٣٣١ .

(٦) المصدر نفسه : ٣٥٨ - ٣٥٩ .

ولم يكن تشجيع المنصور للعلوم عامة وللفن خاصة قاصرا على حفاظه بصاعد وتمكينه من التدريس في الزاهرة بل كان يقرب اليه العلماء والادباء وكان له مجلس معروف في الاسبوع يجمع فيه أهل العلوم كلما كان مقيما بقرطبة ، اذ كانت غزواته المتكررة كثيرا ما تبعده عنها (١) . ولعمل المجلس الذي ضم الزهيدى والعاصي وابن العريف وصاعدا وغيرهم ممن لم ترد اسمائهم انما كانت نموذجا لهذه المجالس العلمية . كذلك حاول ان يتفوق على الحكم في اقتناء الكتب وفي تصحيح نصوصها واقتناء الأصول الدقيقة منها . فاهتم ابنه عبد الله اهتماما خاصا اثناء رحلته المشرق بتصحيح ومقابلة نصوص الكتب التي يدرسها او يحصل عليها (٢) . واتخذ لمكتبته قوما للتدقيق والضبط فكان محمد بن عبد الرحمن بن معمر اللغوى من أهل قرطبة هو المسئول عن تصحيح ومقابلة كتب المنصور وكتب ابنه ، وهو الذى اسس لهما مكتبتهما واستعان بهما فيهما من كتب في تأليف كتابه الذى وضعه من تاريخ بني عامر (٣) . وكان هذا الرجل كما وصفه ابن الأثير " من أعلم الناس بالكتب وعللها وألهمهم بجمعها وافرأهم لخطوطها وأنسبهم لها السى وراقها " (٤) .

## ٢ - العوامل التقليدية :

تلك هي العوامل البارزة التي ساعدت على النهضة اللغوية من تظلم للمكتبات ، وتوجيه في التأليف ، وتدقيق فيما يقتنى من أصول ، وإكرام للعلماء وحفز لهم على العمل واغرائهم بالقدوم الى الاندلس ، حتى كان هذا كله كأنما

(١) انظر الصلة : ٧٣ .

(٢) مقالة بهيرا مجلد ٥ : ٧٣ ، نقلا عن نفع الطيب .

(٣) مقالة بهيرا : ٧٤ ، نقلا عن التكملة : ٣٨٤ .

(٤) التكملة : ٣٨٤ .

يخضع لسياسة ثقافية مرسومة مخططة . ولكن العوامل التي شاهدها في العصر الماضي ظلت أيضا تعمل عليها الى جانب العوامل الجديدة : ظلت الرحلة الى المشرق والرواية من الشيوخ والعودة بالكتب المروية ، وظلت حلقات المؤيدين والمدرسين في المساجد ، من القوى الدافعة في تطوير النشاط اللغوي .

(١) فمن أشهر الراحلين الى المشرق في هذه الفترة ابو عبد الله محمد بن يحيى ابن عبد السلام الرهاحي ( - ٣٥٨ / ٩٦٩ ) الجبائي الاصل (١) وقد " لقي في رحلته ابا جعفر بن النحاس فحمل عنه كتاب سيبويه رواية " (٢). ولما عاد الى قرطبة عمل فيها مؤدبا جاهلا من داره ملقى للطلبة . وبعد الرهاحي حلقة الوصل بين النوع القديم من المؤيدين والاساتذة الاعلام أمثال القالي والزبيدي وابن القوطية . فقد رفع مستوى التأديب واهتم بالنحو ودقائق العربية اهتماما خاصا مقتبعا طرق أهل المشرق في هذه الناحية ، وجمع في شخصه بين المؤدب العام والخاص فكان في الحالة الاولى يلتقي بالطلبة من كل صنف في داره ، ثم اتخذ من بني حدير رعاية له ، وأخذ يعمل عندهم فيؤخذ عنه كتاب سيبويه ويعقد كل جمعة مجلسا للمناظرة في هذا الكتاب . وقد وصفه تلميذه الزبيدي فقال : " وكان حاذقا بعلم العربية دقيق النظر فيها لطيف المسلك في معانيها غاية في الابداع والاستباط " (٣). وانما تميز الرهاحي فيما نصب نفسه له لانه اطلع على طرائف أهل الكلام ، وحذق أصول المناظرة ، وتمرس باعمال القياس، وكان يتخير الأمور الدقيقة ويغوص في طلبها . ولعل تدرسه لكتاب سيبويه عن طريق المناظرة قد فتح مجالا لنوع جديد من التأديب لم يعهده الاندلسيون قبله ،

(١) راجع ترجمة الرهاحي في : طبقات الزبيدي : ٣٣٥ - ٣٤٠ .

(٢) طبقات الزبيدي : ٣٣٦ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٣٥ - ٣٣٦ .

ذلك لان الاندلسيين ظلوا بعينين عن أصول المناظرة الا في اليسير حتى ظهر ابن حزم .  
لكل هذا نعدّ الراحي معلما هاما في تاريخ اللغة والنحو بالاندلس ، ونرى فيه صورة  
الحوار السقراطي الذي حفز أمثال الزبيدي وغيره الى ما بلغوه من اتساع في الافق ودقة  
في التأليف .

ومن هؤلاء الراحين أيضا عبد السلام بن السمع الهواري ( - ٣٨٧ / ١٧٢ )<sup>(١)</sup>.  
وقد سمع بمصر من ابي جعفر بن النحاس وابي علي الآمد اللغوي ، وعاد الى الزهراء  
يدرس كتاب الابيات لسيبويه تأليف ابن النحاس وكتاب الكافي في النحو وغيرهما . ومنهم  
محمد بن مفسح<sup>(٢)</sup> ( - ٣٧١ / ١٨٢ ) الذي لقي أيضا ابا جعفر بن النحاس وروى عنه  
تأليفه في اعراب القرآن وفي المعاني والناسخ والمنسوخ وغير ذلك وكان أول من ادخل هذه  
الكتب الى الاندلس . ومنهم أحمد بن عبد الله بن الباجي<sup>(٣)</sup> ( - ٣٩٦ / ١٠٠٦ ) ، لقي  
كثيرا من الشيوخ في المشرق ولما عاد استوطن اشبيلية . وكان يحفظ غريب الحديث  
لابي عبيد وابن قتيبة . ومنهم محمد بن ابي علاقة الهواب القرطبي<sup>(٤)</sup> ( - ٣٢٥ / ٩٣٧ ) ،  
اخذ عن الزجاج وابن الانباري وابي الحسن الاخفش ونفطويه ، وسمع من الاخفش كتاب  
الكامل للسبرد .

وتدل اسماء الكتب التي قرأها هؤلاء الراحلون والعلماء الذين التقوا بهم ان  
الثقافة اللغوية النحوية بالاندلس كانت دائما تتغذى بما يجد في المشرق من اتجاهات  
ومؤلفات . ولو شئت ان استرسل في عدّ هؤلاء الراحين لذكرت كثيرا من أسماء هؤلاء  
العلماء ، ولكني أنحو منحى التثليل . وهذا لن يفوت علي ملحظا أدركته حين كلولت<sup>حاولت</sup>

(١) ترجمته في تاريخ ابن الفريسي ١ : ٣٣٢ .

(٢) تاريخ ابن الفريسي ٢ : ٨٤ .

(٣) الصلة ١٦ - ١٧ .

(٤) التكملة : ٣٦٢ .

أن احصر تراجم اللغويين الذين وردت أسماؤهم لدى ابن الفريسي وابن بشكوال وابن الأثير، وذلك أنني وجدت أن اللغويين الاندلسيين الذين رحلوا في هذه الفترة كانوا أقل بكثير من الذين علوا في الحقل اللغوي دون أن يبارحوا الاندلس. وقد عددت من غير الراحلين سبعة وأربعين عالما يقابلهم من الراحلين اثنا عشر. وإذا دلت هذه النسبة على شيء (مع الاذن فيها لبعض السهو والخطأ) فانما تدل على أن الاندلس قد اصبحت قادرة على ان تخرج اعلاما في اللغة والنحو دونما حاجة كبيرة الى الأخذ عن الشيوخ في المشرق، بل ان اكبر عالين اندلسيين من علماء اللغة، وهما الزبيدي وابن القوطية، لم يكونا من الراحلين في طلب العلم. ولعل ورود القالي الى الاندلس قد ساعد في استغناء الطلاب عن الرحلة لأن الاندلسيين رأوا في القالي خلاصة العلم اللغوي المشرقي، هذا اذا لم نحسب حسب الظروف السياسية كشاة الدولة الفاطمية في المغرب ومصر، وامتداد سلطتها على البر الافريقي والبحر واعتبار ذلك من العوامل التي تحول، بعض الشيء، دون المغامرة بالارتحال.

(ب) وظل مؤدب العامة يمثل دوره الذي كان له في العصر السابق، ولكن ربما كانت هناك عوامل خاصة، لعلها كامنة في طبيعة الاوضاع الاقتصادية، جعلت الحرص على تأديب أولاد الخاصة أظهر في هذا العصر، ويستوى في القيام بهذه المهمة عالم بارع مشهور مثل الزبيدي الذي انتدبه المستنصر لتأديب ابنه الحكم، مع سائر المتكسبين عن هذه الطريق، أمثال محمد بن خطاب النحوي الأزدي الذي كان يختلف اليه في علم العربية أولاد الاكابر وزوى الجلالة<sup>(١)</sup> ويشار الأعيى الذي اشترك في مناظرة صاعد، وأدب أبا جعفر بن عباس الوزير بالمدينة<sup>(٢)</sup>، وحسين بن

(١) جذوة المقتبس : ٥٠ .

(٢) التكملة : ٢٣٠ .

نصر ابن العريف الذي استأده المنصور لبنيه وقره من صحبته (١)، وابن أبي الحباب النحوى معلم المظفر عبد الملك بن المنصور العامرى (٢)، وغيرهم . إذ أن هؤلاء المسمى جانب الحظوة الخاصة التي كانوا ينالونها في تأديب أولاد الاعيان ، كانوا يجدون رزقا مكثولا ميسرا ، وهو رزق يتضمن - أحيانا - ثلاثة أمور : الراتب والحمالن (أى ما يحمل الى المؤدب من هدايا ) والعلوفة (٣).

### ٣ - المظاهر الكبرى

#### أ - ظهور الدارس اللغوى المتخصص

وفي سبيل أن تتصور المدى الذى بلغته ثقافة الطالب اللغوى من الاتساع نتخذ ابن سيّد مثالا على المثقف اللغوى حينئذ الذى مكنته ثقافته من ان يصبح عالما مؤلفا (٤)، فنجد انه قد قرأ الكتب الآتية على استاذة القالي : قرأ كتب القالي نفسه ، مثل : كتاب النوادر وزيهه ، وكتاب البار ، وقرأ الغريب المصنف لأبي عبيد ، والافاظ ليعقوب بن السكيت ، واصلاح المنطق له ، وأدب الكتاب لابن قتيبة ، واختيار فصيح الكلام لشعرب ، ولحن العامة للسجستاني ، والتذكير والتأنيث لابن الانبارى ، والجمهرة في اللغة لابن دويد ، والمقصود والمدود لابن الانبارى ، وكتاب فعلت وأفعلت وكتاب الفرق وكتاب الحشرات وكتاب الوحوش وكتاب الطير لابي حاتم ، وكتاب المثلث لقطرب ، وكتاب الملاحن لابن دويد وكتاب معاني الشعر وكتاب الانواء له أيضا ،

(١) تاريخ ابن الفري : ١ : ١٣٥ .

(٢) الصلة : ٢٥ .

(٣) انظر المقتبس الورقة : ٤٣ عند الحديث عن تعيين أحمد بن محمد بن يوسف مؤدبا للامير هشام ابن الحكم المستنصر .

(٤) ترجمة ابن سيّد في : بغية الملتبس : ١٥٩ ، الصلة : ١٤ ، بغية الوعاة : ١٢٦ ، معجم الادباء : ٢ : ٢٥٣ ، كشف الظنون : ١١٢١ ، روضات الجنات : ٦٥ .

وكتاب نوادر ابي زيد الانصارى وكتبه الاخرى مثل الهمز والمصادر واللغات والمقتضب والامثال والشجر والنبات الخ ٠٠ ، وكتاب اطرفش في اللغة لنفطويه ، وكتاب الاصمعي مثل كتاب الابل وكتاب الشاء وكتاب خلق الفرس وكتاب لحن العامة وكتاب خلق الانسان وغيرها ، وكتاب الاجناس لغلام الأصمعي ، وكتاب الفرق لثابت بن ابي ثابت وكتب ابن السكيت المختلفة وكتب ابي عبيدة وكتاب الاضداد للتوزي<sup>(١)</sup> وغير ذلك من الكتب . ولولا ان ابن خیر روى هذه الكتب عن طريق ابن سيّد لما استطعنا ان نتصور مبلغ ما كان يحصله دارس اللغة يومئذ . ولعل هناك كتباً اخرى لم يروها ابن خیر ، ولذلك فان اسماءها لم ترد في هذا الثبت .

وهذه حقيقة ترمى الى ظهور الدارس المتخصص في اللغة الذى قد يطلب علوماً اخرى ولكن اللغة تصبح هي ميدانه المفضل ، وقد أصبحت الكتب التي يدرسها ، بعد اتساع نطاق التأليف في المشرق وكثرة الكتب التي جاء بها القالي ، لا تحدد بكتاب أو كتابين أو بضعة كتب كما كان الحال في العصر السابق . وبالمقارنة بين العصورين نرى أن المشتغلين بالحديث - في الاكثر - ابان القرن الثالث هم الذين تولوا تدريس اللغة أو التأليف فيها ، مثل : قاسم بن أصبغ والخشني ، فكانت اللغة فرعاً من الثقافة الدينية لديهم ، أما في القرن الرابع فقد وضحت خطوط الاتجاه اللغوى وضوحاً ساطعاً وأصبحنا نستطيع ان نشير من بين المؤيدين والمدرسين الى طبقة من العلماء المختصين<sup>(٢)</sup> . وهذا كله نجم عن الظروف التي خلقتها تلك العوامل

---

(١) انظر صفحات متفرقة من فهرسة ابن خیر .  
 (٢) ليس من قبيل التفكير أن نلاحظ أن ثلاثة من هؤلاء المختصين شغل كل منهم منصب " صاحب الشرطة " في قرطبة وهم الزبيدي وابنا سيّد ، ونحن اليوم لا نستطيع أن نربط بين طبيعة التخصص اللغوى وهذا المنصب ، ولكن احتمالهم له قد يشير الى خصائص فارقة في الشخصية لا في الاتجاه الثقافي .

المذكورة في صدر هذا الفصل، مضافا اليها تلك الرغبة الخاصة التي حفزها رجل فذ مثل الرهاحي في مطلع هذا القرن، ثم زادت انتقادا وتوجها تلك الهالة من المجد اللغوي المحفوف برعاية الدولة، المتمثلة في شخص القالي . ومن حسن المصادفات أن كان القالي بكل ما يتميز به من علم وخلق هو الذي وقعت عليه مسؤولية هذه <sup>اليقظة</sup> ~~التقوية~~ اللغوية في الاندلس، فقد أثبت الأيما من بعد أن ليس كل مهاجر يحظى برعاية الدولة يستطيع أن يبلغ شأو القالي في هذا الميدان . نعم كانت البذرة الطيبة التي ألقاها الرهاحي في حقل اللغة قد أعطت ثمرتها قبل قدوم القالي في شخص الزبيدي وابن القوطية ولكن القالي قد كفل التطور والاستمرار والتوسع لهذا الذي وضع الرهاحي أصوله .

والى جانب هذا التيار الثقافي التخصصي ظلت اللغة تدرس باعتبارها فرعاً مكملاً مسانداً لغيرها من العلوم الإسلامية كاللغة والحديث والقراءات وما أشبهه، بل لعله ليس من المستغرب يومئذ أن نجد عددا كبيرا من ذوى الاتجاه الطبي والهندسي والعددي من أحسنوا الاضطلاع بالثقافة اللغوية ووصفتهم المصادر بالامامة فيها . وقد يكون من المفيد أن نقارن بين نوع الثقافة اللغوية التي حصلها دارس متخصص مثل ابن سيّد وبين ثقافة عالم آخر مثل ابن الفريسي، خصص فترة من حياته لدراسة اللغة دون أن يباح اتجاهه الكبير وهو علم الحديث . فمن بين الكتب ذات الطابع اللغوي التي يعدها ابن الفريسي بين ما درسه : نوادر علي بن عبد العزيز وكتاب الأبيات لمسيبيه تأليف ابن النحاس وكتاب الكافي في النحو، قرأ هذه على عبد السلام ابن السمع الهواري<sup>(١)</sup> وقرأ على ابن القوطية كتاب الكامل للمبرد<sup>(٢)</sup> وقرأ على مجاهد

(١) تاريخ ابن الفريسي ١ : ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٢) المصدر نفسه ٢ : ٧٩ .



ابن أصمغ كتاب شج غريب الموطن لابن حبيب في جملة كتب أخرى في غير موضوع اللغة<sup>(١)</sup> ، وقد يكون ابن الفريسي قد قرأ في اللغة كتاباً آخر لم يجد مناسبة لذكرها ، ولكن علم اللغة بقي لديه علماً فرعياً .

### ب - المناظرات اللغوية :

ومن كل هذا يمكن أن نخلص إلى أنه رغم قلّة الرحلة في طلب اللغة بالنسبة للعصر السابق ، فقد تميز هذا العصر في الميدان اللغوي بمئات فارة ، منها : اتساع نطاق الدراسات اللغوية واتساع ثقافة الدارس اللغوي وتحصيله ، و بروز دور المؤدب لأولاد الخاصة ، وظهور العالم اللغوي الاندلسي الذي يقف على مستوى أكابر علماء المشرق . وقد ظهر مجال جديد للنشاط اللغوي إلى جانب حركة التدريس والتأديب عامة .

وتلك هي مجالس المناظرات اللغوية ، وهي مجال جديد لم يتيسر ظهوره في القرن الثالث ، كمنظرة لغوية تمت بين الزبيدي والحاجب المصحفي في مجلس الحكم المستنصر (عام ٣٦٢ / ١٧٣) <sup>(٢)</sup> وهي بالمناقشة العلمية أشبه . ولعل أكثر المناظرات انما تتم في الدور العامري بتشجيع المنصور نفسه . والاخبار التي وصلتنا تتصل بمساعد نفسه في مجلس المنصور ، وقد مرّ بنا مثال لها ، وأذكر أيضاً من أمثلتها مناصرة قامت بين فائق الحكيم الخادم المعروف بالصغير بالخازن وبين مساعد ، كانت الغلبة فيها لفائق . وهو رجل صقلبي أقرب له بكر الزبيدي نفسه بالبصر في علم اللسان واللغة وكان ضابطاً لكتب اللغة قائماً عليها ، راجح العقل واسع المعرفة فصيح اللهجة ، ولما مات ( ٣٩٩ / ١٠٠٩ ) بيعت في تركته كتب مضبوطة جلييلة

(١) تاريخ ابن الفريسي ٢ : ١٤٨ .

(٢) المقتبس : الورقة : ٨٠ ، وانظر ترجمة الزبيدي في ما يلي من هذه الرسالة .

مصححة (١). وليس لنا أن ننسى أن الرهاحي هو فاتح باب المناظرة في كتاب سيبويه - كل أسبوع - وفي غيره من شئون العلم ، لا يقتصر في مناظرته على اللغة وحدها بل يناظر أهل الفقه وغيرهم .

ولا يفوتني هنا أن أشير إلى أنه قل ان حظي كتاب علمي بمثل ما حظي به كتاب سيبويه من اهتمام ودراسة ، فقد مرّ بنا كيف ان ابن السمع عمل على ابياء كتابها خاصا وكيف ان الرهاحي حملته رواية عن ابي جعفر النحاس ، وكان يناظر فيه . وكان ابن وليد النحوى يختمه في كل خمسة عشر يوما (٢). وألف فيه ابونصر هارون بن موسى النحوى كتابا سماه " عيون كتاب سيبويه " (٣). فلم يكن كتاب سيبويه في الاندلس معتقد الدارسين والمتناظرين فحسب ، بل كان محورا لمؤلفات كثيرة في هذا العصر ، وفي ما يليه من عصور .

#### ج - تنوع حركة التأليف واتساعها :

تنوعت حركة التأليف واتسع مداها واشتملت على منجزات كبيرة ظلت دائما صورة من صور الاسهام القيم الذى يحتل مكانته في تاريخ اللغة العربية عامة ، لا في الاندلس وحدها .

وها هو ثبت بهذه المؤلفات ، يبين نواحي النشاط التي اشتمل عليها هذا

(١) انظر ترجمته في الذيل والتكملة ٥ : ٥٢٦ ، وراجع الذخيرة ١ / ٤ ، ٢٢ ، ونفح الطيب ٤ : ٨١ وقد جعل وفاته عام ٤٠٢ / ١٠١٢ ، واشترك فاتن وهو صقلي في مجال هذا النشاط اللغوى يجعلنا نستغني عن طرح السؤال الذى طرحناه في الفصل السابق أعني : مدى مشاركة غير العرب في النشاط اللغوى ، فقد كانت موجة التعريب في هذا العصر قد أصبحت عامة شاملة .

(٢) الصلاة : ٢٥٣ .

(٣) فهرسة ابن خير : ٣١١ .

## الجانب الثقافي الكبير (١) :

### النمدي :

- ١ - الابنية .
- ٢ - استدراك الغلط الواقع في كتاب العين .
- ٣ - الانتصار على من أخذ عليه في مختصر العين .
- ٤ - رسالة الانتصار للخليل فيما رد عليه من العين .
- ٥ - لحن العامة .
- ٦ - مختصر لحن العامة .
- ٧ - طبقات النحويين واللغويين .
- ٨ - مختصر كتاب العين .
- ٩ - المستدرك من الزيادة في كتاب البارع لابي علي البغدادي .
- ١٠ - الواضح في النحو .

### القالي :

- ١ - البارع في اللغة .
- ٢ - المقصور والمدود .
- ٣ - النوادر والامالي .
- ٤ - ذيل النوادر .
- ٥ - فعلت وأفعلت .

---

(١) سأعود الى دراسة بعض هذه المؤلفات في جزء تال من هذا الفصل ، وانما أحاول هنا أن أعددتها لاستتبع منها طوابعها العامة .

- ٦ - افعل من كذا .
- ٧ - الامل ونتاجها وجميع احوالها .
- ٨ - حلي الانسان والخيال وشياتها .
- ٩ - تفسير القصائد والمعلقات وتفسير اعرابها ومعانيها .

### ابن القوطية :

- ١ - الافعال .
- ٢ - شج صدر . ائب الكتاب .
- ٣ - المقصور والمدود .

### سميد المعافري<sup>(١)</sup> ، (١٠١٠ / ٤٠٠)

- ١ - بسط لكتاب الافعال الذي ألفه ابن القوطية . (منه نسخة مصورة بالقاهرة ثاني ٢ : ٢٥٢ عن مخطوطة كوهيلي ١٥١٨ - ١٥١٩) .

### عبد الملك بن طريف<sup>(٢)</sup> :

- ١ - له كتاب حسن في الافعال<sup>(٣)</sup> (تلميذ ابن القوطية) .

### صاعد :

- ١ - الفصوص .

---

(١) الصلة : ٢٠٩ ؛ بروكلمان ٢ : ٢٨١ - ٢٨٢ .  
 (٢) المصدر نفسه : ٣٤٠ .  
 (٣) فهرسة ابن خيرة : ٣٥٦ .

سميد بن القزاز (١) :

- ١ - كتاب في الرد على صاعد البغدادي في مناكير كتابه في النوادر والغريب المسمى بالنصوص .

أبو القاسم بن العريف (٢) (٣٩٠ / ١٠٠٠)

- ١ - كتاب يشتمل على مسائل في النحو اعترض فيها على أبي جعفر بن النحاس .  
٢ - رسالة في اعراب قولهم : ان الضارب الشاتم والده كان زيدا يستقصي فيها نحو ٥٨ قولاً . (منها نسخة خطية بالقاهرة ثاني ٢ : ١٢) .  
٣ - شرح الجمل للزجاجي . (منه نسخة خطية بالقاهرة اول ٤ : ٧٤ وثاني ٢ : ١٢٦) .

أحمد ابن الهميم (٣) :

- ١ - له تأليف في اللغة وآراء ابن الأثير ولكنه لم يذكر اسمه .

عبد الله بن حسين ابن الغريالي (٤) :

- ١ - ألف في الانواء كتاباً مفيداً .

ديسود : (٥) (عبد الله بن سليمان المشهور بديسود)

- ١ - له كتاب في العربية .

- 
- (١) الصلاة : ٢٠٤ .  
(٢) جذوة المقتبس : ٣٨٣ ، بروكلمان ٢ : ٢٨١ ، ٢ : ١٧٣ (الترجمة العربية)  
(٣) التكملة : ١٧ .  
(٤) المصدر نفسه : ٧٩١ .  
(٥) المصدر نفسه : ٧٧٨ .

محمد بن أبان بن سيد (١) :

- ١ - كتاب العالم نحوامة مجلد مرتب على الاجناس بدأ بالفلك وختم بالذرة .
- ٢ - كتاب العالم والمتعلم مبني على المسألة والجواب .
- ٣ - شرح كتاب الاخفش .
- عبيد الله بن فرج الطوطاقي : ( ٣٢٤ - ٣٨٦ / ٩٣٦ - ٩٩٦ )
- ١ - كتاب اختلاف لغات العرب .

فهذه ستة وثلاثون مؤلفا تمثل اتجاهات مختلفة في النحو واللغة معا .

منها : أ - الاتجاه المعجمي ، الذي يمثل ما دار حول العين من مؤلفات وردود واستدراكات ، ثم البارع وما دار حوله ، وكتاب العالم الذي يشبه ان يكون معجما حسب الموضوعات . ب - كتاب واحد في لحن العوام ، وهو لاحق من بعض نواحيه بالتأليف المعجمي . ج - كتاب واحد في الانواء وهو أيضا لاحق بالتأليف المعجمي . د - كتب النوادر والامالي ، وما اثار من ردود عليها . هـ - كتب الافعال ، وهي تمثل الاتجاه الرئيسي لدى ابن القوطية وتلامذته . و - البحث في المقصور والممدود ، وهي تنمعة لما بدأه ابن ولاد بمصر . ز - دراسات نحوية وشرح على بعض كتب النحو . ح - كتاب واحد في تراجم علماء النحو واللغة ، وهو ذو صلة جانبية بالدراسات اللغوية . واذا تأملنا هذه الاتجاهات وجدنا الاتجاه المعجمي أغلب عليها كما وجدنا هذا الاهتمام بالاستدراك والشرح والاختصار لبعض الكتب المشرقية . وكل هذه الاتجاهات تبين الى أي حد كان التأليف في الاندلس في هذا العصر اما متأثرا بالتأليف اللغوي في المشرق ناسجا على منواله ، او مستشارا به

(١) تاليف ابن الفرضي ٢ : ٦٩ ؛ جذوة المقتبس : ٣٨١ ، الصلة : ١٤ .

على نحو من استكمال النقص فيه أو التلخيص له أو الردّ على بعض ما جاء فيه . ولكن هذا لن يجعلنا نقل من قيمة هذا الاسهام الاندلسي بأى حال ، فان التأليف في هذه الناحية سواء أكان في المشرق أو المغرب كان بناء على أسس سابقة . فكتاب العين وجهرة ابن دهر يستثيران الى تأليف "البارع" وكتاب لحن العامة لابي حاتم السجستاني يحفز الزبيدي الى تأليف كتابه بهذا الاسم ، وكتاب فعلت وأنفعلت انما أساسه كتاب بهذا الاسم نفسه للزجاج .

واذا بحثنا عن العوامل الكامنة وراء هذا الاتجاه التألفي وجدناها تمثل :

- (١) الميل الى الاستقصاء : ويدافع من هذا الميل جاءت اكثر كتب القالي ، مثل البارع والمقصور والمدود ، وكتاب السماء والعالم لابن سيّد وكتاب الاستدراك على العين للزبيدي ، فكلها انما تمثل توسعا واستقصاء لما ألفه المشارقة في هذه الموضوعات اللغوية .
- (٢) الميل الى الاستطراف : وعن هذه الطريق تعلم اللغة أيضا ، وكتب النوادر مثل أمالي القالي والفصوص لصاعد ، انما هي مستطرافات من الاشعار والاعبار لا يهم مدى الصحة في نسبتها بمقدار ما هي مجال لتقريب الفوائد اللغوية عن طريق الخبر الطريف أو النادرة الطريفة .

- (٣) الميل الى المحاكاة : فكثير من كتب الاندلسيين انما كانت محاكاة لكتب مشرقية . فاذا ألف أبو حاتم السجستاني كتابا في " لحن العوام " ، أخذ الزبيدي نفسه بتأليف في مثل هذا الموضوع يأتي فيه على لحن العامة بالاندلس . وهذه المحاكاة لا تهطل الأصالة ولا تنفيها .

- (٤) الميل الى تنقية اللغة بدافع من ربح المحافظة عليها . وهذا ما يمثله أيضا

كتاب مثل لحن العامة للزبيدي .

(٥) الميل الى الشرح والتبسيط خدمة للدارسين . فمن أجل الغاية التدريسية وضع الزبيدي الواضح في النحو ، وشرح ابن القوطية صدر أدب الكتاب ، وبسط المعافى كتاب أستاذه ابن القوطية في الأفعال<sup>(١)</sup>، وشرح ابن سيد كتاب الأخفش ، ووضع كتابه العالم والمتعلم على طريقة تعليمية خالصة هي المسألة والجواب .

(٦) تصحيح الخطأ أو ما يظن أنه خطأ ، وهذا يشمل كتب الردود ، وهي توجي بالتحدى مثلما تتضمن الميل الى المحافظة على سلامة اللغة وصحتها وصحة الاستنتاجات النحوية . ومن ذلك افتراضات ابن العوف على ابن النحاس في مسائل من النحو ، وردّ القزاز على القواعد ، وانتصار الزبيدي على من انتقد كتابه " مختصر العين " .

ونفي عن القول ان الكتاب الواحد يقف وراءه غير عامل واحد من هذه العوامل في بعض الأحيان ، وفي كل هذه العوامل غاية علمية تريد أو تنقص بمقدار حظها من الطاقة الموضوعية ، وتباین هذه الكتب من حيث الاصاله حسب المجال نفسه وقسوة المؤلف واخلاصه للغاية العلمية .

#### ٤ - انصاف الاندلس في الميدان اللغوي :

بعد كل هذه الصورة الغنية في حقل التأليف يستغرب الدارس كيف تصدر في أواخر هذا القرن أو في مطلع التالي رسالة من ابن الريح القروي<sup>(١)</sup> الى القيرواني ( تعدّ حكماً جائراً على التأليف عامة في الاندلس وعلى هذا النشاط اللغوي

(١) الصلة : ٢٠٩ .



خاصة . فقد كتب ابن الربيب هذا رسالة الى أبي المغيرة ابن حزم (ابن عم الفقيه أبي محمد) يقول فيها : "وعلمائكم - مع استظهارهم للعلوم - كل امرئ منهم قائم في ظله لا يبرح وراتب على كعبه لا يتزعزع ، يخاف ان صنف ان يعنف ، وان ألف ان يخالف ولا يوالف . . . فاذا اخترتم منيته دفن معه أدبه وعلمه فمات ذكره وانقطع خبره" (١). وهذا اتهام بأن الاندلسيين لا يؤلفون فكيف يمكن أن يصدر هذا الاتهام عن رجل قريب نسبيا من الاندلس ؟ اكانت الكتب الاندلسية لا تهاجر ؟ اكان هذا جهلا من ابن الربيب نفسه . انه ليقول قاطعا على صاحبه طريق الجواب : " فان قلت انه كان مثل ذلك من علمائنا وألفوا كتبها لكها لم تصل إلينا فهذه دعوى لم يصحبها تحقيق لانه ليس بيننا وبينكم غير روحه راكب أو رحلة قارب ، لو نفث من بلدكم مصدور لأسمع من بهلدنا في القبور فضلا عن في الدور والقصور" (٢) ألم تخرج مؤلفات الزهيدى والقالي وابن القوطية وابن سيد وغيرهم - دع عنك تلك الكتب الكثيرة التي ألفت في موضوعات أخرى - خارج حدود الاندلس ؟ هذا أمر مستغرب حقا ورسالة ابن الربيب تبعث على الحيرة لانها تصوّر الاندلس في عزلة عما حولها رغم الهجرة الكثيرة المستمرة منها وإليها .

ولما ردّ ابن حزم الفقيه على هذه الرسالة وجد تراثا كثيرا يستشهد به على رسخ قدم الاندلس في ميدان التأليف ، ومن المفيد أن ننقل هنا ما قاله في باب اللغة فانه يصوّر الجنبات البارزة في الصورة اللغوية لهذا العصر ، ويعطينا حكم عالم على ما بلغته الاندلس في تراثها اللغوي :

" ومنها في اللغة كتاب البارع الذي ألفه اسماعيل بن القاسم يحتوى على لغة

(١) نفع الطب ٤ : ١٥٢ - ١٥٣ .

(٢) المصدر نفسه : ١٥٣ .

العرب ، وكتابه في المتصور والمدود والمهموز لم يؤلف مثله في بابيه ، وكتاب الانفعال  
 لمحمد بن عمرو بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية بزيادات ابن طريف مولى العبيديين  
 فلم يوضع في فنه مثله ، وكتاب (١) جمعه أبو غالب تمام بن غالب المعروف بابن  
 التبان في اللغة لم يؤلف مثله اختصارا وكثارا وثقة نقل - وهو أظن في قيد الحياة -  
 ... ومنها كتاب أحمد بن أبان بن سيد في اللغة المعروف بكتاب " العالم " نحو  
 مائة سفر على الاجناس في غاية اليعاب ، بدأ بالفلك وختم بالذرة ، وكتاب النوادر  
 لأبي علي اسماعيل بن القاسم وهو كتاب مبارك لكتاب الكامل لأبي العباس المسيرد  
 ولعمري لئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحوا وخبرا فان كتاب أبي علي لاكثر لغة  
 وشعرا ، وكتاب " النصوص " لصاعد بن الحسن الرهيمي وهو جار في مضار الكتابيين  
 المذكورين . ومن الأنحاء تفسير الحوفي لكتاب الكمائي حسن معناه ، وكتاب ابن  
 سيده في ذلك المنبوز " بالعالم والمتعلم " وشرح له لكتاب الأخفش " (٢) .

(١) لاحظ ان ابن حزم لم يذكر اسم الكتاب فالظاهر أنه لم يطلع عليه ، ومن المستبعد  
 أن يكون نسي اسمه لسوفعل ، وقد سماه ابن خير " تلقيح العين في اللغة " .

(٢) نفح الطيب ٤ : ١٦٥ - ١٦٦ .

## الفصل الثالث

### أئمة اللغة ومؤلفاتهم في هذا القرن

اولا - ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي \* النحوي اللغوي ( - ٣٢٩ / ٩٨٩ ) ومؤلفاته :

ابو بكر هذا عربي الأصل يرجع الى يمن ، ونسبه الى زبيد ، وهي قبيلة كبيرة من يمن ، هاجر أهله الى الاندلس من حص الشام ، واستوطنوا حص الاندلس (١) ، اى اشبيلية ، ففيها على الأرجح كانت ولادته . اذ تتفق المصادر انه اشبيلي انتقل عن اشبيلية الى قرطبة (٢) . وقد ذكرت هذه المصادر انه عاش ثلاثا وستين سنة ومعنى هذا انه ولد حوالي ٣١٦ / ٩٢٨ ، وهذا غير معقول لأن هناك رواية أخرى تقول : " وكان الزبيدي اماما في الأدب ولكنه عرف فضل القالي فقال اليه وأقر له " (٣) ، ومن ولد سنة ٣١٦ / ٩٢٨ يكون عمره يوم وفاة القالي أقل من خمسة عشر عاما ، ولا يكون اماما في الادب . ولذا كان لزاما علينا ان نشك في أحد أمرين ، أولهما : تقدير عمره (أما سنة وفاته فانها صحيحة ) ، وثانيهما : تلك الرواية التي تقول بامامته في الأدب يوم ورود القالي ، وأراني أميل الى الشك في الأول ، وعلى هذا الاساس ابني نتائج دراستي لحياة الزبيدي .

\* ترجمته في : جذوة المقتبس : ٤٣ ، بغية الملتبس : ٥٦ ، تاريخ ابن الفريسي ٢ : ٩٢ ، المغرب ١ : ٢٥٠ ، يتيمة الدهر ٢ : ٧١ ، وفيات الاعيان ٤ : ٧ ، انباء الرواة ٣ : ١٠٩ ، معجم الادباء ١٨ : ١٨٠ ، الوافي بالوفيات ٢ : ٣٥١ ، بغية الوعاة : ٣٤ ، رياض الجنات : ٦٨٦ ، بروكلمان ٢ : ٢٨٠ ( الترجمة العربية ) .

- (١) وفيات الاعيان ٤ : ٨ ، الوافي بالوفيات ٢ : ٣٥١
- (٢) وفيات الاعيان ٤ : ٩ ، انباء الرواة ٣ : ١٠٩
- (٣) جذوة المقتبس : ١٥٥ - ١٥٦ ، معجم الادباء ٧ : ٣٠

ولا وب في انه طلب العلم أولا في بلده ثم ارتحل الى قرطبة فدرس فيها على قاسم بن أصبغ وعلى احمد بن سعيد بن حزم الصدي ومحمد بن يحيى الرهاحي . اما استاذ الرابع سعيد بن فخلون فهو بجاني ، ولا ندري أليه بقرطبة أم بهجانة ؟ وبعد ان درس على هؤلاء الائمة كثر راجعا الى بلده فأقام فيه حتى اخذ الحكم يتجه نحو استقدام العلماء من بلاد الاندلس الى قرطبة فكان الزبيدي فيمن استدعاهم الحكم " لفضله والاستفادة منه " (١) . ومن المرجح ان يكون هذا الاستدعاء قد تم قبيل وصول القالي الى قرطبة عام ٣٣٠/٢١٤ ، وأنه كان بين العلماء الذين استقبلوا ابا علي . وكان من الكتب التي رواها من القالي كتاب النوادر والذيل وفعلت وانفعلت وكتاب الابل ولتاجها وجميع احوالها وكتاب حلي الانسان والخيول وشياتها ، وكتاب مقاتل الفرسان وكتاب تفسير القصائد والمعلقات وتفسير اعرابها ، وكل ذلك من تأليف القالي . كما روى نوادر ابي زياد الكلابي وجزءا فيه الاضداد لشعرب والمفضليات وشعر اعشى بكر ومتصورة ابن دويد ، وهذه المرويات هي ما انحدر الى ابن خير من طريق الزبيدي ، ولكنني اعتقد ان ما حصله الزبيدي اكثر بكثير منها ، وأنه لم يكن يقل في سعة اطلاعه اللغوي عن المدي الذي رسمه حين تحدثت عن احمد بن ابان بن سعيد (٢) . وقد تشبهت الحكم باستبقاء الزبيدي في قرطبة حتى انه ذات مرة منعه من العودة الى اهله باشبيلية (٤) حينما استأذنه في ذلك . ويبدو انه عول على الإقامة في قرطبة من بعد ٤ ولما كبر المؤيد هشام اضطلع الزبيدي بتأديبه . وقد أخ ابن حبان

(١) انباء الرواة ٣ : ١٠٦ .

(٢) هذا التقدير راجع الى الفرض الأول ، أما اذا قدرنا أن الزبيدي كان صغير السن يوم قدوم القالي فمعنى ذلك أن صلته بقرطبة تمت في تاريخ متأخر كثيرا وأن ذلك لم يتم قبل عام ٣٥٠/٢٢١ على وجه التقريب .

(٣) راجع صفحات متفرقة من ابن خير .

(٤) جذوة المقتبس : ٤٥ .

هذه الحادثة في المقتبس تحت عنوان " ذكر ادناء الزبيدي " فقال : وفي يوم الاحد للنصف من ذي القعدة منها ( ١٧٢ / ٣٦٢ ) نفذ العهد الى محمد بن حسن الزبيدي ثم الاشيلي النحوى بالتزام مدينة الزهراء لمجالسة الامير ابي الوليد هشام ابن امير المؤمنين ومفاتحته للنظر في العريضة وقد اعتدت لنزوله فيها الدار التي كان يسكنها صاحب الشرطة أحمد بن سعيد الجعفرى في حياة والده ، وأجريت الارزاق الواسعة عليه واستقبل في هذا اليوم بصلة سنية وخلعة فاخرة ، جزاء على الذى تولاه من اختطوه لكتاب العين للخليل بن أحمد ، واتامته على الترتيب والتضعيف اللذين حدهما له أمير المؤمنين فيها ، فارتضى صله فيه عند تصفحه له وأجزل صلته وأدنى مكانه وأوصله الى نفسه يومه هذا ، ففاوضه في صله الذى برع فيه ، واستثار له من غوامض فنونه ، وناظره بين يديه يومئذ الوزير الكاتب الأديب جعفر بن عثمان في غرائب من فنه فسي النحو واللغة والشعر ، فتباريا في الشأو وتسايقا في ميدان الاصابة ، فسر بهما فيهم المعرفة . وانتظم اتصال الزبيدي من يومئذ بالخليفة الحكم وابنه هشام الامير ونال حظوة<sup>(١)</sup> . وقد تولى الزبيدي القضاء في قرطبة يقول ابن الفري : ولله القضاء بموضعه ، يعني الخليفة الحكم ، ومعنى هذا أنه كان قاضيا في المحلة التي يقطن فيها ، ولذلك لا يرد اسمه بين القضاة المشهورين في عصر الحكم ، فلما توفي الحكم ولله هشام الشرطة<sup>(٢)</sup> . وقد جعلته صلته بالدولة من أهل الثراء حتى انه " نال دنيا عريضة ، وحصل له نعمة ضخمة لبسها بنوه من بعده زمانا "<sup>(٣)</sup> . ويبدو انه عاد في اواخر ايامه الى اشبيلية حيث توفي فيها سنة ٣٧٩ / ٩٨٩<sup>(٤)</sup> . وتختلف المصادر بين سنة ٣٧٩ و ٣٨٠ / ٩٩٠ في تاريخ وفاته .

\* ربما كانت التصنيف .

(١) المقتبس : الورقة ٨٠ .

(٢) تاريخ ابن الفري ٩٢:٢ ، وفيات الاعيان ٤ : ٧ .

(٣) وفيات الاعيان ٧:٤ ، وانظر أيضا تاريخ ابن الفري ٩٢:٢

(٤) وفيات الاعيان ٨٤٤

وليس في المصادر أخبار نستمد منها أحكاما على شخصية الزبيدي ولكن اضطلاله بالقضاء أولا ثم بولاية الشرطة ثانيا يدل على قدرته الادارية مثلما يدل على تضلعه في الشريعة . ولعل كتابه الذي ألفه في الرد على ابن مسرة يدل على تمسكه بالسنة والمحافظة الدينية التي كانت تؤهله لذلك المنصب القضائي . اما غيرته على اللغة فشيء تشهد به مؤلفاته نفسها ، ودقته الصارمة في تعقب الاخطاء . وأما علمه فقد كان العلم الغزير الذي اظهرت المصادر في الشاء عليه حتى قيل فيه : " كان اوحده عصره في علم النحو وحفظ اللغة ، وكان أخبر اهل زمانه بالاعراب والمعاني والنوادر ، الى علم السير والاخبار ، ولم يكن بالاندلس في فقه مثله في زمانه " وقد ترددت هذه الرواية بلفظ او بأخر في الكتب التي ترجمت له (١) . ويدل تتلمذه للقالي وانتصاه اليه على تواضع علمي أصل فيه والا فقد كان غيا بنفسه عن ان يطلب العلم مستأنفا يوم وصل القالي الى قرطبة .

وقد كان الزبيدي شاعرا يذهب في شعره ناحية حكيمية تعليمية أحيانا . وتغلب على بعض شعره معرفته اللغوية كقصيدته التي رثى فيها القالي ، فهي قصيدة " جزلة الالفاظ كثيرة الغريب صافها صوغ فحول العرب ، وضمنها قطعة من غريب كلامهم " (٢) . وله مقطعات ضمنها بعض مشاعره الذاتية كذلك التي كتبها الى جاريته سلمى حين لم يأذن له المستنصر بالعودة الى اشبيلية ومطلعها (٣) :

ويحك يا سلم لا تراي لا بدّ للبين من زماح

- (١) راجع ثبت هذه الكتب في أول ترجمة الزبيدي .  
 (٢) يتيمة الدهر ٢ : ٧١ ، ومطلع هذه القصيدة :  
 تالله لا يبقى لصرف النوى نوحسند في رأسهيق منيف  
 (٣) انظر جذوة المقتبس : ٤٥ ، والمصادر الاخرى .

## مؤلفاته في النحو واللغة :

للزبيدي مؤلفات جمّة في النحو واللغة ، أجمل القول فيما لم يصانها

منها وما لم يتح لي ان اطلع عليه ، ثم اعود الى دراسة ثلاثة من كتبه الهامة .

١- كتاب مختصر العين<sup>(١)</sup> ، رواه عنه اسماعيل والد اللغوى المشهور ابن سيده ،

وابو بكر عمادة بن ماء السماء الشاعر ، وعن طريقهما انحدرت روايته الى ابن خيبر<sup>(٢)</sup> .

وتقال فيه الفتح : " وله اختصار العين للخليل وهو معدوم النظير والمثل "<sup>(٣)</sup> . وكان

هذا الكتاب من الكتب التي يتنافس فيها أهل المغرب لانه " اتمه باختصاره وزاد فيه

ما عساه كان مفتقرا اليه "<sup>(٤)</sup> . وهو كتاب ألفه للحكم المستنصر ونال اعجابه .

وجاء في المزهري : " قال أبو الحسن الشاربي في فهرسته : كان شيخنا أبو

ذر يقول : المختصرات التي فضلت على الأمهات أربعة : مختصر العين للزبيدي

ومختصر الزاهر للزجاجي ومختصر سيرة ابن اسحاق لابن هشام ومختصر الواضحة للفضل

ابن سلمة . قال الشاربي : وقد لهج الناس كثيرا بمختصر العين للزبيدي فاستعملوه

وفضلوهم على كتاب العين لكونه حذف ما أورده مؤلف كتاب العين من الشواهد المختلفة

والحروف المصحفة والابنية المختلفة وفضلوه أيضا على سائر ما ألف على حروف المعجم من

كتب اللغة ، مثل جمهرة ابن دريد . . . . . ومذهبي ومذهب شيخني أبي ذر الخشني وأبي

الحسن بن خروف أن الزبيدي أخلّ بكتاب العين كثيرا لحذفه شواهد القرآن والحديث

(١) من هذا الكتاب نسخة في مجلد واحد في الرق بخزانة القرويين بناس ١٢٤٦ - ١٢٤٧

(مجلة معهد المخطوطات ٥ : ١٥) ونسخ في القاهرة ( ٣٨٦ ، ٤٠٦ ، ٥٩٧ لغة )

ونسخة بمكتبة فيض الله رقم : ٢٠٩٨ ، ونسخة في برلين ٦٩٥٠ - ٥٢ ، ونسخة في باريس

٥٣٤٧ ، ودريد ثالث : ٤٩ ، وكوبريلي : ١٥٧٤ ، ( انظر بروكلمان ٢ : ١٣٣ )

(٢) فهرسة ابن خيبر : ٣٥٠ .

(٣) مطبع الانفس : ٥٤ ، ونفع الطيب ١ : ٢٥٠

(٤) معجم الادباء : ١٨ : ١٨١ .

## وصحيح أشعار العرب<sup>(١)</sup>.

ويمكن أن أجمل ما صنعه الزبيدي في هذا الكتاب بأنه حذف المواد المصحفة أو المشكوك فيها ، ووضع المادة في موضعها الصحيح ، وأثبت الاختلاف في اقوال اللغويين الآخرين الى جانب ما ورد في العين ، وحذف المصادر والأنفال المضارعة والابنية القياسية واختصر ما في العبارات التفسيرية من طول وبالرغم من أنه يضع مختصرا فقد زاد بعض الألفاظ والمواد التي لم يتضمنها الكتاب الاصل<sup>(٢)</sup>.

٢- الانتصار على من أخذ عليه في مختصر العين<sup>(٣)</sup>.

٣- المستدرك من الزيادة في كتاب البارع لأبي علي البغدادي على كتاب العين للخليل بن أحمد رواء عنه عبادة بن ماء السماء<sup>(٤)</sup>.

٤- استدراك الخطأ الواقع في كتاب العين<sup>(٥)</sup> نقل منه السيوطي في المزهر، ومن أمثلة ما استدركه الزبيدي من الألفاظ المصحفة : باب همع ، الهميع : الموت فصحفه والصواب الهميع بالعين المعجمة . باب تقع ، التقاعي من الرجال : الاحمر ، وهو غلط ، والصواب ، نقاعي ، يقال : هو احمر نقاعي ، للذي يخالط حمرة بياض . حساب منك ، عرق عانك : اصفر : والصواب : عاتك<sup>(٦)</sup>.

٥- الانتصار للخليل فيما رد عليه في العين . وقد نقل السيوطي في المزهر ما

سواء مقدمة الاستدراك ، ولكن الزبيدي يشير في تلك المقدمة الى مهاجمة الناس له

(١) المزهر ١ ١ ٤٤ .

(٢) من المعجم العربي : ٢٨٤ - ٢٨٦ بايجاز .

(٣) لحن العوام : ٢٨ .

(٤) فهرسة ابن خير : ٣١١ .

(٥) فوات الوفيات : ٤ : ٧ .

(٦) انظر المزهر ٢ : ١٩٣ - ١٩٦ .



فيما أخذ على الخليل فما أخرى أن تكون هذه المقدمة مقدمة للانتصار . وقد جاء فيها : " وصل إلينا - أيك الله - كتابك تذكر فيه ما أولس به قوم من ضعفة أهل النظر من التحامل علينا والتسرع بالقول فينا بما نسبوه إلينا من الاعتراض على الخليل بن أحمد في كتابه والتخطة له في كثير من فصوله ، وقلت انهم قد استمالوا جماعة من الحشوية إلى مذهبهم وعدلوا بهم إلى مقاتلتهم بما لبسوا به وشنعوا القول فيه ، وسألت ان احسم ما نجم من افكهم وارد ما ندر من غريب السنتهم ببيان من القول منصف واحتجاج من النظر موضع . وقد كتبت ، أيك الله ، في صحة تمييزك وعظيم النعمة عليك في نظرك ، جديرا ان لا تعرج على قوم هم بالحال التي ذكرت ، وأن يقع لهم العذر لديك بوجه جمعة منها : تخلفهم في النظر وقلة مطالعتهم للكتب وجهلهم بحدود الأدب ، مع ان العلة الموجبة لمقاتلتهم والباعثة لتسرعهم على الحسد الذي لا يداوى سقمه ولا يوسى جرحه ، فقد قال الحكيم :

كل العداوات قد ترجى اناقتها      الا عداوة من عاداك عن حسد

أوليس من العجب العجيب والنادر الغريب ان يتوهم علينا من به مسكة من نظر او ريق من فهم تخطة الخليل في شيء من نظره والاعتراض عليه فيما دق او جل من مذهبه . الخ . (١) وبمضي الزبيدي فيبين أن ما وقع في العين من خطأ لا يمكن أن يقع فيه الخليل ودلّ على مبلغ حذقه فيما رسم أو ألف قال : " ولو أن الطاعن علينا يتصفح صدر كتابنا المختصر من كتاب العين لعلم أننا نزهنا الخليل عن نسبة المحال إليه ونقينا عنه من القول ما لا يليق به . . . . . وذلك أننا قلنا في صدر الكتاب : ونحن نربأ بالخليل من نسبة الخلل إليه أو التعرض للمقاومة له بل نقول ان الكتاب لا يصح له ولا يشته عنه " ويوضح ذلك بأقوال لعلماء مشاركة في استبعاد نسبة الكتاب في

شكله الذي وصلنا الى الخليل وبالاختلاف في نسخه والاضطراب في روايته والاستشهاد بالمرزول من اشعار المحدثين وأن فيه رواية عن ناس لا يمكن أن يكون الخليل قد روى عنهم وأن جميع ما وقع فيه من معاني النحو انما هو مذهب الكوفيين والخليل بصرى، ثم ان في الكتاب تداخلا لا يعجز الخليل تثقيفه (١).

٦- الواضح في النحو (٢) : هكذا استه اكثر المصادر وذكره صاحب المغرب باسم " الايضاح " وفي الواني بالوفيات وبغية الوعاة وروضات <sup>المجناز</sup> الخليل أنه " الموضح "، ورواه عنه ابو بكر عبادة بن ماء الساء (٣) وقيل فيه " انه مفيد جدا " (٤) شرع في شرحه ابن وليد النحوى فبلغ منه نحو النصف وتوفي قبل اكماله (٥).

٧- كتاب رسالة التقويظ، رواها عنه عبادة بن ماء الساء (٦). ولعلها هي رسالة الانتصار للخليل .

٨- كتاب طبقات النحويين واللغويين (٧).

ترجم فيه للنحويين واللغويين من عهد أبي الاسود حتى محمد بن يحيى اليرباعي (١٦٩ / ٣٥٨) وقد كان مصدرا لكثير من المؤلفين الاندلسيين والمشاركة مثل ابن الفريسي وياقوت والقنطري والسيوطي والمقريزي . وقد بين الزبيدي في مقدمة الكتاب انه ألفه بأمر من الحكم المستنصر . قال : " فألفت هذا الكتاب على الوجه

(١) المزهر : ٥٠ - ٥٣ .

(٢) من هذا الكتاب نسخة بالاسكوريال (انظر بروكلمان ٢ : ٢٨٠) ونسخة مصورة بدار الكتب عن نسخة المكتبة المتوكلية بجامع صنعاء الكبير .

(٣) فهرسة ابن خیر : ٣١١ .

(٤) وفيات الاعيان ٤ : ٧ .

(٥) الصلاة : ٢٥٣ .

(٦) فهرسة ابن خیر : ٣٥١ .

(٧) طبع بمصر سنة ١٩٥٤ ، بتحقيق الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم .

الذى امرني به امير المؤمنين ، رحمه الله ، وأتمته على الشكل الذى حدته ، وأمدني ،  
 رضي الله عنه ، في ذلك بعنايته وعلمه ، وأوسعني من روايته وحفظه ، اذ هو البحر  
 الذى لا تعبر اوانيه ولا تدرك سواحله ، لا ينزع غصوه ولا تنضب مصادته <sup>(١)</sup> . وقوله  
 في هذه العبارة ، رحمه الله ، يدل على ان الكتاب نجز تأليفه بعد سنة ٩٧٧/٣٦٦ .  
 وكان المنهج الذى اتبعه الزهيدى في هذا الكتاب هو الترجمة لعلماء اللغة  
 والنحو على حسب التسلسل الزمني ذاكرة مولد المترجم له وتاريخ وفاته ، ونقلا من اخباره  
 والحكايات المتضمنة لفضائله والمشتعلة على محاسنه . وتسم كتابه على طبقات ، فجعل  
 النحويين البصريين في عشر طبقات ثم اورد بعدهم النحويين الكوفيين في ست طبقات ،  
 حتى اذا انتهى منهم عاد فأفرد فصلا للنحويين البصريين وجعلهم في سبع طبقات ،  
 وشفعهم بالكوفيين وجعلهم في خمس طبقات . ومنح بين النحويين واللغويين المصريين  
 في فصل واحد وجعلهم في ثلاث طبقات . وجاء بعدهم بالنحويين واللغويين القرويين  
 في أربع طبقات . وختم الكتاب بتراجم النحويين واللغويين الاندلسيين في ست طبقات .  
 أما الأساس الطبقي في هذا التقسيم فهو الأساس الزمني ، وهي قسمة تقريبية . ولم  
 يذكر الزهيدى مصادره التي اعتمدها في كتابه ، ولكن كثيرا من الاخبار تسند الى القالي  
 رواية ، وعن ابن النازي ، احد الاندلسيين الراحلين الى المشرق . كما ان فيه  
 روايات عن استاذة قاسم بن أصهغ ، وعن الرهاحي . ولست أظن ان الزهيدى اكتفى  
 بالروايات الشفوية وانما اعتمد على كتب في اخبار النحويين واللغويين ككتاب السيراني .  
 على ان الكتاب يعد أصلا هاما في كتب التراجم ، ولا تظهر قيمته الا عند مقارنته بما  
 ألف في مثل موضوعه . اما في تراجم اللغويين والنحويين الاندلسيين فيكاد يكون  
 المصدر الوحيد حتى منتصف القرن الرابع .

(١) طبقات الزهيدى : ١٠ .

١ - الاستدراك على سيبويه :

### ١ - دواعي التأليف

نظر الزبيدي في المؤلفات النحوية الكثيرة ، فرأى أن الغثاة غالبية عليها: في طريقة التأليف وفي شدة الاطالة وعدم التجديد والتكرار لموضوعات سابقة، فعبّر عن سخطه هذا بقوله : " فاني رأيت علماء النحو في زماننا هذا وما قاربه قد اكثروا التأليف فيه وأطالوا القول على معانيه فأملأوا الناظرين واتعبوا الطالبين بتكرار معان قد بينت وركوب اساليب قد نهجت فلم يخلّ اكثرهم بخير اعادة ما تقدم اليه والتكثير فيما سبق الى القول عليه . وقد كان ينبغي لمن هم بذلك منهم ان يتصفح كتاب عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه فينظر الى مبادئ كتابه وعنوانات ابوابه ويرى لطائف معانيه ودقائق حجاجه الى الایجاز في قوله والایجاب لممراده فيزجره ذلك ان كان ذا حجب " عن تكلف ما لا حاجة اليه ويمنعه الاعتناء بما لا معول عليه " (١). فالزبيدي اذن معجب اشدّ الاعجاب بكتاب سيبويه ينعي على الآخرين تأليفهم كتباً هي في حقيقتها تكرار ومنح لما قاله صاحب الكتاب من قبل .

غير ان هذا الاعجاب من قبل الزبيدي لم يمنعه من وزن كتاب سيبويه بميزان الحقيقة . فهو يعرف ماله وما عليه . ويبدو انه كان لفترة طويلة يصاحب الكتاب ويدرسه ويتدارسه فعرف من اموره ما لم يعرفه غيره ، او هكذا هو يزعم (٢). ولعل اكثر ما جذب انتباه الزبيدي في الكتاب ما كان متعلقاً بأبنية الاسماء والافعال ، " وقد كت ايام مطالعتي هذا الكتاب كلفاً بما تضمنه من ابنية الاسماء والافعال التي هي زمام الكلام والسور المضروب دونه والحد المنتهى اليه فاستخرجتها يومئذ مختصرة منه

(١) الاستدراك على سيبويه : ١ .

(٢) المصدر نفسه

ليقترب حفظها لمن آثر ان يقف على معرفة البناء العربي من الدخيل اما من مصنوع غولط به او اعجمي اتحم فيه " (١). ولكثرة مطالعة الزبيدي لهذه الابواب استطاع ان يكشف، وهذا ما لم يستطعه غيره، كما يقول، نقضا كثيرا، " وكان جلّة المشائخ من اهل النحو فيما روينا عنهم يزعمون ان ما ألفه سيبويه منها يستوفي جميع ابنية الكلام ما خلا ثلاثة ابنية شذت عن جميعه، فاستقصيت البحث عن ذلك وانعمت النظر فيه فألفت نحو الشانين بناء لم يذكرها سيبويه في ابنيته ولا دلّ عليها احد من النحويين من بعده " (٢). فكان هذا المنطلق الذي بدأ الزبيدي منه بالتفكير في سد الثغرة التي خلفها سيبويه.

على كل حال، لم يكن الدافع هذه المرة رغبة امير المؤمنين في المؤلفات وتشجيعه لها، كما كان الامر في كتابي الزبيدي الاخرين: لحن العوام، وطبقات النحويين واللغويين (٣). ربما كان زمن تأليف الكتاب سابقا لاتصال الزبيدي بالحكم (او بعد وفاة الحكم)، فقد عرفنا من سيرة حياة الزبيدي انه اتصل بالخليفة بعد ان توطدت قدمه في دنيا العلم. فالزبيدي، اذن، يرجع كل الفضل في هذا المؤلف لنفسه.

واعتقد ان الدافع الأول لاستدراك الابنية التي لم يذكرها سيبويه انما كان اظهار العلم والادلال بالمعرفة. والحقيقة ان لهجة التعامل - وهي لهجة مستعربة عن الزبيدي المتواضع - بادية تماما في الكتاب اجمع. وسوف نرى بعد قليل كيف ان الزبيدي تتبع سيبويه مفندا كلامه متبعا اخطاه، وكيف انه استقصى غاية الاستقصاء

(١) الاستدراك على سيبويه : ١

(٢) المصدر نفسه :

(٣) مقدمة الكتابين .

بحيث لم يترك شاردة ولا واردة • وكان حريصا على ذكر ما اورده سيبويه ثم اتباعه بما لم يذكره ، مما يشير الى رغبة المقابلة واهراز النقص •

### ٢ - منهج الكتاب :

جاء في مقدمة الكتاب : " • فرأيت ان افرد في الابنية كتابا الخّصّ ذكرها فيه وأبدأ بما يجب ان يكون صدرا لها ومدخلا اليها ما يشاكلها وينتظم بها بل هو أصل لها وهي فرع منه مبنية عليه ، وذلك بان ابتدئ بذكر اقل اصول الاسماء والافعال والحروف واكثر اصولها غير مزيدة واقص ما تنتهي اليه بالزيادة • ونذكر حروف الزيادة والبدل ، ثم نعقب من بعد بأبنية الاسماء والافعال على حسب ما ذكرها سيبويه بناء بناء ونعد ما نورد منها في كل باب حتى تأتي احاطة العدد على جميع ابنية الاسماء والافعال " • (١) . ومن هذا النص يمكننا ان نقسم الكتاب الى مقدمة والى موضوعين رئيسيين • فالمقدمة هي التي تشمل الابواب التالية :

١ - باب ذكر اقل اصول الاسماء واكثر اصولها •

٢ - باب ذكر اقل اصول الافعال واكثر اصولها •

٣ - باب ذكر الحروف •

٤ - باب الحروف الزوائد وهي عشرة •

٥ - باب حروف البدل وهي اثني عشر حرفا •

وهذه الابواب دراسات تمهيدية وتعريفات للدخول من بعدها في صلب

الموضوع وهو الابنية • وبطبيعة الحال لم يصنف الزبيدي كتابه هذا التصنيف ، وانما

ادرج الابواب بصورة متتالية ودون ان يميز بين ما هو تمهيد وما هو أصيل •

(١) الاستدراك على سيبويه : ١ - ٢ •

وأما الباهان الرئيسان فانهما أيضا يتفرعان الى ابواب ثانوية، ويدخل أثناء ذلك أيضا ابواب فرعية . والباهان هما :

أولا - باب ذكر ابنية الاسماء

١ - باب البناء الثلاثي غير المنزود

أ - ذكر لحاق الزوائد في البناء الثلاثي :

- باب لحاق الهمزة - باب لحاق الالف - باب لحاق الياء
- باب لحاق النون - باب لحاق التاء - باب لحاق الميم
- باب لحاق الواو .

ب - باب الزيادة من موضع التضعيف في العين واللام .

ج - باب الزيادة من موضع العين واللام اذا ضعفتا .

٢ - باب البناء الرباعي غير المنزود

أ - باب لحاق الزوائد للرباعي

- باب لحاق الواو - باب لحاق الياء - باب لحاق الالف
- باب لحاق النون .

ب - باب التضعيف في الرباعي .

٣ - باب ابنية الاسماء والصفات الخماسية .

أ - باب لحاق الزوائد بالخماسي .

ب - باب ما اعربت العرب من الاسماء الاعجمية .

ثانيا : ذكر ابنية الافعال

١ - باب لحاق الزوائد للفعل الثلاثي .

٢ - باب ما تسكن اوائله من الافعال المزيدة .

٣ - باب ما لحق من الافعال الثلاثة بالرابعة .

٤ - باب الافعال الرباعية .

٥ - باب لحاق الزوائد بالرباعي .

ومن هذا التبسيط لمواد الكتاب يلاحظ ان هناك بعض الاضطراب في

المنهج . فباب " ما اعربت العرب من الاسماء الاعجمية " لا يختص بأبنية الاسم الخماسي، ولكن الزبيدي الحق بهذا الباب . كما ان باب " ما تسكن اوائله من الافعال المزيدة " ، الحق بباب " لحاق الزوائد للفعل الثلاثي " . غير ان ذلك لا يعدّ طبعنا بالغافسي منهج الكتاب ؛ والواقع انه من المؤلفات ذات المنهج الواضح . وربما ساعد على ذلك الانتظام ، ضيق المجال وتقيّد المؤلف بناحية معينة من اللغة واتباعه لكتاب سيبويه في رده عليه .

بعد ذلك يعتمد الزبيدي الردّ على سيبويه في ناحيتين :

١ - تبيان تناقض سيبويه وغلطه في ما ذكره ، ويشير الزبيدي الى ذلك قائلا : " ونذكر في خلال ذلك على ما اختلف فيه قوله وما نقص به أصله " (١) . ومثل هذا التبع كثير ، بل الواقع ان الهدف من الكتاب هو هذا الاستدراك على سيبويه ، مثاله : " ... وعلى فَعْلِيل فإلاسم زيج وزهر وحفرد والصفة دلّم وعنص وخرمسل وزهلق ، قال ابو بكر : قد قال في باب زيادة الميم في الثلاثة ان دلّم فَعْلِم والميم زائدة وجعلها هاءنا اصلا على فَعْلِيل " (٢) .

٢ - افراد فقرة تابعة خاصة لايراد ما لم يورده سيبويه من اصول الابنية . قال الزبيدي

(١) الاستدراك على سيبويه : ٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٨ .



" ونذكر باشور كل باب منها ما اغفله سيبويه من اصول الأبنية فيه " (١). فبعد باب لحاق التاء يورد الزيادة التالية : " الزيادة ، قال ابو بكر قد جاء تُفَعِّلُ قالوا تُكَوِّطُ اسم لطائر ، فعدتها ثمانية عشر بناء ، للاسماء والصفات ثلاثة ابنية ولل اسم اثنا عشر بناء وللصفة ثلاثة ابنية " (٢). وتختلف الزيادة من باب الى آخر فأحيانا تطول (٣) وأحيانا تقصر (٤).

حتى اذا خلاص من ذلك كله عد الى تفسير الغريب . قال شارحا منهجه في هذا ، الناحية : " ثم نشرح بعد كل باب منه ما وقع فيه من غريب الابنية شرحا مختصرا كافيا ، وان كان اهل اللغة قد تحاموا شرحها وتقادوا من تفسير غريبها وشهدوا لسبويه بالتقدم في علم اللغة بما اثبت في كتابه منها حين ايقنوا انه لم يعن بنقلها الا بعد احاطته بعلمها وتفسير مشكل غريبها " (٥). فالزبيدي يرى من واجبه ان يشرح ما هو عسير على الفهم . وربما ظهر التعالم ومحاولة التفوق على سيبويه في هذا الكلام ، اذ انه يغمز سيبويه ويتهمة بانه لم يكن يعرف تفسير الالفاظ الغريبة كلها . وهو لا يؤمن بكلام العلماء الاخرين الذين يثقون بسيبويه ، فيقرر ان يفرد جزءا خاصا بالتفسير يلحقه بكل باب من ابواب كتابه . ولكن الزبيدي يعترف بأنه لم يستطع ان يحيط بكل شيء صعب : " وقد ارجأنا منها شرح حروف يسيرة لم ينته اليها علمها فأتينا بها في اواخر الابواب ولم نياس بعد من ادراكها عند استقصاء البحث عنها ان شاء الله تعالى " (٦).

وهذا التفسير التابع ، ليس قليل الشأن ، او ، اذا اردنا ان نكون دقيقين ،

(١) الاستدراك على سيبويه : ٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٣ .

(٣) زيادة باب لحاق النون ص ٢٢ ، زيادة باب لحاق الالف ص : ١٤ - ١٥ .

(٤) زيادة باب ابنية الاسماء والصفات الخماسية ص : ٣٦ ، زيادة باب لحاق التاء ص : ٢٣ .

(٥) الاستدراك على سيبويه : ٢ .

(٦) المصدر نفسه

ليس قليل الحجم ، فهو كثيرا ما يفوق في حجمه المادة الاصلية والزيادة عليها مجتمعتين . ولعل السبب في ذلك ان المجال هاهنا يفتح امام الاخبار والاقوال والامثال وأشعار العرب : " والاسليح نبت من فاضل المعرى ، وتضافر الى امنية الخس امرأتان تارتا في معرى ابويهما . فقالت احدهما : اهل ابي ترعى الاسليح ، فقالت بنت الخس : رفوة وصبح وسنام اطويح " (١) . والزبيدي هاهنا يرد الروايات التي تأليفها ولكنه لا يذكر ما اذا كانت مصادره شفوية ام مختارة من الكتب ، ولا يورد اسماء المؤلفات . فهو يقول : " قال النضر بن شميل " (٢) و " قال يعقوب " (٣) و " ذكر الاصمعي " (٤) .

ويكثر الشعراء التفسير ، ولكنه يذكره للاستشهاد به ، ولا تجره الفتحة الادبية الى ذكر مقطوعات بكاملها . بل انه كثيرا ما اكتفى بشرط من يبت حرصا على الايجاز .

ويمكننا ايجاز التقسيم داخل كل باب - ولفظة باب عنده مائة الدلالة فقد تعني امنية الاسماء اجمع ، وقد تعني لحاق التاء في الثلاثي المزيد فقط - بما يلي :

١ - ما اورده سيبويه من الباب ، واظهار التناقض والخطأ احيانا .

٢ - الزيادة التي حققها الزبيدي لما فات سيبويه ذكره .

٣ - تفسير غريب الباب .

(١) الاستدراك على سيبويه : ٩ .

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه

(٤) المصدر نفسه

## ج - خصائص الكتاب :

يتميز هذا الكتاب بصفتين بارزتين اولاهما الاستقصاء وثانيتهما

وضوح شخصية المؤلف :

فأما الاستقصاء فقد تتبع أبو بكر الزبيدي سببوه تتبعاً غنياً، ولم يتركه لحظة إلا ليعود فيمسك بتلابيبه مرة أخرى . وقد أحس الزبيدي نفسه بأن مثل هذا التصرف قد يعرضه لهجوم الناس عليه ، فاستبق هجوم الناقدين ودافع عن نفسه قائلاً : " ولعل ما قلنا يتوهم أننا ادّعينا مدانة سببوه في علمه أو موازاته في نفاذه وفهمه بما زدنا عليه من الابهة التي اغل ذكرها ولما دللنا عليه من تناقض بعض قوله أو بمعارضتنا له في اليسير من معانيه فيخالنا افكاً ويظن بنا عجزاً وأننا لنا بما توهمه وانما تكلمنا على أصوله وعارضنا بعض قوله / <sup>بعضه</sup> ورغبنا عليه من علمه ، والاحاطة على البشر متممة والعصمة عنهم مرتفعة " (١). وهذا الكلام له اهمية لأن فيه تأكيداً على ان الزبيدي يجد نفسه قادراً على مقارعة سببوه واكتشاف اخطائه وتتبع عثراته .

وهذا الاستقصاء يظهر لنا واضحاً في مثل ، من جملة الامثلة الكثيرة التي يمكن ايرادها ، جاء في باب لحاق الألف : " ... قال سببوه وعلى تفاعل فالاسم التاضب والتافل ولم يأت وصفاً ، قال ابو بكر قد جاء ناقة تحلبة والجمع تحالب . قال سببوه وعلى يفاعيل فالاسم يرايبع ويعايب والصفة يحاميم ويخاير جمع يخزور ويحوم . وعلى يفاعل فالاسم اليحامد واليرامع ، قال ابو بكر : قد جاء ناقة يعملة صفة والجمع يعامل . قال سببوه وعلى فعاويل فالصفة قراويح وجلالوخ لا نعلمه جاء اسماً ، قال ابو بكر : قد ذكر في هذا الباب عسود وقرواش اسمان فيجب ان يجمعاً

(١) الاستدراك على سببوه : ٢ .

على عوايد وقرايش النخ ..... (١).

وأما من حيث وضوح شخصية الزبيدي في كتابه فالواقع ان طبيعة الكتاب تستدعي من المؤلف فرض شخصية قوية وبارزة . فهو مؤلف قائم على استدراك اخطاء الآخرين وسد النقص وتتبع السقطات ، وهذا كله يحتاج الى عالم يبدى رأيه بصراحة وبصورة جازمة .

فالزبيدي يبدى رأيه في المشكلات اللغوية المعقدة ويكون شديدا حتى على العلماء الثقات : " وليست الياء في مسلمين يبدل من الف مسلمان ولا ياء مسلمين يبدل من واو مسلمون كما زعم سيهويه لأنه ليس منها شي " بأصل لازم لاسم هو اولى به من غيره وانما هي ادلة على اعراب الاسم لكان قد ذهب في ذلك مذهبا " (٢) ويلاحظ ان الزبيدي لا يعترض فحسب وانما يبدى الحجة . ومثل هذا دفاعه عن الكوفيين : " قال ابوبكر : الكوفيون ومن نحا نحوهم من البغداديين يجعلون هذا من الثلاثي وأصله عندهم كفت وزلت فكروا اتصال التضعيف فحالوا بينه بحرف مثل فاء الفعل وقولهم عندي اولى بالصواب لا طراد مقاتلهم وصحبة الاشتقاق لمذهبيهم ، الا ترى ان قولك ككفت في معنى كفت وحللت في معنى حللت " (٣).

## ١٠ لحن العامة

تذكره المصادر بهذا الاسم وأحيانا باسم كتاب ما تلحن فيه عوام الاندلس، وحيثا ثالثا باسم لحن عوام الاندلس أو لحن العوام ، وقد قال فيه ابن

(١) الاستدراك على سيهويه : ١١ - ١٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٦ .

(٣) المصدر نفسه : ٤٠ .

خير : " كتاب لحن العامة لأبي بكر الزبيدي التأليف الأول والثاني " (١) فلكتاب صورتان متفاوتتان كتبهما الزبيدي في تاريخين مختلفين . ثم ذكر كتاب " مختصر لحن العامة " وقال عنه انه في جزء واحد (٢) وقد أخذ اجازة ولم يقرأه . وقد نشرت صورة مسن هذا الكتاب قام بتحقيقها الدكتور رمضان عبد التواب بعنوان " لحن العوام " (٣).

ويقول محقق الكتاب : انه هو الاسم الذي وجده على المخطوطة الوحيدة التي استخدمها في التحقيق . ويبدو أن هذا المنشور اما أن يكون مختصر لحن العامة أو الصورة الموجزة من التأليفين اللذين ذكرهما ابن خير .

#### (١) الداعي الى تأليف الكتاب

يريد الزبيدي ، في هذا الكتاب ان يرد فضل التأليف الى الحكم المستنصر ، يقول : " وكان الذي قد دعانا الى تأليف هذا الكتاب ما أملناه في الثقة التي اسندها الى المؤلف الامام الفاضل ، والخليفة العادل ، الذي لا اسام في الارض غيره ، ولا خليفة لله على الخلق سواء ، الحكم المستنصر بالله ، امير المؤمنين ، وسيد المسلمين ، محيي العلم وروايعه ، الراسخ في فنونه ، الموفى على دقيقه وجليله ، المشرف لسمه ولحامليه .... " (٤). غير اننا لا نستطيع ان نرد من الفضل للحكم سوى ما يمكن ان يكون قد ساهم به من تشجيع ورعاية وعطاء . اما الفضل العلمي فانتا نرده كله الى الزبيدي اذ هذا الكتاب يختلف في منهجه عن كتاب طبقات النحويين واللغويين .

ولقد نظر الزبيدي الى لغة الناس من حوله فأحسن ان هناك فارقا ما بين

(١) فهرسة ابن خير : ٣٤٦

(٢) المصدر نفسه : ٢٤٧

(٣) طبع القاهرة : ١٩٦٤

(٤) لحن العوام : ١

لغتهم ولأولين اللغة الفصحى ، فأراد ان يبين هذه الاخطاء ، او ما اعتبره من الأخطاء .  
 ويشع لنا في المقدمة هذا الامر فيقول : " ولم تزل العرب في جاهليتها و صدر من  
 اسلامها ، تبرع في نطقها بالسجية وتتكلم على السلية ، حتى فتحت المدائن ، ومصر  
 الامصار ، ودونت الدواوين ، فاختلف العربي بالنهطي ، والتقى الحجازى بالفارسي ، ودخل  
 الدين اخلاط الام ، وسواقط البلدان ، فوقع الخلل في الكلام ، وبدأ اللحن في السنة  
 العوام " (١) .

وقد ذكر الزبيدي ان هناك قوما حاولوا ان يصلحوا من هذا الامر " فكان اول  
 من استدرك ذلك ، وحاول اصلاح فساد ، ابو الاسود ظالم بن عمرو الدؤلي فآلف ابوابا  
 من النحو ، ذكر فيها عوامل الرفع والنصب والجر والجزم ، ودل على الفاعل والمنعول  
 والمضاف " (٢) .

ويورد الزبيدي بعد ذلك ذكرا لبعض الاسهامات التي شاركت في التأليف النحوي  
 ووضعت قواعد لضبط اللغة ومحو الجهل فيها (٣) . ثم يقول موضحا الهدف من التأليف :  
 " ثم آلف من بعده - بعد الخليل - من اهل العلم في النحو والغريب واصلاح المنطق ،  
 على قدر الحاجة ، وبحسب الضرورة ، تحصينا للغتهم ، واصلاحا للمفسد من  
 كلامهم " (٤) . فالهدف اذن من تأليف لحن العامة هو اتمام تلك السلسلة من الكتب  
 اللغوية التي تحاول ان تضبط اللغة وتمنع نشو اللحن فيها .

وهنا نسأل انفسنا هذا السؤال : هل آلف الزبيدي كتابه على غير مثال

(١) لحن العوام : ٤

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه : ٤ - ٥

(٤) المصدر نفسه : ٥

سابق ؟ الواقع ان الزبيدي نفسه يقول : " وقد وضع ابو حاتم كتابا اعتمد به تقويم ما غيره اهل عصره من كلام العرب ، وسماه كتاب لحن العامة " (٢) . فالفكرة اذن ليست من ابتداء الزبيدي ، وغضوان الكتاب أيضا ليس جديدا .

فما الذي يختلف فيه كتاب الزبيدي عن كتاب ابي حاتم ؟ ان مثل هذه الزيادة او مثل هذا الاختلاف هو المبرر لتأليف لحن العوام ، والا يكون الكتاب بمجمله نفلا .

يقول الزبيدي : " واني لما تصفحت كتابه - كتاب ابي حاتم - هذا رأيته مشتتلا على ما يشتمل عليه سائر الكتب الموضوعة في اللغة ، ورأيت الفن الذي قصد ، والخروب الذي اعتمد ، ووسم الكتاب به نزرا فيما ضمنه من تفسير الخروب ، وتصريف الافعال ، وتوجيه اللغات " (٣) . فالزبيدي يهاجم طريقة التأليف عند ابي حاتم يبرى انه لم يحقق فكرته ، فلقد شذ عن الموضوع وراح يبحث في المشكلات التي بحشها من جاء قبله من العلماء ، " فكان الكتاب مؤلفا لخير ما نسب اليه ، وعرف به " (٤) . وهذا موطن ضعف استطاع الزبيدي ان يستغله .

غير ان هناك مبررات اخرى دفعت الزبيدي الى ان يكتب هذا الكتاب . فابو حاتم السجستاني يبحث في ما يلحن فيه عوام المشرق لا ما يلحن فيه عامة الاندلس . لذلك فالزبيدي يقول : " ورأيت كثيرا من اللحن الذي نسب الى اهل المشرق ، قد سلمت عامتنا من موافقته ، ونطقت بوجه الصواب فيه ، كقولهم ود ، وظفر ، وعشق ، وحدوة ، وعود مستوي ، وقهرس ، وفلفل ، وذهب الى المكايين ، وفلان يوزن بكذا اي يزن به .

~~ابو حاتم السجستاني~~

(٢) لحن العوام : ٥ .

(٣) المصدر نفسه : ٥ - ٦ .

(٤) المصدر نفسه : ٦ .

ثم نظرت في المستعمل من الكلام في زماننا وبأفقتنا ، فألفت جملا لم يذكرها أبو حاتم ، ولا غيره من اللغويين ، فيما نسبوا اليه ، ودلتوا عليه ، مما افسده العامة عندنا ، فأحالوا لفظه ، أو وضعوه غير موضعه " (١).

### (ب) العامة : ماذا تعني ؟

عامة الناس وعوامهم غير الخاصة من الناس . هذا المفهوم العام للكلمة لم يكن المقصود في كتاب الزبيدي . فلقد أحس أبو بكر انه لو اراد ان يحصي ما يلحن فيه الدهماء وسقاط الناس لاستغرقه ذلك زمنا طويلا ، قال وسوف " ادع اجتلاب ما افسده دهماؤهم ، وسقاطهم ، مما عسى ان لا يعزب عن تمسك بطرف من الفهم ، ان لو استوعبنا ذلك لطال الكتاب به " (٢). فاذا كان اللحن قد نشأ بين العامة فلقد " تابعهم على ذلك الكثرة من الخاصة ، حتى ضمنتهم الشعراء اشعارهم ، واستعمله جلّة الكتاب ، وعليه الخدمة في مسائلهم ، وتلاقوا به في محافلهم . فرأيت ان انبه عليه ، وابين وجه الصواب فيه ، وان أفرد لما يحضرني منه كتابا احصره به ، واجمعه فيه " (٣). وقد اكد فكرة الخطأ لدى الخاصة فقال : " وانما نذكر منه ما يتوقع الغلط من الخاصة فيه . . . نحو ما حدثني بعض اهل النظر من رجل من اجزاء الحرمة ، ينسب اليه فنون العليم ، وضروب الاداب ، قال : " ورد كتاب من بعض الكتاب ، كتب فيه الجخطب ، بالطاء ، فأنكرت ذلك فلم يصح الي حتى عدت اليه ببعض كتب اللغة ، فأريت به الحرف مقيدا فيه ، الى كثير من هذا " (٤).

(١) لحن العوام : ٦ - ٧ .

(٢) المصدر نفسه : ٨ .

(٣) المصدر نفسه : ٧ - ٨ .

(٤) المصدر نفسه : ٨ .



غير ان هناك ملاحظة مهمة ينبغي الاشارة اليها ، وهي اذا كان الخاصة هم المقصودين من هذا الكتاب ، فان اللفاظ التي تعالج والتي طرأ عليها التحول والتبدل ، ليس من اللفاظ الغريبة والمغرة في فصاحتها في اكر الحيان . فالكتاب موجه او يقصد به اخطاء الخاصة من الناس ، والخاصة الفاظهم مختارة . غير انه يعالج ايضا اللفاظ السوقية والعامية . وقد تبه ابو بكر الى ان مثل هذا الافتراض وارد فقال : " ولعل طائفا يطعن في كتابنا هذا بما ذكرناه من الكلام السوقية ، واللفظ المستعمل العامي ، جهلانهم ان الفساد انما يقع في المستعمل على اللسنة ، وان الوحشي مصون عن التغير والاحالة ، بقلّة استعماله ، وجهل عوام الناس به " (١).

#### (ج) منهج الكتاب :

ينقسم الكتاب الى ثلاثة ابواب رئيسية :

أ - " ذكر ما افسدته العامة وما وضعوه غير موضعه " . وهو أكبر الابواب الثلاثة اذ يستغرق من ص ١١ - ٢٠٥ . ويقولون للنبت الكثير الشوك المنبسط بالارض خرشف . قال محمد : والصواب ، خرشف . (٢).

ب - " وما وضعت العامة في غير موضعه " ، وهو باب متوسط اذ يستغرق من ص ٢٠٦ - ٢٣٩ . والعامة في هذا الباب لا تغير في اللفاظ وانما تغير من معانيها ودلالاتها . مثال ذلك : " ويقولون : درهم " واف " اذا كان يزيد في وزنه . قال محمد : اللواني الذي لا زيادة فيه ولا نقص . وهو الذي وفي بزنه (٣).

(١) لحن العوام : ٩ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٢ .

(٣) المصدر نفسه : ٢١٠ .

جـ - " وما يوقعونه على الشيء وقد يشركه فيه غيره " . وهو اقصر الابهاب  
 ان يستغرق من ص ٢٤٠ - ٢٤٧ ، ولا يبحث الا في شأني مواد فقط . مثاله :  
 " قولهم الوادي للنهر خاصة . قال ابو بكر : و الوادي كل بطن مطمئن من الارض .  
 وربما استقر فيه الماء .... " (١) .

### (د) أنواع الخطأ :

تقضى الزيادة في الفاظ العامة انواعا مختلفة من الخطأ .

١ - خطأ لياقة . ويمثل لنا ذلك في المثال التالي : " ومن ذلك قولهم :  
 هو الله الازلي قبل خلقه ، ولم يزل واحدا في ازليته ، وكان هذا في الازل .  
 قال محمد : وذلك كله خطأ ، لا أصل له في كلام العرب . وانما يهدون  
 المعنى الذى في قولهم : لم يزل عالما . ولا يصح ذلك في اشتقاق ولا تصريف .  
 وقد اولى بالخطأ في هذا اهل الكلام والمدعون لحدود المنطق ، حتى غرّ ذلك جماعة  
 من الخطباء ، فأدخلوه في خطبهم . ولا يجوز لاحد ان يصف الله عز وجل ، بغير  
 ما وصف به نفسه في محكم كتابه وحيا ، او ما ثبت به الخبر عن رسوله (ص) ،  
 ولو صحت الكلمة في الاشتقاق وتكت في التصريف " (٢) .

٢ - خطأ لغوى ، مثاله : " وكذلك قولهم فيه تبارك وتعالى : هذه  
 صفة ذاته ، وهو مبالغ بالذات .

قال محمد : ولا يجوز ان يلحق الألف واللام ذو ولا ذات في حال انفراد  
 ولا تشية ولا جمع ، ولا تضاف الى الضمرات . وانما تقع ابدا مضافة الى الظاهر ،

(١) لحن العوام : ٢٤٠ .

(٢) المصدر نفسه : ١١ .

الا ترى انك لا تقول : الذو ولا الذوان ولا الذون ولا الذات ولا الذوات  
ولا ذوك ولا ذوه ولا ذوهما ولا ذوهن ولا ذواتها . ولا تقول مررت بذاته  
ولا بذاتك . وقد غلط في ذلك اهل الكلام ، واكثر المحدثين من الشعراء والكتاب  
والفقهاء . (١) .

٣ - خطأ كتابي وليس خطأ لفظيا ، ومثاله : " ويقولون لضرب من  
الشجر دفلة .

قال محمد : والصواب دفلى ، على مثال فعلى ، والالف للتأنيث " (٢) .

٤ - خطأ ناتج عن زيادة حرف ، ومثاله : " ويقولون سمعنا الأذان ..

قال محمد : .. والصواب الأذان على وزن فعال " (٣) .

٥ - خطأ ناتج من تغيير حركة احد الاحرف ، ومثاله : " ويقولون لما  
يبع من المتاع سلعة .

قال محمد : والصواب سلعة بكسر اوله " (٤) .

٦ - خطأ ناتج من قلب حرف وحذف آخر ، ومثاله : " ويقولون لبعض

الفئوس التي يقطع بها الخشب شقور بالشين .

قال محمد : والصواب ، صاقور . والجمع الصواوير " (٥) .

٧ - قلب حرف واحد ، ومثاله : " ويقولون لما طحن من البر وغيره فليظا ديش .

(١) لحن العموم : ١٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٩٩ .

(٣) المصدر نفسه : ٤٩ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه : ٩٧ .

قال محمد : والصواب جشيش بالميم ، يقال جششت البر أجشه جشا فهو مجشوش وجشيش ، وهو طحن كالهرس <sup>(١)</sup> . وملاحظ ها هنا ان قرب المخرجين من بعضهما أدى الى مثل هذا القلب . والامثلة على هذا للقلب كثيرة في الكتاب <sup>(٢)</sup> ، وفي لغتنا العامية الحاضرة في لهجاتها المختلفة .

#### (هـ) طريقته في وصف المادة :

مما سبق عرفنا شيئا من طريقة الزبيدي فهو يذكر الكلمة السبتي يخطئ فيها عامة الاندلس ، مسبوة دائما بعبارة " ويقولون " ، ثم يذكر الصواب مسبوة بعبارة : " قال محمد " او : " قال ابو بكر " .

ولكي نستطيع اخذ فكرة واضحة من عمل الزبيدي لا بد من دراسة مادة او اكثر من الكتاب . وعلى سبيل المثال نأخذ مادة " اهنيم " <sup>(٣)</sup> .

" ويقولون هنييم ، للحديدة التي تكون في طرف حمزام السرج ، يسرج بها ، وقد تكون في طرف المنطقة ولها لسان يدخل في الطرف الاخر من الحمزام والمنطقة .

قال محمد : والصواب اهنيم ، على مثال افعليل . وفيه لغة اخرى ،

يقال : اهزام والجمع اهانيم . قال المعاج :

يدق اهنيم الحمزام جشمه

ويقال ايضا اهنين ويجمع على اهانين . وقال ابو داود الايادي :

من كل جرواء قد طارت عقيقتها وكل اجرو مسترخى الابانين

(١) لحن العموم : ٢٠ - ٢١ .

(٢) المصدر نفسه : ١٥٨ ، ١٦٨ ومواضع اخرى كثيرة .

(٣) المصدر نفسه : ١٥ - ١٨ .

ويقال للإهزم أيضا زَزَقْنَ وَزُقْنَ . وفي الحديث : ان درع رسول الله (ص) كانت ذات زرافن ، اذا علقت بهزافنها شموت ، واذا ارسلت مسست الارض . وقال مزاحم ، يهاري سويساها اذا<sup>ما</sup> تلجمت شها مثل الهزم السلاح المؤسل .  
 يصف ناقة . والمؤسل المدرد ، الذي رقت اسلته . ويقال للقتل أيضا الهزيم .  
 وهذه العبارات كلها متفقة ، لان الهزم افعيل من هزم ، اذا عَضَّ . وقال ابو زيد : هزمت أهنم هزما ، اذا مضضته بالشيأيا ، دون الانياب والرهاعيات . وكذلك السبزم في الرمي ، هو اخذك الوتر بالابهام والسبابة ، ثم ترسل السهم . فأما قول تميم ابن ابي بن مقبل :

على كل ملواح يزل بهيمها      تعاطي اللجام الفارسي وتصرف  
 فهو الهيم بالراء . وكذلك انشدني قاسم بن اصبح عن السكري عن ابي حاتم عن ابي عبيدة . والبهيم جبل مفتول ، يكون فيه لوان ، وربما شدته المرأة على وسطها .  
 وانشد الاصمعي :

اذا المرضع العوجاء جال بهيمها

وليس بالاهزم الذي ذكرنا . والبرمان أيضا .

وهكذا نرى ان المشكلة لم تعد مشكلة كلمة عامة وما يقابلها من الفصح ، بل ان الامر تعدى ذلك فدخلنا في تفرعات وتشعبات واستشهادات ، كل ذلك بدقّة متاهية وبخطة مرسومة ، تكرر في الكتاب اجمع .

ويمكننا ان ننتج من هذه المادة ومن سواها الأمور الآتية ،

١ - استشهاد الزهيد بالحديث :

نقد بلغ مجموع ما استشهد به من احاديث ستة وثلاثين

حديثاً (١).

## ٢ - الاستشهاد بالآيات القرآنية :

لم يكثر الاستشهاد بالآيات القرآنية ، اذ كان مجموع ما استشهد به خمس عشرة آية فقط ، من سور مختلفة (٢).

## ٣ - الاستشهاد بالامثال وأقوال العرب :

وهو أيضا يقل من الاستشهاد بالامثال والاقتوال . وقد بلغ مجموع ما استشهد به منها أربعة عشر مثلاً وقولاً (٣).

## ٤ - الاستشهاد بالشعر :

وهذه ظاهرة عامة في الكتاب تتردد في اكثر الاوقات . غير ان الزهيدى سار في الاستشهاد أحيانا على مثال ما يرد في كتب النوادر من ايراد قطعة كاملة من الشعر دون الاكتفاء بموطن الشاهد وحده (٤).

- 
- (١) لحن العامة : ٨٤ ، ١٢٠ ، ١١٢ ، ٢٧٥ ، ٢٥٦ ، ٢٧٣ ، ٢٤٦ الخ ...  
 (٢) المصدر نفسه : ٥٩ ، ١٨٣ ، ٣٠١ ، ١٣٨ ، ٢٦١ ، ٢٥٨ ، ٢٧٢ الخ ...  
 (٣) المصدر نفسه : ٤٠ ، ٦٢ ، ٨٣ ، ٩٩ ، ١٢٧ ، ١٤٧ ، ١٥٥ ، ١٨٤ ، ٢٦٣ الخ ...  
 (٤) من ذلك ايراده لمقطوعة " بعض الهذليين " في اثناء حديثه عن لفظة حنش (لحن العوام : ١٠٢ - ١٠٣) :

يا رب ان كان ابو خير ظلم	وخاني في علمه وقد علم
فاقدر له في بعض اعراض الظلم	لئمة من حنش اعمى أصم
قد عاش حتى صار ما يمشي بدم	فكل ما أسار منه الدهر سم
حتى اذا نام ابو خير وليس	يمن منه واهن فلا ألم
سرى اليه غير وان في الظلم	فشاك بين الشراك والقلم
بمذرب اخجه من جوف كم	المحتة عاد ذات ارم *

\* هكذا في الكتاب المطبوع .

## ٥ - إيراد لغات الصواب المختلفة :

وقد ظهر ذلك في المثل <sup>السابق</sup> السابق : فالصواب " اهزيم ، على مثال افعيل .  
وفيه لغة أخرى ، يقال : اهزام ، والجمع اهازيم " (١). والصواب مينا بالقصر  
وميناء بالمد ، والقصر فيه أكثر " (٢).

## ٦ - ذكر أصل الاشتقاق :

لفظ ميناء في المثل السابق " مشتق من الوني ، وهو الفتور  
والسكون ، كأنه السفن جرت حتى قُرت وسكنت هنالك فسمي مكان سكونها مينا " (٣). ولا  
يهمننا اذا كان هذا التعليل صحيحا او لا ولكن يهمننا البحث عن الأصول عند  
الزبيدي . وفي مثال آخر : " وانما قيل له القمع : لانه يدخل في الاناء . يقال  
منه قععت الاناء اقمعه . ويقال للانسان قد انقع وقمع ، اذا دخل في الشيء او  
دخل في بعضه " (٤).

## ٧ - مرادفات اللفظ :

" ويقال للاهزيم أيضا : زَرْقَن وَزَرْقَن " (٥). ومثال ذلك أيضا : " ويقال  
للمينا أيضا جهس وحصر وصنع ومضعة " (٦).

## ٨ - تحليل اسباب دخول اللحن :

" ويقولون للقلة الصغيرة صهبانة .

- 
- (١) لحن العوام : ١٥ - ١٦ .  
(٢) المصدر نفسه : ١٨ .  
(٣) المصدر نفسه  
(٤) المصدر نفسه : ٣٩ .  
(٥) المصدر نفسه : ١٦ .  
(٦) المصدر نفسه : ١٩ .

قال محمد : والصواب صؤابة وجمعها صؤاب ثم تجمع الصؤاب صئباناً . ويقال قد صئبت رأسه ، اذا كثر فيها الصئبان . وانما دخل عليهم ، لقولهم صئبان ، فتوهما ان واحده صئبانة وظنوه الجمع الذي ليس بينه وبين واحدة الا الهاء " (١) .

#### ٩ - ذكر وزن البناء :

وقد اكثر الزيدى ، حرصا على الدقة ، من ذكر وزن اللفظة حتى لا يكون هناك مجال للخطأ مثال ذلك : " وهذا البناء على فعالة يأتي اسما لما سقط من الشيء ، ولما بقي منه ، وما أخذ منه ، مثل : النحاة ، والبراية ، والسقطة وهو اسم لما يسقط ما تحته او تبريه ، والصبابة ، وهي بقية الماء " (٢) .

#### ١٠ - شرح الالفاظ :

يحسن الزيدى احيانا ان هناك من الالفاظ الواردة الفاظ تعسر على الفهم فيشرحها ، مثال ذلك :

" وكم دون بيتك من مهمه ومن حنش جاحر في مكا والمكا الجحر ، وهو يكون للفأر واليربوع والقنفذ " (٣) .

#### ١١ - الاستقصاء :

وهذه احدى ميزات الكتاب ، مثالها : " وقال ابو علي عن ابن الانبارى عن الفراء قال : العرب تنادى على تسع لغات ، يقولون : يا رب ، وهيا رب ، وأرب ، وآرب ، وأى رب ، وآى رب ، وأيا رب ، ووارب ، ورب " (٤) .

- 
- (١) لحن العوام : ١٩ - ٢٠ .  
 (٢) المصدر نفسه : ٣٠ - ٣١ .  
 (٣) المصدر نفسه : ١٠٢ .  
 (٤) المصدر نفسه : ١٤٦ - ١٤٧ .



١٢ - اختلاف العاميتين : المشرقية والاندرلسية ، واتفاقهما :

يلاحظ ان مما يورده الزبيدي من الالفاظ العامة الفاظا لحن بها اهل الاندلس ، ولم يفعل ذلك المشاركة ، مثال ذلك : " ويقولون للحديدة التي يفلح بها الارض سَكَّة فيفتحون .

قال محمد : والصواب : سَكَّة " (١) . ويصو وكان الزبيدي يتببه الى ذلك ويشير اليه احيانا ، كما فعل في المثل التالي : " ويقولون لموقف الدابة صهل ويجمعونه على صهول .

قال محمد : والصواب اصطل ، وهو من كلام اهل الشام وجمعه اصاطب " (٢) غير ان العاميتين تتفتان في احيان اخرى على الخطأ ، وأمثلة ذلك كثيرة ، من ذلك : " ويقولون : فلان شديد الغيرة على أهله . قال ابو بكر : والصواب ، الغيرة بالفتح ... " (٣) . ومن ذلك أيضا : " ويقولون للذى يسلط به البيوت جير . قال محمد : والصواب جيار ، على مثال فعال ... " (٤) .

١٣ - اعتماد اللغويين والرواة بكثرة دون ذكر المؤلفات :

فالزبيدي ليس دقيقا في هذه الناحية من البحث ، فرغم انه يرد كل قول الى اصحابه ، الا انه لا يذكر المصدر الذي استقى منه : " وروى ابو عبيدة : كما يغشي السفائن معج اللجة العرك ... " (٥) . و " قال سيبويه في الطرنا كمتالته

- 
- (١) لحن العوام : ١٣٦ .  
 (٢) المصدر نفسه : ١٣٣ .  
 (٣) المصدر نفسه : ١٤٤ .  
 (٤) المصدر نفسه : ١٤٥ .  
 (٥) المصدر نفسه : ٥٧ .

في الحلفاء " (١). وتتردد عنده عبارة : زعم او يقول بعض اللغويين دون تعيين هذا البعض : " وزعم بعض اللغويين انه يقال له القرنفل " (٢) ، " وزعم بعض اللغويين ان اهل اليمن يقولون كلوة بالضم وهذا مردود " (٣). " وقال بعض اللغويين : جمع اصطلح صطابل ، وتصغيره صطيبل " (٤). ومثل هذا لا يحدد للمؤلف وان كان علا شائعا آنذاك . وقد نال الأصمعي اوفى نصيب من الاستشهاد بأقواله ، فلقد وردت اقواله (٥) في خمس وثلاثين صفحة من الكتاب ، ووردت احيانا اكثر من مرة واحدة في الصفحة الواحدة . ونال يعقوب بن السكيت نصيبا وافيا ولكن اقل من نصيب الاصمعي ، اذ ورد ذكره (٦) في سبع وعشرين صفحة . وبعد هذين يأتي ابو حاتم السجستاني ثم سيبويه ثم لغويون آخرون كثر .

ونال ابو علي القالي ، استاذ الزبيدي وصديقه ، اكبر نصيب من عناية المؤلف (٧) وهو يتفوق حتى على الاصمعي . غير ان اهمية القالي دون اهمية الآخرين لأنه يروى اقوال الآخرين ويتحدث برواياتهم .

وهناك كثير من استشهد بأقوالهم مرة واحدة فحسب ، من هؤلاء مثلا : سعيد الاخفش (٨) ، ابو داود السجستاني (٩) ، شعبة بن الحجاج (١٠) ، ابن ابي

- 
- (١) لحن المعوام : ٧١ .  
 (٢) المصدر نفسه : ٦٥ .  
 (٣) المصدر نفسه : ٦٧ .  
 (٤) المصدر نفسه : ١٣٤ .  
 (٥) المصدر نفسه : ١٨ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٤٥ ، ٧٠ ، ٨٥ ، ٢٢٤ الخ ...  
 (٦) المصدر نفسه : ٢٢ ، ٧٢ ، ١٧٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٩ ، ٢٦٠ الخ ...  
 (٧) يرد ذكره في ٤٧ صفحة ، منها : ٢٣ ، ٤٦ ، ٩٣ ، ١٦٢ ، ١٩١ ، ٢٢٩ الخ ...  
 (٨) لحن المعوام : ٩١ .  
 (٩) المصدر نفسه : ٤١ .  
 (١٠) المصدر نفسه : ٢٤٤ .

شيبة (١)، بكر بن حماد (٢)، بسطام بن قيس (٣)، وآخرون .

غير انه ، كما سبق القول ، لم يكن يورد اسماء المؤلفات التي اخذ عندها .  
وقد ورد ذكر عدد قليل من الكتب في هذا المؤلف ، هي : كتاب للمؤلف نفسه ~~هو~~  
"أبنية الاسماء والافعال" (٤) ، وكتاب لابي علي القالي ، الصديق والاستاذ ، هو :  
المدود والمقصور (٥) ، وكتاب "لحن العامة" (٦) لابي حاتم المجستاني الذي بنى  
الزبيدي كتابه على خطه ؛ ثم اخيرا كتاب يدعى بـ "كتاب الأدب" (٧) ، لم يذكر  
الزبيدي اسم مؤلفه أو شيئا عنه .

#### ١٤ - توضيح شخصيته :

للزبيدي شخصية تمتاز بالاصالة . وهو ليس كاستاذ القالي مختبئ  
أبدا وراء اللغويين والاعراب . وانما هو يفاضل ويقترح الحلول ويتأهل ويعترض .  
وتكثر الامثلة على نضج هذه الشخصية ولكن نكتفي ببعض الامثلة الدالة : " وتلنست  
رأسي بالقلسوة ، وتلنست ، على مثال فعلت وتفعلت . ولا نعلم لهذين المثالين  
نظيرا في الكلام (٨) . ووضح من ذلك هذا المثال : " قال محمد : وهذا عندي  
غلط من ابي زيد " (٩) . وهو يعترض قائلا : " ولا اعرف في كلام العرب ما على

- 
- |     |             |            |
|-----|-------------|------------|
| (١) | لحن العوام  | : ٢٣٢      |
| (٢) | المصدر نفسه | : ٢١٤      |
| (٣) | المصدر نفسه | : ١٠٢      |
| (٤) | المصدر نفسه | : ٢٨ ، ٨٩  |
| (٥) | المصدر نفسه | : ٧٥ ، ١٠٨ |
| (٦) | المصدر نفسه | : ٥        |
| (٧) | المصدر نفسه | : ١٨٩      |
| (٨) | المصدر نفسه | : ٢٧ - ٢٨  |
| (٩) | المصدر نفسه | : ٥٣       |

هذا المثال اعني فعلول<sup>(١)</sup>. وهو يفاضل : " قال محمد : والقول الأول احب اليّ لأن القياس ان يأخذ التصغير والجمع حقهما .."<sup>(٢)</sup>. وربما كان اوضح الامثلة واكثرها دلالة هو المثال التالي : " .. واهل الكوفة يعدون ما جاء من نحو هذا ثلاثيا ، ويشتقونه منه ، وينذهبون الى ان صصامة من صم ، ولكهم كرهوا اجتماع الامثال ، ففرقوا بينهما بحرف مثل الأول ، وكذلك كفكت وصللت وحلحلت . والبصريون يعدون هذا كله رباعيا . وقول الكوفيين غدى اولى لأن الاشتقاق يحكم بصحته ، والقياس يشهد له "<sup>(٣)</sup>.

فكتاب لحن العامة لهذا كله ليس صورة لاحاطة الزبيدي وصبره على الجمع والتسيق والردّ وحسب ، وانما هو كنز لمن شاء أن يتصور المدى الذي بلغته اللغة في الاندلس من الخضوع للتغير والتبديل في النطق ، وواضح أن كثيرا جدا من الاخطاء التي عدّها الزبيدي انما تؤخذ سماعا لا كتابة وان أصرّ في مقدمة كتابه أنه يتحدث عن أخطاء الخاصة . وكثير ما عدّه الزبيدي من الخطأ لا يزال دارجا في لهجات المشرق حتى اليوم ولم يكن قاصرا على الأندلس ، فالناس اليوم في الاستعمال العام يقولون : بكرة (بفتح الكاف لا تسكينها) ورقوة (بدلا من رقية) وقرايا (في جمع قربة) وسكرانة (بدلا من سكرى) والغيرة (بكسر الغين) والجبس (بدلا من الجص) وخيز (بدل خبازة) ، بينما يعد كثير من الاخطاء الاخرى " لهجة " أندلسية ظلت عالقة بالألسنة ولم يجد فيها كثيرا اصرار الزبيدي على تبيان وجه الصواب فيها .

- 
- (١) لحن العموم : ٦٥ .  
 (٢) المصدر نفسه : ١٣٤ .  
 (٣) المصدر نفسه : ١٣٧ .

## ثانيا - ابن القوطية (٣٦٧ / ١٧٨) ومؤلفاته :

هو ابو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن ابراهيم بن عيسى بن مزاحم<sup>(١)</sup>. ويعرف بابن القوطية ، وهو لقب يرى بعض اصحاب التراجم انه ورثه عن جدة اسبانية من اهل الاندلس الأصليين<sup>(٢)</sup>. " وهي ام ابراهيم بن عيسى بن مزاحم جد ابي بكر المذكور ، وهي ابنة ودة بن غطشة ، وكان من ملوك الاندلس ، وعليه وعلى اخوته اربطاس وقميس الأندلس وسيدة افتتح طارق مولى موسى بن نصير مع المسلمين بلاد الاندلس ، وكانت القوطية المذكورة وفدت على هشام بن عبد الملك متظلمة من معها اربطاس المذكور فتزوجها بالشام عيسى بن مزاحم المذكور ، وهو من موالي عمر ابن عبد العزيز الاموي رضي الله عنه ، وسافر معها الى الاندلس فكان ذلك سبب انتقال عيسى بن مزاحم الى الاندلس وانسأله بها . وجاءت القوطية بكتاب هشام الى الخطاب الشعبي الكلبي<sup>(٣)</sup> ، وكان عامله على الاندلس ، بالوصاية عليها ، فكف عنها عنها وانصفها مما كان لها قبله ورعى حرماتها وعادت بها الحال وظالت حياتها الى ايام الامير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الداخل الى الاندلس من بني أمية ، فكانت تدخل عليه وتتقي حاجتها ، وغلب اسمها على ذريتها وعرفوا بها الى اليوم<sup>(٤)</sup>. ولا نستطيع ان نؤكد او ننفي صحة هذه الرواية انما هي تثبت

(١) ترجمته في : تاريخ ابن الفري ٢ : ٧٨ ، جذوة المقتبس : ٧١ ، الديباج المذهب : ٢٦٢ ، انباء الرواة ٣ : ١٧٨ ، وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، يتيمة الدهر : ٧٤ ، بغية الوعاة : ٨٤ ، معجم الارباء ١٨ : ٢٧٢ .

(٢) وفيات الاعيان ٤ : ٥ - ٦ ، الديباج المذهب : ٢٦٢ .

(٣) كذا في ابن خلكان وليس في الولاة أيام هشام من يحمل هذا الاسم ولعله ابو الخطار حسام الكلبي (١٢٥ - ١٢٧ / ٧٤٣ - ٧٤٥) .

(٤) وفيات الاعيان ٤ : ٥ - ٦ ، وانظر : الديباج المذهب : ٢٦٢ .

على كل حال ان لابن القوطية أصلاً إسبانياً ، من طرف واحد على الأقل . أما تفاصيل الرواية فلا شأن لنا بها . فأما عيسى بن مزاحم الجد فهو مولى عشرين عبد العزيز من أصل بهري ، فهو في الاندلس يعدّ من موالي الأمويين . ولهؤلاء مكانة خاصة اذا استطاع المرء منهم ان يبرز في ناحية من النواحي الاجتماعية او الثقافية ، وذلك ما حققه والد محمد ، فقد " استقضاء الناصر على استجة سنة احدى وثلاثمائة ، ثم سم على اشبيلية سنة ثنتين وثلاثمائة ، واستمر في الولايتين سبعة أعوام وسبعة اشهر " (١).

وليس لدينا الكثير من الاخبار عن نشأة ابن القوطية . وكل ما نعرفه عنه ان اصله من اشبيلية وأنه قرطبي (٢). ولعله ولد في اشبيلية ونشأ بها لان له اساتذه كثيرين من الاشبيليين . ففي اشبيلية " سمع من محمد بن عبد الله بن القوق ، وحسن بن عبد الله الزبيدي ، وسعيد بن جابر ، وعلي بن ابي شيبة وسيد أبيه الزاهد " (٣) . وسمع بقرطبة من طاهر بن عبد العزيز وابن ابي الوليد الأفرج ومحمد بن عبد الوهاب . . . . . وظاهر بن الوليد ومحمد بن المنيث وابن لهابة وابن ابي تمام واسلم القاضي وابن ايمن وابن الاغش وابن يونس وقاسم بن أصحح ونظرائهم ، ومن احمد بن خالد ، ومحمد بن مسور (٤). ويصعب حصر الفئة التي درس ابن القوطية عليها ، اذ انه " لقي أكثر مشايخ عصره بالاندلس فأخذ عنهم واكثر النقل من فوائدهم " (٥).

- 
- (١) الذيل والتكملة ٥ : ٥٤٩ ، وانظر الديباج المذهب : ٢٦٢ .  
 (٢) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٧٨ ، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٣ ، بنية الوعاة : ٨٤ ، الديباج المذهب : ٢٦٢ .  
 (٣) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٧٨ - ٧٩ ، الديباج المذهب : ٢٦٢ ، وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٥ .  
 (٤) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٧٩ ، الديباج المذهب : ٢٦٢ ، وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، بنية الوعاة : ٨٤ .  
 (٥) وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٥ .

ويقول ابن فرحون انه كانت فيه غفلة وسلامة وتكشف في ملهه وورع<sup>(١)</sup>. وتصفه المصادر بانه كان من أهل النسك والعبادة . وقد تضافرت اخلاقه وعلمه على اكتساب قلوب الناس اليه ونال من احترام الطلاب على تفاوت درجاتهم الاجتماعية احتراماً بالغاً ، وشهد له علماء عصره بالتقدم حتى كان التالي نفسه يبالغ في تعظيمه ، ولما سأل الحكم من أهل من رأيت ببلدنا في اللغة قال : محمد بن القوطية<sup>(٢)</sup> . وبلغ من نسكه - وخاصة في الدور الاخير من حياته - ان توقف عن قول الشعر زهداً وورعاً مع انه فيما يقول بعض من ترجموا له كان يبلغ فيه " حد الاجادة مع الاحسان في المطالع والمقاطع ، وتخير الالفاظ الرشيق والمعاني الشريفة " <sup>(٣)</sup>.

غير ان ما تنهق<sup>ت</sup> شعره ، لا يسمح لنا بحكم منصف عليه ، واذا كان لنا حق الحكم من دراسة الابيات القليلة التي وصلتنا ، فاننا لا نضع ابن القوطية في فئة الشعراء المجيدين<sup>(٤)</sup>.

ولم يقتصر ابن القوطية على ناحية واحدة من العلم بل كان يأخذ من العلوم المتيسرة آنذاك ما استطاعت ظروفه ان تتيحها له . فكان " من اعلم أهل زمانه باللغة والعربية ، وكان مع ذلك حافظاً للحديث والفقه ، والخبر والنوادر ، واروى الناس للشعار ، وأدركهم للآثار ، لا يلحق شأوه ولا يشق غباره ، وكان مضطجلاً بأخبار الاندلس ، ملياً برواية سير أمرائها ، واحوال فقهاء وشعرائها ، يملي ذلك عن

(١) الديباج المذهب : ٢٦٣ .

(٢) وفيات الأعيان ٤ : ٤ ، معجم الأدباء ١٨ : ٢٧٣ .

(٣) الديباج المذهب : ٢٦٢ ، معجم الأدباء ١٨ : ٢٧٤ .

(٤) راجع قطعة له في وصف الربيع وردت في بغية الوعاة : ٨٥ ، معجم الأدباء

١٨ : ٢٧٦ - ٢٧٧ ، وقطعة له في الحنين وردت في اليتيمة ٢ : ٧٤ - ٧٥ ،

معجم الأدباء ١٨ : ٢٧٦ .

ظهر قلبه " (١) . ولله في هذا الباب كتاب وصلنا وهو " تاريخ افتتاح الاندلس " (٢) .

ويبدو ان اهتمام ابن القوطية الاول كان منصبا على اللغة ، وقد عرف لسه المؤرخون هذه المقدرة فأفاضوا في صفات المديح والتبجيل حين تحدثوا عن مقدرته اللغوية ، كما مر معنا آنفا ، وكانت " كتب اللغة اكثر ما تقرأ عليه وتؤخذ عنه " (٣) . وقد اتفقت المراجع على انه كان مبرزاً في نواحي العلوم الاخرى من رواية شععر وخبر ومعرفة بمسير الملوك والامراء . غير ان هذه المراجع ترى ان ابن القوطية " لم يكن بالخابط لروايته في الحديث والفقه ، ولا كانت له اصول يرجع اليها ، وكان ما يسمع عليه من ذلك انما يحمل على المعنى لا على اللفظ " (٤) . ولهذا عدّ من المدلسين في الحديث (٥) .

وهذه هي أهم مؤلفاته اللغوية :

١ - شرح رسالة أدب الكتاب : وسماه ابن خير كتاب شرح صدر أدب الكتاب ، ولعل هذه التسمية أدق لأن ابن القوطية لم يتجاوز في شرحه مقدمة ابن قتيبة ، ومن هذا الكتاب أيضا جزء مختصر (٦) .

(١) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٧٩ ، الوفيات ٤ : ٤ ، الديباج المذهب : ٢٦٢ ،

يتيمة الدهر : ٧٤ ، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٣ ، بغية الوعاة : ٨٤ .

(٢) نشره جايانجوس في مدريد سنة ١٨٦٨ وترجمه خوليان بيبيرا ١٩٢٦ ، وشك في انه من تأليفه وذهب الى ان الكتاب لأحد تلامذته . وطبع ببيروت ١٩٥٧ . وقد ذكرت المصادر ان لابن القوطية تأليف في تاريخ الاندلس : (الديباج المذهب : ٢٦٣) .

(٣) وفيات الاعيان ٤ : ٤ .

(٤) تاريخ ابن الفرضي ٢ : ٧٩ ، وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، الديباج المذهب : ٢٦٣ ، معجم الادباء ٧٢ : ٨

بغية الوعاة : ٨٤

(٥) الديباج المذهب : ٢٦٣ .

(٦) وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، بغية الوعاة : ٨٤ ، فهرسة ابن خير : ٣٤٤ ، معجم الادباء

١٨ : ٢٧٥ ، الديباج المذهب : ٢٦٢ - ٢٦٣ .



٢- المقصور والمدود (١) : " وقد جمع فيه ما لا يحد ولا يوصف ، ولقد اعجز من يأتي بعده وفاق من تقدمه " (٢) . ولم يذكر ابن خير هذا الكتاب في فهرسته ، ومن الغريب أن لا تتصل به روايته .

٣- الافعال : يسمى في بعض المراجع " تصانيف الافعال " (٣) . وموضوعه البحث عن صيغتي فعل وأفعال سواء اتفقتا في المعنى أو اختلفتا ، أوحين لا يورد للعرب إلا احدهما .

ويبدو أن الاهتمام بالافعال سبق الاهتمام بالاسماء عند الباحثين العرب الأول ، ولعل السبب في ذلك التغيرات التي تدخل الافعال وكثرة تصرفها ودخول عامل الزمن عليها . ولم يكن ابن القوطية أول من أولى الافعال اهتماما ، وإنما سبقه إلى مثل هذا النوع من المؤلفات سلسلة طويلة من اعلام المشرق (٤) . ويبدو أن ابن القوطية قد استعان ، على الأقل ، ببعض هذه المؤلفات . غير أنه من العسير أن نحدد أي

- (١) تاريخ ابن الفري ٢ : ٧٩ ، وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، بغية الوعاة : ٨٤ ، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٥ ، الديباج المذهب : ٢٦٢ .
- (٢) وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٥ .
- (٣) تاريخ ابن الفري ٢ : ٧٩ ، وفيات الاعيان ٤ : ٤ ، يتيمة الدهر : ٧٤ ، معجم الادباء ١٨ : ٢٧٥ ، الديباج المذهب : ٢٦٢ ، بغية الوعاة : ٨٤ ، وفهرسة ابن خير : ٣٥٥ .
- (٤) وأول من روى أنه ألف فيه قطرب (٢٠٦ / ٨٢١) والفراء (٢٠٧ / ٨٢٢) ثم ابو عبيدة (٢١٠ / ٨٢٥) والاصمعي (٢١٣ / ٨٢٨) وابوزيد الانصاري (٢١٥ / ٨٣٠) وابو عبيد القاسم بن سالم (٢٢٤ / ٨٣٩) وابو محمد عبد الله بن محمد التوزي (٢٣٣ / ٨٤٨) ويعقوب بن السكيت (٢٤٦ / ٨٦٠) وابو حاتم سهل بن محمد السجستاني (٢٥٥ تقريبا / ٨٧٠) وابو العباس الأحول تلميذ ابن الاعرابي ، وخصص له ابن قتيبة (٢٧٦ / ٨٨٩) ابوابا من كتاب الابنية في ادب الكتاب . والف فيه الزجاج (٣١١ / ٩٢٣) وابن دويد (٣٢١ / ٩٣٣) في ختام الجهرة وابن درستويه (٣٤٧ / ٩٥٨) والقالي (٣٥٦ / ٩٦٧) - راجع كتاب المعجم العربي : ١٥٩ .

للمؤلفات هي التي اكثر الأخذ عنها ، فابن القوطية ، كما سنرى ، يأخذ المواد مجردة من كل ما يوحى بمصدرها الأصلي .

وابن القوطية يبرز فضل الافعال في مقدمة كتابه فيقول : " اعلم ان الافعال اصول مباني اكثر الكلام ، وبذلك سمعتها العلماء الابنية ، ويعلمها يستدل على اكثر علم القرآن والسنة ، وهي حركات متقضيات . والاسماء غير الجامدة والأصول كلها مشتقات منها ، وهي أقدم منها بالزمان وان كانت الاسماء اقدم بالترتيب في قول الكوفيين . والجامدة لا يشتق منها فعل مثل حجر وباب وما أشبههما ، فانك لا تقول : حجر يحجر ، ولا باب يبوب . والبصريون يقولون بقديم الاسماء وأن الافعال مشتقة منها ، ولكل وجه (١) .

#### وصف لمنهج الكتاب وقيمه في اللغة :

يحتوى المؤلف على :

أولا - مقدمة .

ثانيا - صلب الكتاب .

أولا - المقدمة لا تتعرض لمنهج الكتاب وطريقة المؤلف في التأليف ، كما فعل الزبيدي

في أبيته (٢) ، وإنما يدخل في موضوعات تمهيدية ، فيتحدث عن الافعال الثلاثة (٣) واضربها : صحيحة ومعطلة ومضاعفة ومتعدية السخ . . . وعن مصادر الثلاثي (٤) ، والشواذ في ذلك ، واختلاف المصادر بالنسبة لاختلاف الصيغ . وعن مصادر الرباعي كذلك (٥) ،

- 
- (١) الافعال ، ابن القوطية : ١ .
  - (٢) الاستدراك على سيبويه : المقدمة .
  - (٣) الافعال : ١ .
  - (٤) المصدر نفسه : ٣ .
  - (٥) المصدر نفسه : ٥ .

وما يدخل من اختلاف في المصادر حين تدخلها احرف الزيادة<sup>(١)</sup>، والصفات في الالوان<sup>(٢)</sup>، والصفات بالجمال والقبح والعلل والاعراض<sup>(٣)</sup>، ثم يتحدث عن اقل بنية الكلمة<sup>(٤)</sup>. وهو يعهد بهذا الكلام لكتاب الافعال ليعين الدارس فان " هذا جملة ما يحتاج المتأدب اليه في الافعال وما ينصرف منها "<sup>(٥)</sup>. ومن هنا نستطيع ان نتصور ان هذا التمهيد هو، حسبما اراده ابن القوطية، مدخل الى دراسة كتابه، ووسيلة لفهم مواد هذا الكتاب.

### ثانيا - صلب الكتاب :

ينقسم الكتاب الى اقسام ثلاثة رئيسية :

- ١ - القسم الاول لما فيه فعل وأفعِل <sup>(٦)</sup>.
- ٢ - القسم الثاني لما فيه أفعِل وحدها <sup>(٧)</sup>.
- ٣ - القسم الثالث لما فيه فعل وحدها <sup>(٨)</sup>.

وفي هذه الاقسام الثلاثة جميعا اتبع ابن القوطية الترتيب التالي : المهمزة ، الهاء ، العين ، الغين ، الخاء ، الحاء ، الجيم ، القاف ، السين ، الشين ، الصاد ، الضاد ، اللام ، الراء ، النون ، الطاء ، الظاء ، الدال ، الباء ، التاء ، الظاء ، الزاي ، الفاء ، الميم ، الواو ، الياء <sup>(٩)</sup>.

- 
- |                               |                               |
|-------------------------------|-------------------------------|
| (١) الافعال : ٢ .             | (٢) الافعال : ٧               |
| (٣) المصدر نفسه :             | (٤) المصدر نفسه : ٨           |
| (٥) المصدر نفسه : ٩ .         | (٦) المصدر نفسه : ٩ - ١٦٢ .   |
| (٧) المصدر نفسه : ١٦٣ - ١٧٥ . | (٨) المصدر نفسه : ١٧٦ - ٣٠٤ . |
- (٩) انفرد ابن القوطية بهذا الترتيب وهو غير جار على ترتيب المقارنة للأبجدية أو على ترتيب سيبويه أو الخليل في العين أو التالي في البارع والمقارنة أورد هنا ترتيب الخليل:
- ح ه خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط ت د ظ ز  
ث ر ل ن ف ب م و ي ا ء . ولكن قد يلحظ انه آثر نوعا من الترتيب على مخارج الحروف حسبما تراءت له .

وهذا الترتيب هو الترتيب الرئيسي داخل كل قسم ، اما الترتيب الفرعي داخل كل صيغة فان له شأنا آخر ، سنتبينه بدراسة اوسع فيما يلي :

ملكتاب الانفعال خطوط عريضة ، يمكن ان نصفها بأنها متسقة ومنسجمة ، ولكن ان نحن دخلنا في التفاصيل فسوف نبتعد شيئا فشيئا عن دقة التنظيم واتساق المنهج . لذلك فان أفضل طريقة ، حسب ما ارى ، لفهم منهج الكتاب فهما دقيقا هي في :

أ - رسم الخطوط العامة والاستشهاد عليها ، ثم :

ب - عقد مقارنة موجزة ، ولكنها دقيقة وواضحة ، بين ثلاثة أحرف لتيان الفروق في التفاصيل بين أجزاء الكتاب .

أ - الخطوط العريضة :

بأخذ ابن القوطية الحرف الواحد ويقسمه الى قسمين : اولهما لما وردت فيه الصيغتان مع اتفاق في المعنى ، وثانيهما لما وردت فيه الصيغتان مع اختلاف في المعنى . ثم انه تناول كل قسم من هذين القسمين على الصورة التالية ، الانفعال المضارعة ثم الانفعال الصحيحة ثم الانفعال المعتلة . واما الانفعال المضارعة فلا اقسام تحتها . واما الانفعال الصحيحة فانه جعلها اقساما بحسب صورة ماضيها ، فقسم خاص به فَعَلَّ ، وآخر به فَعِلَ ، وثالث به فَعُلَ ، واطسام أخرى غير هذه الثلاثة اثبت فيها ما ورد من الصيغ على اكثر من صورة واحدة مثل : فَعَلَ وفَعِلَ ، وفَعَلَ وفَعُلَ ، وفَعُلَ وفَعِلَ ، وفَعَلَ وفَعُلَ ، الى ما سوى ذلك من صيغ . كما ان ابن القوطية قد جعل من المجهوز قسما قائما برأسه قبل المعتل . وفصل في المعتل بين الاجوف والناقص ، وفصل بين المعتل الذي سلم حرف علقه وبين المعتل الذي ابدل حرف علقه ، وفصل

بين المعتل بالواو وبين المعتل بالياء : فصل بين المعتل بحرف واحد وبين المعتل  
بأكثر من حرف أو المعتل المهموز ، فصل بين صيغ الافعال المختلفة في الماضي من  
المعتل ، كما فعل في الصحيح .

وأما في القسمين الآخرين - لما فيه افعل وحدها ، ولما فيه فعل وحدها -  
فانه اتبع التقسيم السابق ، سوى انه ها هنا لم يكن هناك الا صيغة واحدة فسي  
كل قسم . فلم يوجد صيغتان بمعنى متفق او بمعنى مختلف . اما ما عدا ذلك  
فانه اتبع الاسلوب الدراسي نفسه .

وقد التزم ابن القوطية ان يذكر الماضي والمصدر من كل ما اورده ، ومعانيها  
الكثيرة دون ان يقتصر على واحد من المعاني .

هذى هي ، بصورة عامة ، الخطوط العريضة التي نهجها ابن القوطية في  
كتابه . والواقع ان مثل هذا الوضع المبسط قد لا يعطينا صورة دقيقة من الكتاب .  
فها هنا منهج متسق ، واما الكتاب فلم يكن كذلك . ولكي نستطيع ان نتبين حقيقة  
الوضع بالتفصيل سنعتمد الى مقارنة ثلاثة احرف ، نختارها من اماكن متباعدة ، لنرى  
الى اى حد تقيّد ابن القوطية بمنهجه السابق . وسوف يكون لنا ، على كل حال ،  
في هذه الاحرف الثلاثة شواهد تجسّم الخطوط العريضة السابقة وتوضح دلالاتها .  
غير انني سأعرضها بصورة موجزة ، ولكنها دقيقة ، تحافظ على الهيكل الأصلي ، كما  
ورد في الكتاب .

جدول بالأحرف : الجيم<sup>(١)</sup> ، الظاء<sup>(٢)</sup> ، والهاء<sup>(٣)</sup> :

(١) الافعال : ٤٦ - ٥٣ .

(٢) المصدر نفسه : ١٢٠ .

(٣) المصدر نفسه : ١٢ - ١٤ .

حرف الجيم :

- الجيم على فَعَلَ وَأَفْعَلَ بمعنى واحد ، المضاف :

جَفَّه الليل جنانا وجنونا وأجنه : ستره

- الثلاثي الصحيح على فَعَلَ :

جهدته جهدا وأجهدته : بلغت مشقة .

- على فَعِلَ :

جَنِيفٌ في الحكم جَنَفًا وأجنف : جار .

- وعلى فُعِلَ :

جُلِدَ المكان جلدا وأجلد : أصابه الجليد .

- الممهور على فَعَلَ :

جَفَات الباب جَفًّا وأجفاته : اغلقتة .

- الممهور على فُعِلَ :

جزئت المرأة وأجزأت : ولدت الاناث دون الذكور .

- المعتل بالواو في عين الفعل :

جَاز الوادي جوازا وأجازه : قطعه .

- المعتل بالواو في لام الفعل :

جزأ الشيء جزوا وأجزى : انتصب .

- المعتل بالياء في لام الفعل :

جهت الى الشيء جرها وجراء ، وأجهيت : اسرعت .

- وعلى فَعَلَ وَأَفْعَلَ باختلاف معنى المضافه :

جززت الشعر والصوف جزاً : قطعتها .. وأجز النخل والبر : حان ان يجزأ .

- الثلاثي الصحيح على فَعَلَ :

جَهَضَ جَهَاضَةً وجَهُوضَةً : حدث نفسه ، وأجهضت الناقة : القت ولدها قبل تمامه

- الثلاثي الصحيح على فَعَلَ وفَعَلَ وفَعِلَ :

جَزَلَتِ السنام والصهد جزلاً : قطعت بهنصين .. وَجَزَلَ الشئ : جزأه : عظم ..

وَجَزَلَ البعير جزلاً : انفج كاهله فرجة لا تبرا ، وأجزل العطية : كثرها .

- الثلاثي الصحيح على فَعَلَ وفَعَلَ وفَعِلَ :

جَمَلَتُ الشحم جملاً : أذنته ، وَجَمَلُ الشئ : جملاً ، تم حسنه ، واجملت

الشئ : والحساب : جمعته .

- الثلاثي الصحيح على فَعَلَ وفَعَلَ وفَعِلَ :

جَحَمَتِ النار جحوماً : توقدت ، وَجَحِمَتِ العين جحمة : احمرت ،

وأجحمت عن الامر : تأخرت .

- الثلاثي الصحيح على فَعَلَوْ فَعِلَ وفَعِلَ :

جَدَرَ جداراً : صار جديراً .. وَجَدَرَ جداراً : أصابه الجدرى ، وَجَدَرَ

الظهر جداراً : صارت فيه جدرة شبه الحدة ، وأجدرت الأرض : انبتت الجدر .

- الثلاثي الصحيح على فَعِلَ :

جَهَلَ جهلاً : ضد علم ، وأجهلته : وجدته جاهلاً .

- الثلاثي الصحيح على فَعَلَ :

جَبَنَ جبناً : ضعف قلبه ، وأجبنته : صادفته جبناً .

- الممهوز على فَعَلَ :

جزأت بالشيء جزأ : اكتفيت به ... وأجزأ الشيء : كفى .

- الممهوز المعتل في عنده :

جاء جيئة وجيأ : أقبل .. وأجأتك الى الشيء : اضطررتك اليه .

- المعتل بالواو في عين الفعل :

جاب الفلاة والثوب وكل شيء جوبا : خرقه .. وأجاب : ردّ الجواب .

- وبالياء على فَعِلَ من السالم ، وبالواو على فَعَلَ من المعتل :

جيد جهدا : طال جهده .. وجيد جوادا : عطش ، وجاد الشيء جودة ،

أي صار جيدا ، .. وأجاد الرجل أجود : أتى بجيد من قول أو فعل .

- وبالياء في لامه من السالم على فَعِلَ ، والمعتل بالواو على فَعَلَ :

جلي جلى : انحسر الشعر من مقدم رأسه ، وجلوت السيف وغيره جلاء :

صقلته .. وأجلى الأمر عن كذا .. كشف .

- وبالواو والياء في لامه معتلا :

جها الخراج جهاوة وجباية .. : جمعه ، وأجبي : باع الزرع قبل ادراكه .

- وبالواو في لامه معتلا :

جفا الشيء والجسم جفاء : غلظ خلقه .. وأجفى الراعي الماشية :

اتعبها بالسوق ومنعها الرمي .

- وبالياء في لامه معتلا :

جوى الفرس جواء وجويا .. وأجرت الكلبة والذئبة : كان لهما جراء .



## حرف الظاء

- الظاء على فَعَلَ وأَفْعَلَ بمعنى واحد ، المضاعف :  
ظَلَّ اليوم ظلاله ، وأظْلَى : صار ذا ظِلٍّ .
- الثلاثي الصحيح على فَعَّلَ :  
ظَلَّفَتْ اثري ظلًّا وأظْلَفْتُهُ : مشيت في صلاة الأرض .
- فَعَّلَ وأَفْعَلَ باختلاف معنى ، المضاعف :  
ظَالَ يفعل كذا وكذا : فعله نهارة ، وظَلَّلْتُ أفعله ظلولا ، والشئ : طال  
ودام ، وأظْلَى الأمر : أشرف .
- الثلاثي الصحيح على فَعَّلَ :  
ظلم العبد بالشرك ربّه ظلما ، والاسم الظلم .. وأظلمنا : صرنا في الظالم
- وعلى فَعَّلَ وَفَعَّلَ :  
ظهرت على العدو .. : ظهورا .. : علوت .. وأظهرنا : صرنا في الظهيرة
- وعلى فَعَّلَ :  
ظَرَفَ الغلام والجارية ظرفا وظرافة ، بَرَعَا وأدبَا .. وأظرف الوالد ، ولد  
ولدا ظرفيا .
- المهموز :  
ظارت الناقة ظارا : عطفتها على برّها فأظارت .

## حرف الهاء

- الهاء من الثلاثي الصحيح على فَعَلَ وأَفْعَلَ بمعنى واحد :
- هدرت الدم هدرًا ، وأهدرته فهدر : أى يطل .
- وعلى فُعِلَ وأُفْعِلَ :
- هرع الانسان هرعًا وأُهرِعَ : سبق وأعجل .
- المهووز على فَعَلَ :
- هرأ البرد هروا وأهراء : بلغ منه .
- المعتل بالياء في عين الفعل :
- هال الطعام والتراب هيلًا : صَبَّه ، وأهاله لغة .
- وبالياء في لامه :
- هديت المرأة الى زوجها هديًا ، وأهديتها لغة .
- المضاعف على فَعَلَ وأَفْعَلَ بمعنى مختلف :
- هل المطر هالًا : انصب بشدة ، وأهل الهلال : طلوع .
- الثلاثي الصحيح على فَعَلَ :
- هرب هربا وهروبا ، نرّ ، وأهرب : أسرع .
- وعلى فَعَلَ وفُعِلَ :
- هَدَبَت كل مخلوقة هَدَبًا : حلبت بأطراف الاصابع .. وهَدَبَ الانسان هَدَبًا : ظالت أشفاره .. وأهدب الشجر : كثرت اغصانه وهي الهدب .
- وعلى فَعَلَ وفُعِلَ ،
- هَضَمَت الشيء هضمًا : نقصه .. وهَضَمَت الجارية .. : لطف حشاها .



## الجزء الثاني :

- الجيم ، الثلاثي الصحيح على فعل
- الظاء ، " " " " " "
- الهاء ، الثلاثي على فَعِلَ وَأَفْعِلَ .

## الجزء الثالث :

- الجيم ، وعلى فَعِلَ
- الظاء ، وعلى فَعَلَ وَأَفْعَلَ باختلاف معنى ، المضاعف
- الهاء ، المبهوز على فَعَلَ .

والمفروض، لو ان منهج ابن القوطية متسق ومتساو، ان تكون كل مجموعة من هذه المجموعات تحمل نفس التقسيم . ونحن نستطيع باستعارة بعض التعبيرات الرياضية ان نصور هذه المجموعات بالصورة التالية :

١ - ج = ظ والاشتتان لا تساويان : هـ

٢ - " " " " " " " "

٣ - ج لا تساوى ظ وظ لا تساوى هـ

وطبعي اننا نستطيع ان نستمر، بمراجعة الجدول الثالث، في عقد هذه المقارنة وستكتشف عندئذ مبلغ ما خرج به ابن القوطية عن الخطوط العريضة التي رسمناها لمنهجه، في كلام سابق .

وهذا الجدول السابق قد اختير بحيث تقل الاختلافات قدر الامكان . ويعود السبب في ذلك الى انني تعمدت ان تكون الاحرف الثلاثة من قسم واحد من الكتاب،

وهو القسم الاول ، - الصيغة على فعل وأفعل - ولونحن تارناً بين صيغة من القسم الاول وصيغة من القسم الثاني - أفعل - او الثالث - فعل - فان الفروقات ستصح أشد بروزاً ، مع صرف النظر ، بطبيعة الحال ، عن الفروقات التي نجمت عن طبيعة كل حرف .  
ومما زاد في التشويش ان ابن القوطية لم يعتبر الا الحرف الاول من المساواة  
نقط . وهذا أدى الى زيادة الصعوبة في العثور على اللفظة المطلوبة .

ويمكن لدارس الكتاب ان يلحظ في يسر كيف تدر فيه اسماء اللغويين . وما ذلك الا لان الموضوع غير قائم على الاستشهاد بالرواية ، فهذه هي طبيعة الافعال في اللغة ولا ينفرد فيها عالم دون آخر برأيه الا في النادر ، وانما هم المؤلف حصراً في نطاق لا يشذ عنه شيء .

وهذا الكتاب جدول او مجموعة من الجداول ، ولو انه طبع على هذا الشكل لكان استخراج الفوائد منه اسرع . وهو اقرب الكتب اللغوية القديمة الى موضوع اللغة ، واكثرها التصاقاً بهذا الموضوع . " فالافعال " لابن القوطية كتاب لغوي صـرف ، ليس كتاب اخبار ولا كتاب أدب ، ولا تشويه الروايات والمقطوعات الشعرية مثل ما كان الامر بالنسبة لكثير من الكتب اللغوية . وحتى كتاب الاستدراك على سيبويه ، وهو كتاب أبنية ، لم يجرد من الاخبار والاشعار ، وبخاصة في تفسير الغريب الذي قام به الزهدي تعقيها على النصوص والالفاظ المستقلة .

كذلك يندر فيه الاستشهاد بالشعر والاحاديث والآيات وأمثال العرب . والاستشهاد بالاحاديث النبوية اكثر من سواء (١) . فاذا استشهد بهيت شعر لم يكذب ينسبه لقائله الا في ما ندر .

وقد لاقى الكتاب شهرة واسعة ، وامتدحه اصحاب التراجم والمؤرخون فجاء في انباء الرواة : " وله كتاب في الافعال لم يؤلف مثله " (١) . وأشار بعض المؤرخين الى انه اول من استن هذا الفن - وقد رأينا انه لم يكن كذلك . ولكن كتابه كان ذا أثر في التأليف من بعده فاحتذاء ابن القطاع كما بسطه تلميذه سعيد بن محمد المعافى القرطبي المعروف بابن الحداد (٢) .

---

(١) انباء الرواة ٣ : ١٧٨ ، وانظر : جذوة المقتبس : ٧٢ ،  
يتيمة الدهر : ٧٤ .

(٢) من هذا الكتاب نسخة بدار الكتب المصرية (٣٤٣ ص) . فقد اطلع عليها الدكتور حسين نصار ووصفها في كتاب " المعجم العربي " ( ١٦٥ - ١٦٦ ) . وخلاصة ما ذكره ان المعافى صدر كتابه بمقدمة قرظ فيها كتاب استاذة ، ثم غير في ترتيب الحروف الذي اتبعه ابن القوطية واختار ترتيب سيبويه ، وزاد ابواب الرباعي المجرد ، والمزيد من الثلاثي والرباعي ، وغير في ترتيب فصول ابن القوطية ، وكرر الفعل مع كل معنى جديد ، وزاد في الشرح واستكثر ممن الشواهد ، واتى بأفعال لم يتعرض لها ابن القوطية جعلها استدراكا في خاتمة كل فصل ، وميز بين ما كان لدى ابن القوطية وما زاده بالتصريح باسمه حيث اقتضى الامر ذلك .

ثالثا - ابو علي القالي \* (١٦٢ / ٣٥٦) ومؤلفاته :

### نسبه ونشأته :

هو اسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سليمان (١).  
ويبدو انه لم يتحدر من أصل عربي صريح ، نستتج ذلك من ان جده سليمان كان  
" مولى عبد الملك بن مروان " .

وقد ولد ابو علي بمنازجرد من ديار بكر ، وهي من أعمال أرمينية (٢). وكانت  
ولادته عام ثمان وثمانين ومائتين (٣) (٨٩٧)، في رواية ، وفي رواية اخرى انه ولد عام  
ثمانين ومائتين (٤) (٨٩٧).

وفي منازجرد نشأ (٥)، وأغلب الظن انه أقيم في تلك الجهات فترة من  
الزمن الى ان كبر واشتد عوده . وتاريخ حياته في تلك الفترة غامض للغاية ، وليس  
هناك من الاخبار عن طفولته وأول شبابه سوى ما اوردته من رواية ولادته ، ورواية

\* ألف ابو محمد الفهرى كتابا في نسب ابي علي البغدادي ورواياته ودخوله الاندلس  
( نفح الطيب ٤ : ٧٢ ) ، ولكن الكتاب لم يصلنا .

(١) انظر ترجمته في : طبقات الزبيدي : ٢٠٤ - ٢٠٥ ، تاريخ ابن الفري ١ : ٨٣ ،  
جذوة المقتبس : ١٥٤ ، بغية الملتص : ٢١٦ ، فهرسة ابن خير : ٣٩٥ .  
انباء الرواة ١ : ٢٠٤ ، وفيات الاعيان رقم ٩٢ ، بغية الوعاة : ١٩٨ .  
شذرات الذهب ٣ : ١٨ ، معجم الادباء ٧ : ٢٥ ، معجم البلدان ،  
سادة قايلا ، نفح الطيب : ٤ : ٢٠ - ٢٥ ، بروكلمان ٢ : ٢٧٧ -  
٢٧٨ ( الترجمة العربية ) .

(٢) انباء الرواة ١ : ٢٠٤ ، بغية الوعاة : ١٩٨ .  
(٣) المصدر نفسه ١ : ٢٠٢ ، تاريخ ابن الفري ١ : ٨٣ .  
(٤) جذوة المقتبس : ١٥٢ ، طبقات الزبيدي : ٢٠٤ ، وفيات الاعيان ١ : ٢٠٥ ،  
معجم الادباء ٧ : ٢٢ .  
(٥) جذوة المقتبس : ١٥٤ .

نشأته في منازجرد . وتظل الحقبة ما بين ولادته وبين انتقاله الى العراق حقبة غير معروفة . غير اننا نستطيع ان نحدد هذه الحقبة زمنيا حين نعرف ان القاضي نفسه يقول " ورحلت الى بخدان سنة ثلاث وثلاثمائة ( ٩١٦ م ) " (١) .

### تلقبه بالقالي :

وغلب عليه لقب القاضي . وهو نسبة الى مدينة قالي قلا . ويروى لنا القاضي نفسه سبب تلقبه بهذا اللقب فيقول : " لما احدثنا الى بخدان كما في رفقة فيها اهل قالي قلا ، فكانوا يحافظون لمكانهم من الشر ، فلما دخلت بخدان ، انتسبت الى قالي قلا وهي قرية من منازجرد ، رجوت ان انتفع بذلك عند العلماء ، فعزى عليّ القاضي " (٢) ، ونحن نجد روايات مشابهة لذلك في اللفظ والمعنى - اللاحق ينقل عن السابق - في غير مصدر من المصادر التي ترجمت له .

وللقالي قلا هذه بلدة قريبة من مسقط رأس أبي علي ، اذ ان ذكرها في كتب التاريخ يرد في كثير من الاحيان مرتبطا بذكر منازجرد . يقول ياقوت : " قاليقلا ، بأرمينية العظمى من نواحي خلاط ثم من نواحي منازجرد من نواحي أرمينية الرابعة " (٣) . فالبلدتان اذن من أعمال أرمينية . ويقول القحطي : " قاليقلا ، وهي قرية من منازکرد " (٤) . غير انه يبدو غريبا ان ينتسب ابو علي الى قاليقلا في حين انها قرية من قرى منازکرد . فالأولى في مثل هذه الحال ان ينتسب الى بلدة الأصلي . ومهما يكن من أمر فانه كان لقاليقلا ، على ما يبدو ، مكان في قلوب الناس ، ففي تلك

(١) انباء الرواة ١ : ٢٠٧ ، طبقات الزبيدي : ٢٠٤ .

(٢) طبقات الزبيدي : ٢٠٥ .

(٣) معجم البلدان : مادة قاليقلا .

(٤) انباء الرواة ١ : ٢٠٨ .



الرحلة " كانت معهم خيل ، فكلما دخلنا بلدا حافظ اهلنا اهل قاليقلا ، وكانت معهم دواب ، فأراد بعض العمال اخذها منهم ، فلما انتهبوا الى قاليقلا تركوها ، ورأيت الناس يعظونهم " (١) .

غير ان هذه المظاهر كلها لم تنفع القالي كثيرا ، فلقد غره في بداية الامر هذا الاستقبال والترحاب فقرر ان يغتتم الفرصة ويستفيد من هذه الميزة ، وهو يقول : " فلما دخلت بغداد انتبعت الى قاليقلا ، ورجوت ان ينفعني ذلك عند العلماء ، فلم انتفع بذلك ، وعرفت بالقالي " (٢) . وقد تلبسه اللقب وفاتته الحظوة .

### دخوله العراق :

في سن الخامسة عشرة او في سن الثالثة والعشرين - تبعنا للرواية التي نأخذ بها من روايتي مولده - دخل ابو علي العراق . وأميل الى تفصيل سن الثالثة والعشرين ، اذ انها تناسب الرحلة والانتقال لأخذ العلم . فمن المشكوك فيه ان يتمكن من هو في الخامسة عشرة من السفر وركوب المشقات ، مما لم يكن مصحوبا بمن يهتم بشئونه ، وهذا ما لم يذكره التالي في احاديثه عن نفسه ، بل كان يشير دائما الى نفسه بصيغة المفرد .

اتفق المؤرخون على ان ابا علي ترك بلده عام ثلاث وثلاثمائة ، ولكنهم لم يسم يتفقوا على تحديد الطريق التي اتبعها . فمنهم من يدعي انه " دخل بغداد فسي سنة ثلاث وثلاثمائة " (٣) ، ومنهم من يرى انه عرج على الموصل قبل دخوله بغداد ،

(١) انباء الرواة ١ : ٢٠٩ .

(٢) المصدر نفسه

(٣) تاريخ ابن الفري ١ : ٨٣ ، جذوة المقتبس : ١٥٤ ، بخية الوعاة : ١٩٨ ، معجم الادباء ٧ : ٢٦ .

وقد نقل عنه قوله : " ورحلت الى بغداد سنة ثلاث وثلاثمائة فأقمت بالموصل ، وكتبت عن ابي يعلى الموصلي وغيره ، ثم دخلت بغداد سنة خمس وثلاثمائة " (١). وربما كانت هذه الرواية اقرب الى الصدق ، اولا : لانها لا تنفي قدم القاضي السبي بنخداد وانما تؤجل هذا القدم ، ثانيا لان الموصل في طريق القادمين من ارمينية ويغلب الظن ان القاضي عرج عليها لياخذ من علمائها ، ثالثا : ورد في غير مرجع تحديد لاسم عالم او اكثر ممن اخذ عنه ابو علي في الموصل ، وتحديد للعلم الذي تلقاه ، رابعا : في بعض المصادر التي ربطت دخول ابي علي بنخداد بعام خمسة وخمسمائة اشارة تجعلنا نميل الى الاعتقاد بدخول ابي علي الموصل قبل وروده الى بغداد ، هذه الاشارة هي : " وقيل : انه كان سمع من ابي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي " (٢). ومعنى ذلك أن ابا علي أقام في الموصل سنتين يكتب " عن ابي يعلى الموصلي وغيره " . وكان للحديث اكبر نصيب من هذه الدراسة اذ يحدد آخرون طبيعتها فيقولون : " وأقام بالموصل لسماع الحديث " (٣). واجتذبه بنخداد فانتقل اليها ، او هو تابع طريقه الى بغداد وفق الخطة التي كان قد رسمها لنفسه في انتقاله من بلده منازجرد . ودخلها عام خمسمائة وخمسة ، كما رأينا في الروايات السابقة . وكان سنة آنذاك خمسة وعشرين عاما فهو شاب ناخج قادر على مواجهة املاء الحياة والدخول في المجالس العلمية والدينية .

### اساتذته :

يمكن تقسيم الاساتذة الذين اخذ عنهم في بغداد الى قسمين رئيسيين :

- (١) طبقات الزبيدي : ٢٠٤ ، انباء الرواة ١ : ٣٠٧ ، وفيات الاعيان ١ : ٢٠٥ .
- (٢) جذوة المقتبس : ١٥٥ . وقول هذه الرواية " وقيل " بصيغة التمهيد لا داعي له فان الزبيدي وهو اقرب الى القاضي من غيره يقول بصيغة القطع : فأقمت بالموصل وكتبت عن ابي يعلى الموصلي وغيره (٢٠٤)
- (٣) وفيات الاعيان ١ : ٢٠٥ .

أ - اساتذة في الحديث والعلوم الدينية • ومن هؤلاء : " أبو بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني وأبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد وأبو عمر يوسف بن يعقوب القاضي ، وأبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي المعروف بابن بنت منيسع ، وأبراهيم بن عبد الصمد بن موسى الهاشمي من ولد الإمام ، وأحمد بن اسحق بن البهلول القاضي ، وأبو عبد الله الحسين القاضي وأبو عبيد أخوه القاسم ، ابن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن الضبي المعروف بابن المحاملي ، وأبو بكر محمد بن يوسف بن يعقوب بن بهلول الأزرق الكاتب ، وأبو بكر أحمد بن محمد البستبان ، وابن قطن الاسكافي ، وأبو سعيد الحر بن علي بن زكريا بن يحيى المدوي " (١).

ب - اساتذة في الأدب واللغة والخبر : وهؤلاء فئة أخرى من الاساتذة تلقى عنهم التالي ، ولازمهم تلك الفترة الدويلة من اقامته في بغداد .

وقد عدد لنا أبو علي جماعة ممن أخذ عنهم فقال : " وسمعت الاخبار واللغة من أبي بكر محمد بن الحسن بن دويد الأزدي البصري (٢) ، وأبي بكر محمد

(١) طبقات الزبيدي : ٢٠٤ ، انباء الرواة ١ : ٢٠٧ .

(٢) ولد في البصرة سنة ٢٢٣ / ٨٣٨ ، ومات سنة ٣٢١ / ٩٣٣ ، وكان أعلم الناس في زمانه باللغة والشعر وأيام العرب وانشابهم . من مؤلفاته كتاب الجمهرة ، كتاب السج واللباس ، كتاب الاشتقاق ، كتاب الخيل الكبير ، كتاب الخيل الصغير ، كتاب الانواء ، كتاب المجتنى ، كتاب المقتبس ، كتاب الملاحن ، كتاب رواة العرب ، كتاب ما سئل عنه لفظاً فأجاب عنه حفظاً ، كتاب اللغات ، كتاب السلاج ، كتاب غريب القرآن ، كتاب ادب الكاتب . (انظر : طبقات الزبيدي : ٢٠١ ، وانباء الرواة ٣ : ٩٢ - ١٠٠) .

ابن بشار الانباري (١) وابي عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه (٢)، ومن ابي بكر محمد بن السري السراج النحوي (٣) ومن ابي بكر محمد ابن شقير النحوي (٤)، ومن ابي اسحق ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج النحوي (٥).

(١) ولد سنة ٢٧١ / ٨٨٤ وتوفي سنة ٣٢٨ / ٩٤٠ . سمع من الائمة في زمانه وروى عنه مثل ذلك . وكان احفظ الناس للغة والنحو والشعر وتفسير القرآن . من مؤلفاته : كتاب المشكل في معاني القرآن . كتاب الاضداد في النحو ، كتاب الزاهر ، كتاب الكافي في النحو ، كتاب ادب الكاتب ، كتاب المقصور والممدود ، كتاب المذكر والمؤنث ، كتاب الموضح في النحو ، كتاب نقض مسائل ابن شنبوذ ، كتاب غريب الحديث ، كتاب الهجاء ، كتاب اللامات ، كتاب الوقف والابتداء ، كتاب السمع الطوال للطلول ، كتاب المجالس ، كتاب شرح المفردات ، وكتب أخرى . (انظر : انباء الرواة ٣ : ٢٠١ - ٢٠٨) .

(٢) توفي ببغداد سنة ٣٢٣ / ٩٤٥ او ٣٠٣ / ٩١٥ ، كان اديبا متفنا في الأدب حافظا للشعار ، وكان ضعيفا في النحو . ( انظر طبقات الزبيدي : ١٧٢ ، وانباء الرواة ١ : ١٧٦ - ١٨٢ ) .

(٣) كان احد العلماء المذكورين بالادب وعلم العربية ، ومن تلامذة المبرد . من مؤلفاته : كتاب الاشتقاق ، كتاب شرح سيبويه ، كتاب الجمل وكتب أخرى . ( انظر طبقات الزبيدي : ١٢٢ - ١٢٥ ، وانباء الرواة ٣ : ١٤٥ - ١٥٠ ) .

(٤) ذكره القفطي بغير تعريف ( الانباء ٣ : ١٥١ ) ، وذكره الزبيدي في الطبقة التاسعة من النحويين البصريين ، ضمن اصحاب المبرد وهم : ابو اسحاق الزجاج ، ومحمد بن السراج ، ومبرمان ، وابو زرعة الغزاري ، وعلي بن سليمان الاخفش ، وابن درستويه ، وابو بكر بن ابي الازهر ، وابن الخياط . ( طبقات الزبيدي : ١٢٨ ) .

(٥) توفي في بغداد سنة ٣١٦ / ٩٢٨ ، من تلاميذ المبرد . من مؤلفاته : كتاب الاشتقاق ، كتاب العروض كتاب الفرق ، كتاب خلق الانسان ، كتاب خلق الفرس ، كتاب مختصر في النحو ، كتاب فعلت وافعلت ، كتاب ما ينصرف وما لا ينصرف ، كتاب شرح ابيات سيبويه ، كتاب النوادر ، كتاب الانواء . ( انظر طبقات الزبيدي : ١٢٢ - ١٢٥ ، وانباء الرواة ١ : ١٥٩ - ١٦٦ ) .

ومن ابي الحسن علي بن سليمان بن الفضل الاخفش<sup>(١)</sup>، ومن ابي بكر محمد بن ابي  
الأزهر<sup>(٢)</sup>، ومن ابي محمد عبد الله بن جعفر درستييه<sup>(٣)</sup>، اخذت منه كتاب  
سيبويه عن المبرد، ومن ابي جعفر بن <sup>احمد</sup>عبد الله بن مسلم بن قتيبة<sup>(٤)</sup>، اخذت  
منه كتاب ابيه، ومن ابي بكر احمد بن محمد بن موسى بن مجاهد المقرئ، قال:  
قرأت عليه القرآن بحرف ابي عمرو بن العلاء<sup>(٥)</sup> غير مرة، واخذت كتابه في  
القراءات السبع وغير ذلك، ومن ابي عمر بن عبد الواحد المطرز<sup>(٦)</sup> غلام ثعلب،  
حدثنا عن ثعلب، ومن ابي بكر محمد بن عبد الملك التايخي<sup>(٧)</sup>، ومن احمد بن  
يحيى النجم النديم اخذت منه كتاب الزبير بن بكار في النسب، ومن الدمشقي

- 
- (١) توفي ببغداد سنة ٣١٥ / ٩٢٧، اخذ عن ثعلب والمبرد وغيرهما . وقد رحل  
الى مصر سنة ٢٨٧ / ٩٠٠ وعاد منها سنة ٣٠٦ / ٩١٨ . ولم تعرف له  
مصنفات . (انظر طبقات الزبيدي ١٢٥ - ١٢٧، وانباء الرواة ٢ : ٢٧٦ - ٢٧٨)
- (٢) توفي (٣١٣ / ٩٢٥)، من تلاميذ المبرد . من مؤلفاته : كتاب اخبار الهجر  
والهج ، وكتب اخبارية اخرى . (انظر طبقات الزبيدي : ١٢٧ ، فهرسة ابن  
النديم : ١٤٧ - ١٤٨) .
- (٣) توفي ٣٤٧ / ٩٥٨ ، وهو من تلاميذ المبرد ، له تفسير لكتاب الجوهري، تفنن  
فيه وجمع اصول العربية . وله كتاب الارشاد في النحو (طبقات الزبيدي : ١٢٧)
- (٤) ولد ببغداد ، وانتقل الى مصر لتولي القضاء سنة ٣٢١ / ٩٣٣ ، وبقي فيها  
الى ان مات سنة ٣٢٢ / ٩٣٤ ، روى كتب ابيه . (انظر انباء الرواة  
١ : ٤٥ - ٤٦) .
- (٥) لغوى بصرى ، وكان من جلة القراء والموثوق بهم . توفي سنة ١٥٤ / ٧٧١ .  
(انظر طبقات الزبيدي ٢٨ - ٣٤) .
- (٦) من تلاميذ ثعلب ويعرف بغلام ثعلب . توفي ببغداد سنة ٣٤٥ / ٩٥٦ .  
(انظر طبقات الزبيدي : ٢٢٩) .
- (٧) هناك ترجمة اوردها القطني لمحمد بن عبد الملك النحوي البغدادى . ولعله  
هو الذى اخذ عنه القالي . (انظر : انباء الرواة ٣ : ١٧٠) .

أحمد بن سعيد (١) = (٢). وهذه مجموعة ممتازة من العلماء ، استطاع القالي ان يستفيد من صحبتهم فترة طويلة من الزمن .

وفي امكاننا ان نحدد ما درسه على كل واحد من هؤلاء العلماء ، وانما اكتفي بذكر اكبر عالين أشرا فيه وجهها دراسته وهما ابن دريد ونفطويه .

فقد أخذ عن الاول منهما كتب أبي حاتم السجستاني ككتاب لحن العامة قال : قراته غير محبوب على أبي بكر بن دريد . وكتاب فعلت وأفعلت وكتاب الفرق وكتاب الحشرات وكتاب الوحوش وكتاب الطير . ثم كتب ابن دريد نفسه كالجمة والعلاجن ، وكتب أبي زيد الانصاري ، وكتب الأصمعي ونوادير أبي زياد الكلابي والاشعار الستة الجاهلية وأشعار هذيل وشعر أعشى بكر وأراجيز العجاج ورؤفة وشعر طفيل الغنوي وشعر عمرو بن أحمد الباهلي وشعر جميل وشعر أبي النجم وشعر النابغة والشماع والمنقب وعروة بن الورد وشعر كثير والقطامي وعدى بن زيد والافوه والمرتشين وسلامة بن جندل وقيس بن الخطيم والطرماح وامرئ القيس ودريد بن الصمة وأبي خلدة وطفيل الغنوي (٣).

وقرأ على نفطويه كتاب اطروش في اللغة والخبار والنقائض وشعر ذى الرمة وعمرو بن قيسه وعلقمة بن عبة ، والنابغة الجعدي وأوس بن حجر والاخلط وعمرو بن أبي ربيعة وجوهير (٤).

- 
- (١) النحوى الاخبارى الفقيه . كان يؤدب اولاد المعتز . (انظروا انباء الرواة ١ : ٤٤ - ٤٥)  
 (٢) طبقات الزهيدى : ٢٠٤ - ٢٠٥ ، وانباء الرواة ١ : ٢٠٧ - ٢٠٨ .  
 (٣) فهرسة ابن خيرة : ٣٤٨ ، ٣٦١ ، ٣٧١ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٨١ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥ - ٣٩٧ .  
 (٤) المصدر نفسه : ٣٧٢ ، ٣٨٣ ، ٣٩١ ، ٣٩٥ - ٣٩٧ .

والقالي في هذه الفترة العراقية يدون خطواته في هذا الجهاد العلمي الذي نذر له نفسه ويتعهد كل ما قرأه وزمان قراءته على نحو تفصيلي دقيق فاذا تحدث عن كتاب الغرب المصنف لأبي عبيد قال : " ابتدأت بقراءة هذا الكتاب على أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الانباري سنة ٣١٧ / ١٢١٩ يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة في مسجده على باب داره في درب البقر بسر من رأى وأكملته يوم الثلاثاء لخمس مئتين من ذى القعدة سنة احدى وعشرين (١٣٣ م) وكانت قراءتي عليه في الثلاثاوات وكانت مدة قراءتي اياما عليه أربعة أعوام وأربعة أشهر وسبعة عشر يوما<sup>(١)</sup>. واذا ذكر كتاب اللفاظ ليعقوب ابن السكيت قال : " بدأنا بقراءة هذا الكتاب على أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الانباري يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة ٣٢١ / ١٣٣٠<sup>(٢)</sup> .

وفي هذين النصين حقائق هامة ، فمنهما نعلم نظام الطلب العلمي والدراسة فهناك تعاقب وترتيب في التدريس ، وذلك أن القالي بعد انتهاء من الكتاب الاول توقف اسبوعا أو نحوه وابتدأ الكتاب الثاني الا انه قرأ الكتاب الاول منفردا لقوله : " قرأت " ثم أخذ يقرأ الثاني مع مجموعة من الطلبة لقوله : " قرأنا " وبدل النصان كذلك على أن ابن الانباري كان قد خصص يوما معيناً للتدريس فسي الاسبوع ، وأن الطالب لذلك كان يقضي في دراسة كتاب واحد عدة سنوات ، كما يدلنا النص الأول على أن أبا علي القالي لم ينفق كل وقته في بغداد ، إذ نراه يدرس أيضا في سر من رأى .

لكل هذا كانت السنوات التي قضاها في العراق هي الاعوام التي جعلت

(١) فهرسة ابن خير : ٣٢٨ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٢٩ .

من القالي عالما يتميز بسعة الاطلاع والتوثيق في ما يأخذ ويدرس مثلما يتميز بروح علمية فائقة في الدقة ، وستكون دقته العلمية أكبر العوامل التي امالت اليه قلوب الاندلسيين ، وأثرت في طلابه تأثيرا بعيدا ، وضعت الأصول الصحيحة للحياة اللغوية في الاندلس . ولم يشب علمه تزيد أو ادعاء ، فاذا حمل من بعد الى الاندلس كتبها لم يقرأها على الشيخ قال انه لم يقرأها ، فقد كان أثقى لله وأشد اخلاصا لروح العلم من أن يكذب ، قال وهو يتحدث عن ديوان زهير " شعر زهير بن أبي سلمى تام في جزء رواية مجاهد عن ثعلب - فرع لا أصل له ، خلفت الأصل ولم يتسع الوقت فأقابل "(١) ، وقال : " شعر أبي نواس ولم أقرأه "(٢) ، وقال : " ومقاتل الفرسان نسخة غير مرضية ولا مسموعة " ، وجزء فيه عدة من أيام العرب ومعاني الشعر للباهلي تام ، وقد كنت اشتريت هذه النسخة على أن أتاها فقطعني عن ذلك الشغل "(٣) .

فلا عجب بعد هذا اذا أثنى المؤرخون على أبي علي فقالوا فيه " كان أحفظ أهل زمانه للغة ، وأرواهم للشعر الجاهلي ، واحفظهم له ، وأعلمهم لعلل النحو على مذهب البصريين ، وأكثرهم تدقيقا فيه "(٤) .

وهناك من الاخبار ما يشير الى ان ابا علي لم يقف عند حدود الاخذ فحسب ، وانما تعدى ذلك الى المشاركة الفعلية في المناقشات . ويظهر لنا ذلك واضحا في اتصاله بابن درسته : " قرأ على ابن درسته كتاب سيبويه أجمع ، واستفسره جمعه ،

(١) فهرسة ابن خير : ٣٩٦ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه : ٣٩٨ .

(٤) طبقات الزبيدي : ٢٠٢ . وانظر أيضا جذوة المقتبس ١ : ٢٠٥ ، ووفيات الاعيان

١ : ٢٠٤ ومعجم الادباء ٧ : ٣١ وبغية الوعاة : ١٩٨ .



ونأظره فيه ، ودقق النظر ، وكتب منه تفسيره ، وعلل العلة ، وأقام عليها الحجة ، وأظهر فضل البصريين على الكوفيين ، ونصر مذهبه على من خالفه من البصريين أيضاً ، وأقام الحجة " (١) . ومن هذا الخبر يمكننا ان نستنتج ان ابا علي كان يتطلب العمق في دراسته والشمول ، وكان له الى جانب ذلك شخصيته التي تؤيد وتدحض ، وتصر مذهبها على مذهب وعالمها على عالم .

وليس هناك ، بين ما عثرت عليه من أخبار ، ما يشير الى طبيعة المناقشات التي كان ابو علي يشارك بها . وليس لدينا امثلة من هذه المناقشات لنعرف مدى ما اثاره القالي من جدل ومدى ما احرز من تفوق . انما يهمنا ان نعرف ان ابا علي بعد ثلاثة وعشرين عاماً من اقامته في بغداد ودراسة الجادة هناك ، وبعد ان بلغ من العمر ستة واربعين عاماً ، وجد نفسه في موضع لا يمكن وصفه بانه موضع القمة . ويبدو انه احس بانه لن يبلغ القمة في بغداد أبداً . ذلك انه وجد في عصر " الجاهلية " - ان صح القول - " وادرك المشايخ ببغداد كابن الانباري ، وابن درستويه ، وابن دويد ، ومن في عصرهم " ، وسمع من سائر العلماء الاعمال الذين عدت اسماءهم من قبل . ولم يكن يستطيع ان يتفوق عليهم او يسبرز له اسم بينهم لو ظل مقيماً ببغداد ، ولذلك كانت هجرته الى الاندلس مجالا حسناً للتفرد والشهرة .

وفي الطويق بين العراق والاندلس تقع مصر . ولنا نملك من اشارة السي مكوث ابي علي فيها سوى عبارة قصيرة وردت في انهاء الرواة وهي : " . . . ابو علي القالي المعروف بالبغدادى نزيل مصر " (٢) ، ولا يمكننا بالضبط كشف ما تطوى عليه

(١) انهاء الرواة ١ : ٢٠٥ .

(٢) المصدر نفسه ١ : ٢٠٤ .

هذه العبارة ، وما يمكن ان تدل عليه من زمن . غير اننا اذا عرفنا ان الطريق بين العراق والاندلس استغرقت عامين ، لمُمكننا عندئذ ان نستنتج بان اقامته في مصر - لو تحققت - لم تستغرق اكثر من شهر قلائل .

### في قرطبة :

" قال ابو علي : خرجت عن بغداد سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة (١٤٠ م) ، ثم دخلت الاندلس في سنة ثلاثين وثلاثمائة (١٤٢ م) ، ثم دخلت قرطبة في شعبان لثلاث بقين منه سنة ثلاثين وثلاثمائة " (١).

وقد " وفد على الاندلس أيام الناصر أمير المؤمنين عبد الرحمن " (٢). وبعد ان يذكر المقرئ تاريخ دخول القاضي لقرطبة يقول : " وهو مما يعين انه قدم في زمن الناصر ، لا في زمن إبنه الحكم ، وقد صح بذلك الصفدي في الوافي فقال : ولما دخل المغرب قصد صاحب الاندلس الناصر لدين الله عبد الرحمن " (٣). ومما مضى نرى ان خلافا نشأ حول زمن وفادة أبي القاسم إلى الاندلس منشؤه الوهم الخالص ، ذلك أن الذين ظنوه وفد أيام المستنصر لم يعلموا أن هذا الأمير كان مهتما بتشجيع العلوم والعلماء في حياة الناصر أيّه . وصح المقرئ بوجود مثل هذا الخلاف فقال : " وبعض المؤرخين يزعم ان وفادة أبي علي القاضي انما كانت في خلافة الحكم المستنصر بالاندلس ، لا في خلافة أيّه الناصر ، والصواب ان وفادته في أيام الناصر ، لما ذكره غير واحد من حصرو وعيّه عن الخطبة يوم احتفال

(١) طبقات الزهيدى ، انباء الرواة ١ : ٢٠٨ .

(٢) نفع الطيب ٤ : ٧٠ .

(٣) المصدر نفسه ٤ : ٧٣ .

## الناصر لرسول الفرنج" (١).

ولم يكن القالي في طريقه الى الاندلس كثير التناؤل بحال اللغة فيها، فلقد عرف من امر اللغة في طريقه ما جعله يتخوف من هذه البلاد النائية، وهذا النص الذي اورده المقرئ يشير الى مثل ذلك التوقع المؤلم الذي كان القالي يعيش فيه : " وذكر ان ابا علي البغدادي صاحب الامالي الوافد على الاندلس في زمان بني مروان قال : لما وصلت القيروان وانا اعتبر من امر به من أهل الامصار فأجدهم درجات في العبارات وقلة الفهم ، بحسب تفاوتهم في مواضعهم منها بالقرب والبعد ، كأن منازلهم من الطريق هي منازلهم من العلم محاصة ومقايضة . قال ابو علي : فقلت ان نقص اهل الاندلس عن مقادير من رأيت في افهامهم يتقدر نقصان هؤلاء عن قبلهم فسأحتاج الى ترجمان في هذه الاوطان" (٢). غير ان اهل الاندلس لم يكونوا كما توقع القالي ، وفي ختام القصة السابقة يقول المقرئ : " فبلغني انه كان يصل كلامه هذا بالتعجب من أهل هذا الأفق الاندلسي في ذكائهم ، ويتغطى عنهم عند المباحة والمناقشة ، ويقول لهم : ان علي علم رواية ، وليس علم دراسة، فخذوا عني ما نقلت، فلم آل لكم ان صححت، هذا مع اقرار الجميع له يومئذ بسعة العلم وكثرة الروايات، والأخذ من الثقات " .

واستقبل ابو علي استقبالا حافلا و " أمر ٠٠٠ الحكم - وكان يتصرف عن امر ابيه كالوزير - عاملهم ابن رماحس ان يجي مع ابي علي الى قرطبة ، ويتلقاه

(١) نفع الطيب ٤ : ٧١ ، وقد تقرر يقينا أن القالي وصل الاندلس عام ٣٣٠ / ٩٤٢ وكان الناصر هو الخليفة يومئذ وقد عاش القالي في ظل خلافة عشرين عاما فبالداعي لهذا الخلاف من أساسه .

(٢) نفع الطيب ٤ : ١٥٠ .

في وفد من وجوه رعيته ينتخبهم من بياض اهل الكورة تكربة لأبي علي ، ففعل ، وسار معه نحو قرطبة في موكب نبيل ، فكانوا يتذكرون الادب في طويقتهم ، ويتشادون الاشعار<sup>(١)</sup>.

ولعل الناصر استقبل ابا علي في احتفال خاص وأشد الشعراء يومئذ قصائدهم . وكان في من أنشد الشاعر الرمادي قصيدته : " من حاكم بيني وبين عدولي " ، وتقدم القالي نفسه فأشاد قصيدة من نظمته في مدح الناصر<sup>(٢)</sup> ، وكان ذلك في شعبان من عام ١٤٢ / ٣٣٠ .

واستقر القالي بقرطبة يدرس ويؤلف وهو ينال التشجيع والاكرام ولعل من الحوادث البارزة التي عرضت له في السنوات الاولى ، موقفه يوم وفدت سفارة امبراطور القسطنطينية الى بلاط الناصر ( ١٤٦ / ٣٣٤ ) ، وسئل القالي ان يتكلم بالخطبة بين يدي الخليفة فأدركه الحصر ، ولم ينقذ الموقف يومئذ الا منذرين سعيد البلوطي<sup>(٣)</sup> . ثم مضت به الايام من بعد في التأليف والتدريس بقرطبة والزعماء وحوله اعلام قرطبة وطلاب الثقافة فيها ، فله مجلس في الزعماء كل يوم خميس يعلي فيه النوادر ، ونراه يقرأ الغريب المصنف لطائفة عام ١٥٤ / ٣٤٣<sup>(٤)</sup> ، ويدرس خلق الانسان لثابت عام ٣٤٩ - ٣٥٠ / ١٦٠ - ١٦١<sup>(٥)</sup> . وهو في اثناء ذلك يؤلف ، فيبدأ عمله في البارع سنة ٣٣٩ / ١٥٠ ويظل يعمل فيه حتى سنة ٣٥٥ / ١٦٦ ، وتذكره منيته في العام التالي قبل ان ينقحه<sup>(٦)</sup> - ستا وعشرين

(١) نفح الطيب ٤ ، ٧٠ .

(٢) فهرسة ابن خير : ٤٢٢ .

(٣) انظر تاريخ قضاة الاندلس : ٦٦ وأزهار الرياض ٢ ، ٢٧٣ .

(٤) فهرسة ابن خير : ٣٢٨ .

(٥) المصدر نفسه : ٣٦٣ .

(٦) المصدر نفسه : ٣٥٥ .

سنة قضائها في خدمة العلم وتخرج الطالب في الاندلس ، حتى وافته الغيبة ودفن بمقبرة متعة بظاهر قرطبة .

ويصعب التأكد من حقيقة السبب الذي جعل ابا علي يترك بغداد ويتوجه لقضاء بقية حياته في بلاد الاندلس . وربما كان الامر يعود الى اكثر من عامل واحد؛ أحد هذه العوامل رغبة القالي في ان يفتش عن آفاق جديدة لكسب المال والشهرة ، وقد كان القالي في ذلك منسجما مع الاتجاه العام الذي كان سائدا في ذلك الوقت . ويورد ياقوت ما يؤيد ذلك فيقول : " فلما تأدب بهنداد ، ورأى انه لا حظ له بالعراق ، فوافاها في ايام المتقلب بالحكم المستنصر بالله ... فأكرمه صاحب الغرب ، وأفضل عليه فضلا عنه ، وانقطع هناك بقية عمره " (١) .

عامل الشهرة والمال هذا له اهميته ، ولكن ربما لم يكن العامل الاهم . فالروايات تذكر ان القالي دخل الاندلس بعد دعوة وجهها اليه الحكم المستنصر ايام ولاية ابيه الناصر . واذا صحت هذه الرواية تكون العوامل الأخرى متعة ومرجحة ولكن ليست عوامل رئيسية . ففي معرض الحديث عن الحكم جاء في الجذوة : " ويقال انه هو كان كتب اليه ورغبه في الوفود عليه " (٢) ، ونجد مثل هذه الرواية في المقرئ : " ويقال ان الناصر هو الذي استدعاء من هنداد لولائه فيهم " (٣) .

ومهما يكن السبب في رحلة ابي علي الى الاندلس فان وجوده فيها كان كسبا ثقيافيا لتلك البلاد . وقد تجلّى هذا الكسب واضحا في :

الكتب التي جملها والاخبار التي رواها ، وفي المؤلفات التي كتبها في الاندلس،

(١) معجم الادباء ٢ : ٢٨ .

(٢) جذوة المقتبس : ١٥٥٠ ، معجم الادباء ٢ : ٣٠ - ٣١ .

(٣) نفح الطيب ٤ : ٧٥ .

وفي جمهور التلامذة الذين تخرجوا عليه . وقد عرضت للمسألة الاولى في ما تقدم وبقي  
ان أقف عند أثر القالي في التأليف ، وفي المتخرجين .

### مؤلفات القالي في اللغة

صرف ابو علي من عمره ستة وعشرين عاما قضاهما في التعليم والرواية والتأليف ،  
فاستفاد الناس منه وعملوا عليه ، واتخذوه حجة فيما نقله ، وكانت كتبه على غاية  
التقييد ، والضبط والاتقان <sup>(١)</sup> . وامتدحه المؤرخون لما ألف من كتب واملأ من  
اخبار ، اذ " ألف في علمه الذي اختص به تواليف مشهورة تدل على سعة روايته ،  
وكثرة اشرافه " <sup>(٢)</sup> .

ولقد كان القالي ، على ما يبدو ، يتمتع بذاكرة قوية للغاية فله " اوضاع كثيرة  
املاها عن ظهر قلب " <sup>(٣)</sup> . وله " كتب كثيرة . . ارتجل جميعها واملاها عن ظهر قلب  
كلها " <sup>(٤)</sup> . وهذه الرواية التي رددتها المراجع المختلفة توضح لنا كيف استطاع القالي  
ان يؤلف التأليف الكثيرة الواسعة .

وهناك سؤال لا بد ان يرد على خاطر المرء : هل ألف القالي هذه التأليف  
جميعها في الاندلس ؟ اغلب الظن انه كان قد بدأ بالتأليف قبل ذلك بكثير .  
فأولا : من غير المحتمل ان يصرف الانسان ستة واربعين عاما من عمره بغير ان يحاول  
التأليف ، ثم ، وبعد ان يغير البلد ، يصبح ، فجأة ، مؤلفا طويل الباع قادرا  
مقدرا . صحيح ان حاجة البلد الاندلسي اقتضت من ابي علي ان يساهم في الانتاج ،

(١) جذوة المقتبس : ١٥٥ .

(٢) المصدر نفسه

(٣) طبقات الزبيدي : ٢٠٢ ، انباء الرواة ١ : ٢٠٥ ، معجم الادباء ٧ : ٢٨ .

(٤) انباء الرواة ١ : ٢٠٦ ، معجم الادباء ٧ : ٣٠ .

غير ان من يساهم في ذلك يجب ان يكون مستعدا له وكفىؤا قادرا على القيام بمشقاته .

وهما كان للقالى اصول تأليف وضعها أو فكر فيها قبل ان يصل الاندلس ، انما لم يقدر لهذه التأليف ان تنتشر وان تضيع ، لأن بلاد المشرق كانت تعيش في فيض من العلماء الانذاذ والمؤلفات العلمية العظيمة .

وسمع ذلك فان هذه المحاكمة المنطقية ليست تدلنا على مؤلف واحد تنص الروايات صراحة على انه من مؤلفات العهد المشرقي . الرواية الوحيدة التي نجدها في الكتب تشير الى ان هناك مؤلفات وضعت في غير قرطبة ، وجاءت هذه الرواية بصورة عارضة وبغير توضيح : " واكثر كتبه بها - اى بقرطبة - وضعها " (١) . فاذا كان اكثر كتبه وضعها في قرطبة ، فلا بد ان القلة من الكتب وضعت في غير قرطبة . وأغلب الظن أن تكون تلك القلة من الكتب مما ألفه بالمشرق .

وتقع مؤلفات القالي في ثلاثة أنواع : أخبار ومؤلفات أدبية ومؤلفات لغوية .

غير انه يستحسن ان نقرر منذ البداية ان مثل هذا التصنيف ليس دقيقا . اذ لم يكن مفهوم الاختصاص واضحا في انهماك الناس . ولا يختلف القالي في هذا عن غيره من العلماء ، بل ربما كان اكثر ايمالا من غيره في الجمع بين الخير واللغة والادب في الكتاب الواحد . وههنا ان نعرف هنا ان القالي جاء ليعلم ولم يجس ليؤلف ، فاذا كانت ثقافته تشغل على اكثر من نوع من انواع المعارف فبهدي ان يظهر مثل هذا الجمع في تأليفه . وعذره هي اهم المؤلفات التي ذكرتها المصادر ،

١- المدود والمقصور (١)

"بناء على التفعيل ومخارج الحروف من الحلق، مستقصى في بابيه لا يشذ عنه شيء من معناه" (٢). وأشارت بعض المصادر إلى الكتاب بخير أن تعلق بشيء (٣). وأشارت مراجع أخرى إليه ووصفته بأنه "لم يوضع له نظير" (٤). وقد خالف الحميدى المصادر الأخرى فسماه "المقصور والمدود والمهوز" (٥)، وقال ابن خيبر أنه في عشرة أجزاء (٦).

ولم يصلنا هذا الكتاب، وإنما أورد القفطي أن نسخة من نسخة شوهدت وقد كتب عليها: "قرأ جميع المقصور والمدود محمد بن إبراهيم بن معاوية القرشي ومحمد بن أبان بن سيد وعبد الوهاب بن أصبغ ومحمد بن حسن الزبيدي" (٧).

٢- فعلت وأفعلت (٨)

"وصله لأئير المؤمنين (يعني الناصر أو الحكم) حتى جعله ثلاثة أمثال ما كان للزجاج"، فالأساس فيه كما يبدو كتاب الزجاج المعروف بهذا الاسم ثم زاد القالي فيه كثيرا.

- 
- (١) منه نسخة خطية بالقاهرة ثاني ٢ : ٤٠ (بروكلمان ٢ : ٢٨٠).
  - (٢) طبقات الزبيدي : ٢٠٣، أنباء الرواة ١ : ٢٠٦، معجم الأدباء ٧ : ٢٩.
  - (٣) الوفيات ١ : ٢٠٤، البغية ١٩٨.
  - (٤) طبقات الزبيدي : ٢٠٣، أنباء الرواة ١ : ٢٠٦، معجم الأدباء ٧ : ٢٩.
  - (٥) جذوة المقتبس : ١٥٦.
  - (٦) فهرسة ابن خيبر : ٣٥٣.
  - (٧) أنباء الرواة ١ : ٣٠.
  - (٨) طبقات الزبيدي : ٢٠٣، معجم الأدباء ٧ : ٢٩، وفيات الأعيان ١ : ٢٠٤، بغية الوعاة ١٩٨، أنباء الرواة ١ : ٢٠٦، وفهرسة ابن خيبر : ٣٥٢.



### ٣- كتاب في الابل ونتاجها وما تصرف منها ومعها (١)

وسماه ابن خير " كتاب الابل ونتاجها وجميع أحوالها " وذكر انه في خمسة أجزاء .

### ٤- مقاتل الفرسان

لم يردنا من هذا الكتاب سوى اسمه (٢). وقد سماه السيوطي : " مقاتل العرب " (٣).

### ٥- كتاب في حلى الانسان والخيول وشياتها (٤)

٦- كتاب في تفسير القوائد والمعلقات وتفسير اعرابها ومعانيها (٥)  
وقد سماه ياقوت : " كتاب تفسير السبع الطوال " (٦). وهنا أيضا .

٧- فهرسة ابي علي البغدادي ، اخباره وتسمية كتبه وتوالياه برأية أحمد بن أبان بن سيد عن القاضي نفسه (٧).

- 
- (١) انباء الرواة ١ : ٢٠٦ ، طبقات الزهيدى : ٢٠٣ ، معجم الادباء ٧ : ٢٩ ، وفيات الاعيان ١ : ٢٠٤ ، بغية الوعاة : ١٩٨ ، فهرسة ابن خير : ٣٥٥ .
  - (٢) انباء الرواة ١ : ٢٠٦ ، طبقات الزهيدى : ٢٠٣ ، معجم الادباء ٧ : ٢٩ .
  - (٣) بغية الوعاة : ١٩٨ ، وفهرسة ابن خير : ٣٥٥ .
  - (٤) طبقات الزهيدى : ٢٠٣ ، انباء الرواة ١ : ٢٠٦ ، معجم الادباء ٧ : ٢٩ .
  - (٥) بغية الوعاة : ١٩٨ ، وفهرسة ابن خير : ٣٥٥ .
  - (٦) انباء الرواة ١ : ٢٠٦ ، طبقات الزهيدى : ٢٠٣ ، وفيات الاعيان ١ : ٢٠٥ .
  - (٧) بغية الوعاة : ١٩٨ ، وفهرسة ابن خير : ٣٥٥ .
  - (٦) معجم الادباء ٧ : ٢٩ .
  - (٧) فهرسة ابن خير : ٤٣٤ .

## ٨- البار

## أ - وصف عام للكتاب والدوافع الى تأليفه

لا نستطيع ان نعرف بالضبط الدافع المباشر الى مثل هذا التأليف، وربما كان ذلك بطلب من الحكم المستنصر او بتشجيع منه على الاقل . ومثل هذا نقوله اعتقادا على اتجاه الحكم العام في تشجيع التأليف وتشجيع ابي علي بنوع خاص . ثم ان هناك من الروايات ما يشير الى مثل هذا التشجيع .

ولم يكن هذا العمل يسيرا او متيسرا ، وكان يحتاج الى مجهود عظيم . وقد " شوهد بخط ولده ما مثاله : ابتدا ابي - رحمه الله تعالى - بعمل كتاب " البار " في رجب سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ( ١٥٠ م ) ، ثم قطعه على واشغال ، ثم عاود النظر فيه بأمر امير المؤمنين وتأكيد عليه ، فعمل فيه من سنة تسع واربعين وثلاثمائة ( ١٦٠ م ) ، فأخذه بجد واجتهاد ، وكل له ، وابتدا بنقله فكمل لنفسه الى شوال سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ( ١٦٦ م ) كتاب الهمز ، وكتاب الهمزة ، وكتاب العين ، ثم اعتل في هذا الشهر (١) .

وبصعب ، اعتادا على هذا الكلام ، التحقق بدقة من الزمن الذي استغرقه العمل في الكتاب انما نستطيع القول انه عمل فيه ستة عشر عاما ، لم يعمل فيها بصورة متواصلة وانما قطعه اثنا ذلك " علل واشغال " . ويبدو لنا من هذا النص ما ذكرناه قبل قليل من اهتمام الحكم المستنصر ، امير المؤمنين ، وتشجيعه للقالي في هذا المؤلف ، كما كان يشجعه في غيره من المؤلفات .

وقد عاجل المرض ابا علي ولم يمض له الوقت الذي يسمح له بنسخ ما عمل

وتهذيبه . وقد رأى بعض المؤرخين انه " الف كتاب البار في اللغة في خمسة آلاف ورقة لكن لم يتمه " (١). ويورد آخرون هذه الرواية بألفاظ مختلفة ، مع اختلاف عدد الاوراق ، اذ يرى ياقوت ، مثلاً ، انها ثلاثة آلاف ورقة فقط (٢).

وكان لا بد لمثل هذا العمل ان يخرج الى الناس . فتولاه وراقان ممن كان يساعد القالي في اعماله ، واحدهما : محمد بن الحسين الفهرى ، عمل على مساعدة القالي في هذا المشروع منذ عام ٣٥٠ / ٩٦١ ، والاخر : محمد بن عمر الجياني . وقد تعاون الوراقان فاستخرجا المادة من الصكوك والرقاع ، وهذبها الاصول التي هي بخط القالي ، والاصول التي بخطيهما والتي كانا قد كتبها بين يديه . ولما تم الكتاب رفع الى الحكم المستنصر ، الذي رعى المشروع وشجعه منذ البداية (٣).

وقد امتدح الناس منذ ذلك العهد كتاب البار قال الزبيدي : " ولا تعلم احدا من المتقدمين ألف مثله " (٤). وهو " لم يصنف مثله في الاحاطة والاستيعاب " (٥) ومع هذا الاعتراف بعظمة الكتاب فان الناس لم يميلوا اليه ولم يألوه و " لم يعرجوا " على بارع ابي علي البغدادى " (٦). وربما كان ضيق المجال الذي انتج امام الكتاب واحدا من الاسباب التي ساعدت على فقدان اكثره . فمن المائة المجلد التي ورد ذكرها لم يبق لنا الآن سوى قطعتين احدهما في المكتبة الاهلية ببغداد

- 
- (١) شذرات الذهب، ابن العماد ٣ : ١٨ .
  - (٢) بغية الوعاة : ١٩٨ ، معجم الادباء ٧ : ٢٩ .
  - (٣) فهرسة ابن خير : ٣٥٤ ، انباء الرواة ١ : ٢٠٩ ، التكملة ، ابن الابار : ٣٧١ .
  - (٤) طبقات الزبيدي : ٢٠٣ - ٢٠٤ ، معجم الادباء ٧ : ٢٩ ، انباء الرواة ١ : ٢٠٦ .
  - (٥) المصدر نفسه
  - (٦) المزهر ١ : ٤٥ .

والاخرى في المتحف البريطاني . وقد كتبت الاثنان بخط اندلسي وفي عصر يعود الى حوالي القرن بعد زمن تأليف الكتاب (١) .

والمبقي من البارع يقع ، بحسب مخطوطة المتحف البريطاني ، في مائة وثمان واربعين صفحة (٢) ، وهو ما يقارب ثلاثة امثال قطعة باريس ونصفها (٣) . والقطعتان لا تشتركان الا في ثماني صفحات من مصورة فلتن (٤) . وليست هذه الاوراق متتابعة ، على اية حال ، بل هي متفرقات (٥) .

غير ان كلتا القطعتين ليست تحتوى على مقدمة للمؤلف . ولسنا نقصد من ذلك انه وجد في يوم من الايام مقدمة للمؤلف . فان مثل هذا الامر يصعب البت فيه . فلهو علي مات قبل ان يتم الكتاب كما رأينا . لذلك فان الهدف من تأليف الكتاب والخطة التي اتبعها المؤلف غير معروفين بدقة ، انما يمكن استنتاجهما استنتاجا . وقد رأينا ان القالي قام ، بتشجيع من الحكم المستنصر ، بتأليف بارعه ليضع بين ايدي اهل الاندلس معجما يماثل معجمات المشارقة او يتفوق عليها ، وقد قصد الى ان يسهل عمليات التفسير والشرح التي كان يقوم بها هو وامثاله من العلماء في تلك الفترة من حياة الاندلس اللغوية والادبية .

### ب - منهج القالي في كتاب البارع

رتب القالي كتابه بحسب مخارج الحروف . وكما يستتج من

- 
- (١) مقدمة فلتون (بالانكليزية) ص : ١ .  
 (٢) مخطوطة المتحف البريطاني رقم ١٨١١ Or.  
 (٣) مقدمة فلتن : ١  
 (٤) المصدر نفسه  
 (٥) المصدر نفسه

القطعة المتبقية من كتابه يمكن ترتيب الحروف كما يلي :

هـ ح ع خ غ ق ك ض ج ش ل و ن ط د ت  
ص ز س ظ ذ ث ف ب م و ا ي (١).

أما الهمزة فقد كان مكانها موضع خلاف ، ويرى فلتن : " كذلك ليس لدينا  
أى شاهد مخطوط عن موضع الهمزة ، ذلك الصامت الذى سبب كثيرا من المتاعب  
للقدماء من النحويين واللغويين في تحديده ، ولا بد أن القالي تناوله في بداية  
الالفباء أو في فصل خاص في النهاية ، وهو لا يضع الالفاظ التي تحتوى على هذا  
الصامت بين الاصول المعتلة من الكتاب ، كما فعلت معاجم الخليل والازهرى وابن  
سيده " (٢). أما موضع الحرفين الحاء والخاء فلم يمكن القطع بموقعهما وقد وضعنا  
بحسب الترتيب السابق دون الجزم بذلك ، وقال فلتن بهذا الصدد : " ولا تبين لنا  
نسخة المتحف البريطاني ولا نسخة باريس من كتاب القالي الوضع الصحيح للحرفين  
الساكين ح ، خ ، والوضع الذى نسبناه لهما هنا افتراضي ، ومن المحتمل  
صحته " (٣).

والابواب في بارع القالي ستة ، هي بالترتيب : ابواب الشافي المضاعف  
(الثاني في الخط والثالثي في الحقيقة) ، ابواب الثلاثي الصحيح ، ابواب الثلاثي المعتل ،

(١) انظر كذلك مقدمة فلتن : ٨ .

(٢) مقدمة فلتن : ٨ ، وانظر المعجم العربي : ٢٨٦ .

(٣) مقدمة فلتن : ٨ .

ابواب الحواشي او الاوشاب<sup>(١)</sup> ، ابواب الرباعي ، ابواب الخماسي .

وفي كل باب من هذه الابواب تكرر عبارة " ومن مقلوبه " ، وهو النظام الذي يتيح للقالي ، ولغيره من اصحاب هذه المدرسة في تأليف المعجمات ، سبيلا لاستقصاء تقل كل حرف من نظامه في كل بناء من الابنية<sup>(٢)</sup> .

### جـ - خصائص الكتاب ،

نستطيع ان نأخذ صورة واضحة عن خصائص الكتاب اذا حللنا مادة من مواده . لنأخذ مثلا :

الجيم والشين والنون في الثلاثي الصحيح<sup>(٣)</sup>

" قال ابو علي قال يعقوب : يقال اتيته بعد ما مضى جوشن من الليل .

قال ابن احمد :

يضي صيرها في ذي خبي جواشن ليلها بينا فيينا

(١) شرح القالي ابواب الحواشي او الاوشاب بقوله : " هذه ابواب تتصل بالثلاثي المعتل مما جاء على حرفين احدهما معتل ، او ثلاثة منها حرفان معتلان " (البارع ٢٦) . وقام بشرحها أيضا في مكان آخر فقال : " انما سميناه اوشابا لأننا جمعنا فيه الحكايات والزجر والاصوات والمنقصات ، وما اعتل عينه ولامه او فاؤه ولامه او فاؤه وعينه او كان فاؤه ولامه او فاؤه وعينه او لامه وعينه بلفظ واحد " . (البارع ٢٦) . وقد شمل بهذا الشرح الثلاثي المخفف الصحيح او المعتل بحرف واللفيف والمضاعف بحرفين غير مدغين .

(٢) الامثلة متوفرة في مواء البارع المختلفة .

(٣) البارع : ١٢١ - ١٢٢ .

اي قطعة من الارض بعد قطعة ، يعني البين والين من البصر . قال لسان  
ابو الحسن بن كيسان رحمه الله : الصير الخيم الابيض الشديد البياض . وقال  
ابو عبيدة : الجوشن الصدر . قال : وقال آخر بل الجوشن الوسط يفتح  
 الجيم والشين وسكون الواو وانشد لرؤبة :

ونازح الماء عرض الجوشن

قال الجوشن الوسط . وقال الخليل : الجوشن ما عرض من وسط الصدر ،  
 وجوشن الجراءة ونحوها صدرها ، والجوشن من السلاح .

مقلوبه

قال ابو علي قال ابو حاتم : يقال نشج ينشج نشيجا على مثال فعل  
 يفعل فعلا يفتح الفاء والعين في الماضي وكسر العين في المستقبل وفتح الفاء  
 وكسر العين في المصدر . وقال ابو زيد : النشيج اشد البكاء . وقال  
الاصمعي : النشيج بالحلقي ، وهو هاء تأخذ بالنفوس ، وهي ارتفاع النفس مثل  
 الفؤاد . قال ابو ذؤيب :

لهن نشيج بالنشيل كأنها ضرائر حرمي تفاحش غارها

وقال الخليل : نشج الباكي ينشج نشيجا وهو اذا غص البكاء في حلقه ولما  
 ينتحب . والحمار ينشج بصوته نشيجا وهو صوت في حلقه عند الفزعة . والطعنة  
 تشج عند خروج الدم ، تسمع لها صوتا كالنفخة ، فاذا كان ذلك قلت نشجت الطعنة .  
 والقدر تشج عند الغليان . وقال الشاعر :

وناشج عنه منهلة تكف . .

يبدو ان القالي كان يشعر بالاطمئنان حين يورد اسما العلماء الثقات ،  
 ففي هذا الجزء من المادة الذي نقلناه نجد اسما يعقوب بن السكيت وابي الحسن  
 بن كيسان وابي عبيدة والخليل وابي زيد والاصمعي . " وهذا احصاء بمن وردت  
 اسماءهم في الصفحات العشر الاولى : ابو زيد الانصاري ، الخليل بن احمد ، يعقوب  
 بن السكيت ، ابو السح ، الاصمعي ، ابو عبيدة ، الكسائي ، الرزاحي ، ابو حاتم  
 السجستاني ، ابو عمرو ، الاحمر ، ابو العباس ، الاموي ، الفراء ، ابن الاعرابي ،  
 الاحرزي . وهذا الاحصاء لا يبين لنا تساما كثرة ورود اسمائهم لأنه لا يظهر  
 مرات وجودهم ، وهي كثيرة . . . . . ومنهم من كان يظهر اسمه في جميع المواد كالخليل ،  
 ويقاربه في ذلك ابو زيد ، وليهما الاصمعي ويعقوب . وكان في بعض الاحيان يأتي  
 بالمادة كلها من قول الخليل ، وابي زيد (١) . ومن الطبيعي انه لم يكن المذكورون  
 آنفا جميع من رجع اليهم . فهناك غيرهم ظهروا بعد الصفحات العشر الاولى ، من  
 امثال الباهلي ، والنضر بن شميل ، والليثاني ، وسلعة بن عاصم ، والرؤاسي ، وقطرب ،  
 ولزاز ، وابن كيسان ، وابن قتيبة ، وثابت ، وابن دريد ، وغيرهم من اللغويين وابي  
 الجراح ، وابي العطف النخعي ، وابي خيرة ، وام الحمارس الكلبية ، وابي زياد  
 الكلابي ، وابي جميل الكلابي ، وابي صاعد ، ورداد الكلابي ، وابي الغادية النخعي ،  
 وابي مسمع ، وغنية ، من الاعراب والرواة (٢) .

ومن المادة السابقة أيضا يظهر لنا بوضوح حرص القالي الشديد  
 على عدم الالتباس . وهذا الحرص يتمثل في ظاهرتين ، الاولى النص على حركة الحرف  
 كتابة وربما شاركه هذا الفضل الوراقان اللذان ساعدا على النسخ ورتبا وهذبا

(١) البارع : ٢٣ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ وغيرها من الصفحات .

(٢) المعجم العربي : ٢٩٦ - ٢٩٧ .



بارعه بعد وفاته • والثانية النص على الوزن •

ويتبين لنا كذلك حبه لرواية الشعر والاستشهاد به • وقد تجاوز نبي  
كثير من الاحيان حد الاستشهاد الى ايراد مقطوعات قصد بها الامتاع والاخبار (١).  
ولعل هذا اثر من آثار الامالي وروايات الاشعار والاخبار (٢).

ومن الظواهر تفسير الالفاظ التي ترد في النصوص • فاذا احسن ان هناك  
لفظة او اكثر تستغلق على الفهم عمد الى شرحها (٣).

كذلك فانه ينقل عن اللغويين بعض لغات العامة • ففي مادة •

الجيم والشين والراء في الثلاثي الصحيح :

"مقلوبه : قال ابو حاتم : العامة يقولون الشجر بكسر الشين وهو لغة والجيد  
الفتح كما يقرأ في القرآن : 'والنجم والشجر يسجدان' (سورة الرحمن آية : ٦) •" (٤)

(١) فهو حين يتحدث عن مادة : الجيم والشين والراء في الثلاثي الصحيح وعن تقاليدها  
يقول : (البارع ١١٩)

"... وقال ابو زيد الشوجان الخلطان وانشد لقطبة بن ارومة :

عفا الرس فاللعباء من ام عامر	فشرك فأحسى واسط ففنيهم
عفت غير حقب ترتعي اخديمة	شوجان منها واضح وبهم
فهاجت عليك الدار ما لو ترومه	لعهد الصبا لم تدر كيف تروم
لعلك ان طالت حياتك ان ترى	حياتك الآتي * بهمن تههم
اجذك ما ينسيكهن ملممة	العت ولا عهد بهمن قديم ••

\* ربما كان الاصح : اللاتي •

(٢) ترد في بارعه روايات واخبار ليس لها صلة بالمعجم وانما يرويها لأنها من جملة  
الروايات المسلية • (انظر البارع، ص : ١٠) •

(٣) انظر البارع : ٣ •

(٤) المصدر نفسه : ١١٩ - ١٢٠ •

ويعتني القالي باللغات المختلفة . " وانسا نرى عنده من اللغات العنسية لغات الكلايين والنميريين والطائيين والقيسين والاسديين والتميميين وبني غنى ، واهل مصر والمدينة والحجاز والجزيرة والعراق . والكلايين خاصة لهم خطرهم في كتابه ، ان يرد اسمهم في خمس صفحات من الصفحات المشر الاولى ، ويكثر بصورة واضحة في جميع انحاء القطعة الباقية . وليس هذا وحده بل تكثر اسماء الاعراب والرواة الكلايين عنده أيضا ، مثل ام الحمارس وابي زياد وابي جميل ورداد . ومن اسباب هذه الظاهرة اكثار المؤلف الاقتباس من ابي زيد الانصاري ، الذي يروى عنهم كثيرا " (١).

وكان من نتيجة ايراده الاقوال المختلفة للغيين المختلفين بنير مناقشة او تشذيب ان تراكت التفسيرات المتناقضة ، واحدا الى جنب الآخر دون ادنى تعليل . والواقع ان شخصية القالي ضعيفة ولانحس بها الا من وراء ستار ، فشخصيات العلماء الآخرين اكثر وضوحا . وهذا ادى الى ان يكون معجمه اقرب الى الجمع .

والقالي يأخذ عن العلماء دون ذكر المؤلفات . وجزء من كتابه مبني على الرواية الشفوية ، غير ان لكثيرين من العلماء كتب لا بد ان القالي استفاد منها . ورغم المجهودات الكبيرة التي قام بها القالي ، فان هناك مواطن ضعف في الكتاب . ولعل اهم هذه المواطن وبرزها صعوبة البحث عن المواد في المعجم بسبب ذلك النظام العسير القائم على المخارج والابنية والتقايب . وقد أشار الى مثل هذا الضعف اكثر من عالم ولاموا في ذلك أيضا معجمات اخرى اعتمدت نفس الاسس . قال ابن دويد " قد ألف الخليل بن احمد كتاب العين ، فأتعب من تصدي لغايته ، وعنى من سما الى نهايته . . ولكنه رحمه الله

وقد وجهت الى العين - ١٦٧ وهذا الكتاب الأول الذي سمى المصنف - نزهة تماثلة

ألف كتابه مشاكلا لثوب فهمه ، وذلكاء فطنته " (١) . " كتاب العين لا يمكن طالب الحرف منه ان يعلم موضعه من الكتاب من غير ان يقرأه ، الا ان يكون قد نظر في التصريف ، وعرف الزائد والاصلي والمعتل والمحيح والثلاثي والرباعي والخماسي ، ومراتب الحروف من الحلق واللسان والشفة ، وتصريف الكلمة على ما يمكن من وجوه تصنيفها في اللفظ على وجوه الحركات والحقاها ما تحتل من الزوائد ، ومواضع الزوائد بعد تصنيفها بلا زيادة ، ويحتاج مع هذا الى ان يعلم الطريق التي وصل الخليل منها الى حصر كتاب العرب ، فاذا عرف هذه الاشياء ، عرف موضع ما يطلب من كتاب العين " (٢) . وهذه الاتهامات <sup>جميعها</sup> تنال كتاب البارع بنسب متفاوتة . فالبارع واحد من فئة المعجمات التي اتخذت مخارج الحروف والابنية والتقاليب اساسا لها .

ومع ذلك ، فلقد شارك القالي مشاركة طيبة في المجهود اللغوي ، وقدم بهذا الكتاب اثرا عرف الناس فضله ومدحه . ولما " كمل الكتاب وارتفع الى الحكم المستنصر بالله ، اراد ان يقف على ما فيه من الزيادة على النسخة المجمع عليها من كتاب العين ، فبلغ ذلك الى خمسة آلاف وستمائة وثلاث وثمانين كلمة " (٣) . وقال ابن خیر : " زاد على كتاب الخليل نيفا واربعمائة ورقة مما وقع في العين سهوا فاملاه مستعملا ، ومما قلل فيه الخليل فأملأ فيه زيادة كثيرة ، ومما جاء دون شاهد فأملأ الشواهد فيه " (٤) . واطب آخرون في مدحه ورأوا

- 
- (١) الجمهرة : ٣ .  
(٢) المزهر ، السيوطي ١ : ٤٦ .  
(٣) التكملة : ٣٧١ .  
(٤) فهرسة ابن خیر : ٣٥٤ .

أنه " لا يعلم احد من العلماء المتقدمين والمتأخرين الف مثله في الاحاطة والاستيعاب " (١).

## ١ - كتاب الامالي \*

### (١) تقدير العلماء لكتاب الامالي

لقي الكتاب شهرة واسعة ، واثنى عليه كتاب التراجم والمؤرخون ، وكثيرا ما جرى التعريف بالقالي عن طريق القول بأنه صاحب الامالي : " ولما وفد على ابيه - ابي الحكم المستنصر - ابو علي القالي صاحب كتاب الامالي من بغداد اكرم مشاه " (٢) ، " .. ومنهم ابو علي القالي ، صاحب الامالي والنوادر " (٣) ، " .. وذكر ان ابا علي البغدادي صاحب الامالي الوافد على الاندلس في زمان بني مروان قال " (٤) . وقد امتدح ابن خثير الكتاب فقال : " وهو كتاب حسن يشتمل على انواع من العلم لا نظير له في معناه " (٥) . واثنى عليه الزبيدي ، تلميذ القالي وصديقه ، فقال : " وهذا الكتاب غاية في معناه ، وهو أنفع الكتب " (٦) . وهذه الرواية الاخيرة رواها آخرون بالفاظ قريبة (٧) . وقد اورد الحميدى من الاخبار ما يشيد بالامالي فقال : " قال لنا ابو محمد علي بن احمد ( اى ابن حزم ) ، وقد ذكر كتاب ابي علي

(١) طبقات الزبيدي : ٢٠٣ - ٢٠٤ ، انباء الرواة : ١ : ٢٠٦ .

\* انظر بروكلمان ٢ : ٢٧٨ في مخطوطات هذا الكتاب والطبعات التي صدرت منه ومن الذيل والتبويب .

(٢) نفع الطيب ١ : ٣٦٢ .

(٣) المصدر نفسه ٤ : ٧٠ .

(٤) المصدر نفسه ٤ : ١٥٠ .

(٥) فهرسة ابن خثير : ٣٢٣ .

(٦) طبقات الزبيدي : ٢٠٣ .

(٧) انباء الرواة : ١ : ٢٠٦ ، معجم الادباء ٧ : ٢٨ .

المسمى بـ الفوائد في الاخبار والاشعار ، فقال : وهذا الكتاب مبار للكتاب الكامل الذي جمعه ابو العباس المبرد ، ولئن كان كتاب ابي العباس اكثر تحوا وخبرا ، فان كتاب ابي علي لأكثر لغة وشعرا " (١).

### (ب) الداعي لتأليفه

ويقول القالي في المقدمة : " فأملت هذا الكتاب من حفظي في الاخمسة بقرطبة ، وفي المسجد الجامع بالزهراء المباركة " (٢). وقال الزبيدي في مثل ذلك : " وله اوضاع كثيرة اماها عن ظهر قلب ، منها كتابه في الخبر ، المعروف بالفوائد ، اماها ظاهرا ، وارتجل تفسير ما فيه " (٣).

فالداعي الى تأليف هذا الكتاب في المقام الأول هو تلك المهمة التدريسية التي انتدب لها القالي ، وتحقيق جانب من الغاية التي هاجر من أجلها الى الاندلس . على أن تأليف الكتاب تم في مراحل : فقد كان أبو علي يعمل في الاخمسة بالزهراء على بني ملول وغيرهم ، وهذه هي المرحلة الأولى ، ثم زاد فيه حتى بلغ ستة عشر جزءا وهذه هي المرحلة الثانية ، ثم لما رفعه للمستقر جعله عشرين جزءا . وعندئذ كتب مقدمته وتحدث فيه عن طلبه العلم - تلك التجارة التي لا تبور - وعن جهوده في سبيلها ، وعن أن العلم لا يلقى الا الى مستحقه فقال : " أما بعد . . . فاني لما رأيت العلم أنفد بضاعة أيسقت أن طالبه أفضل تجارة فاقررت للرواية ولزمت العلماء للذراية ثم أعلت نفسي في جمعه وشغلت ذهني بحفظه حتى حوت خفيه وأحرزت رفيعه ورويت جليله وعرفت دقيقه . . . . . وجعلت

(١) جذوة المقتبس : ١٥٦ ، معجم الأدياء ٧ : ٢٨ - ٢٩ .

(٢) الامالي ١ : ٣ .

(٣) طبقات الزبيدي : ٢٠٣ ، وانظر أيضا : انباء الرواة ١ : ٢٠٥ - ٢٠٦ ، ومعجم الأدياء ٧ : ٢٨ .

غرضي أن أودعه عند من يستحقه وأبديته لمن يسهم فضله وأجليه الى من يعترف  
بذله ..... (١) وفي هذه المقدمة تقدير لعبد الرحمن الناصر وثناء عليه ، وهو  
شيء يسير اذا قيّم بما لقيه القالي من حفاوة واکرام .

### (ج) طبيعة المادة في كتاب الأمالي

وقد أجمل القالي في مقدمته وصف طبيعة المادة<sup>التي</sup> اشتمل عليها  
كتابه فقال : " وأودعته فنونا من الاخبار وغروبا من الاشعار وأنواعا من الامثال  
وغرائب من اللغات على أني لم أذكر فيه بابا من اللغة الا أشبعته ولا ضربا من الشعر  
الا اخترته ولا فنا من الخبر الا انتحلته ولا نوعا من المثل والمعاني الا استجدته ،  
ثم لم اخله من غريب القرآن وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم . على أني أوردت فيه  
من الابدال ما لم يورده أحد وفسرت فيه من الاتباع ما لم يفسره بشر ليكون الكتاب  
الذي استبطنه احسان الخليفة جامعا والديوان الذي ذكر فيه اسم الامام كاملا " (٢).  
ومعنى هذا أن كتاب الامالي يمتاز بالامور الآتية :

- (١) الاشباع بالتفسيرات اللغوية .
  - (٢) المختار من الشعر الذي اعتمده ذوق القالي .
  - (٣) الخبر المنتحل .
  - (٤) الأمثال والمعاني التي استجدها القالي .
  - (٥) غريب القرآن والحديث .
  - (٦) فرعان من الكلام يرى القالي أنه مبتكر في التقييم بهما وهما :
- ١ - الابدال .      ب - الاتباع .

(١) مقدمة الامالي : ص ١ - ٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٣ .

### (د) الجانب اللغوي في الأمالي :

وللغة نصيب كبير في هذا الكتاب أو كما قال ابن حزم : " ولئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحواً وخبراً ، فإن كتاب أبي علي لاكثر لغةً وشعراً " (١).  
واللغة لها مواد تكاد لا يعالج بها شيء سواها ، إلا أنها تبرز بمرورنا واضحاً حتى في مواد الأخبار والأدب . ويمكن إيجاز هذه الجوانب اللغوية على الصورة التالية :

#### ١ - معالجة كلمة واحدة :

أول مادة يعالجها الكتاب هي كلمة نساء والحديث في معانيها المختلفة (٢).  
والقالي يستشهد لذلك بآيات من القرآن وكلام العرب وشعرهم ويفصل ويصوب مثلما كان أصحاب المعجمات القدامى يفعلون .

ومثل هذا الحديث عن مادة واحدة كثير (٣). وتكراره يدل على أن الكاتب يهتم بالألفاظ من حيث هي . وربما كان ذلك سبباً دفعه ، فيما بعد ، إلى تأليف معجمه " البارع " .

#### ٢ - مترادفات الاسم الواحد :

فانه يتخذ الزوجة ، مثلاً ، ويورد الاسماء المختلفة لها مستشهداً لذلك (٤).  
فمن جملة الاسماء : الحليمة ، وعروس الرجل ، والفريسة ، والطلعة ...

#### ٣ - أسماء يربطها الموضوع الواحد :

فانه يتخذ موضوعاً ما ، أسماء الألوان وأوصافها مثلاً (٥) ، ويتحدث فيها

(١) جذوة المقتبس : ١٥٦ ، معجم الادباء ٧ : ٢٩ .

(٢) الأمالي ١ : ٤ .

(٣) المصدر نفسه : مادة لحن ١ : ٤ - ٧ ، مادة حرد ١ : ٧ الخ ..

(٤) المصدر نفسه ١ : ١٩ - ٢٠ .

(٥) المصدر نفسه ١ : ٣٤ - ٣٦ .

وفيها حقها .

#### ٤ - ما يتعاقب فيه حرفان :

والقالي يورد فقرات كثيرة يتحدث فيها عن حرفين يتعاقبان ، كاللام والنون  
مثلاً (١) ، او العين والحاء (٢) ، او الههزة والهاء (٣) ، او السين والتاء (٤) ، او الحاء  
والجيم (٥) ، او الههزة والعين (٦) .

والقالي في ذلك يستشهد بأقوال اللغويين ويورد الروايات بنير ان يعمل  
لمثل هذا التعاقب . فهو يقبله باعتباره موجوداً ، دون ادنى اشارة الى اسباب  
مثل هذا التعاقب ، او دراسة للتطور الذي يمكن ان يكون قد طرأ على مثل هذه  
الالفاظ ، او للبيئات والقبائل المختلفة التي يمكن ان تكون قد صدرت عنها  
الكلمات . وسأقتبس مقلعاً صغيراً للدلالة على مثل ذلك : " ويقال : ارقست  
الماء وهرقته . ويقال : ايتك ان تفعل وهيتاك . ويقال : اتعال السنم  
واتسهل ، اذا انتصب . ويقال للرجل اذا كان حسن القامة : انه لمتئلل  
ومتسهل . ويقال : ارحت داهتي وهرحتها . ويقال : أنرت له وهنرت له " (٧) .

#### ٥ - ابدال حرف بحرف آخر :

وهذا قريب مما مضى في الفقرة "٤" ، غير انه هاهنا يستبدل حرف

- 
- |     |             |          |
|-----|-------------|----------|
| (١) | الامالي     | ٢ : ٤٠ . |
| (٢) | المصدر نفسه | ٢ : ٦٥ . |
| (٣) | المصدر نفسه | ٢ : ٦٦ . |
| (٤) | المصدر نفسه |          |
| (٥) | المصدر نفسه | ٢ : ٧٦ . |
| (٦) | المصدر نفسه |          |
| (٧) | المصدر نفسه | ٢ : ٦٦ . |



بحرف آخر ولا يستعمل ، من قبل فئة من الناس ، إلا الحرف البديل دون الحرف الأصيل . مثال ذلك " ابدال الياء جيما في لغة فقيم " (١). وفي هذا المقام يورد امثلة لابدال الياء جيما في لغة فقيم ، دون ادنى تعليق أيضا . " وقال ابو عمرو بن العلاء : قلت لرجل من بني حنظلة : ممن انت ؟ قال : فقيم ، فقلت : من أيهم ؟ قال : مسج ، أراد : فقيمي وسري " . وهناك امثلة اخرى لم يعين فيها فئة العرب التي تقوم بابدال حرف بآخر (٢).

#### ٦- الشرح والتفسير :

وهو على انواع ، فتارة يتناول الاحاديث (٣) ، وتارة يتناول غريب الحكايات ، كحكاية الفتيات (٤) ، وتارة يتناول القصائد والمقطوعات (٥) ، ويتناول أيضا الآيات (٦) ، والخطب (٧).

والواقع ان هذه الظاهرة عامة في الكتاب ، غير اننا قد نجد لها ، مثلما هي الحال في الامثلة العاذية ، منفردة في فقرات خاصة ، طلبت من أجل ذاتها . اما في الموارد الاخرى فان جزءا مهما من عمل المؤلف مرتبط بشرح الغريب من الالفاظ وتفسير

(١) الامالي ٢ : ٧٥ .

(٢) انظر مثلا : " وقال ابو علي : قال ابو عبيدة : العرب تقلب حروف المضاعف الى الياء فيقولون : تظنيت ، وانما هو تخننت ، قال العجاج :

تقضي الهازي اذا الهازي كسر

وانما هو تقض من الانقراض .. " (الامالي ٢ : ١٦٧)

(٣) الامالي ١ : ٧ .

(٤) المصدر نفسه ١ : ١٦ .

(٥) المصدر نفسه ١ : ٤٧ .

(٦) المصدر نفسه ٢ : ٢٩٥ ، ٣٠٨ ، ٣١٢ ، ٣ : ١١٥ .

(٧) المصدر نفسه ١ : ١٤٥ .

## الغامض والمستنق من المعاني .

### ٧ - باب لغوى مستقل :

كتاب احرف الابدال مثلاً (١). وقد افرد مؤلفون آخرون مثل هذا الباب ، منهم سيبويه في الكتاب ، والزبيدي في الاستدراك على سيبويه . والقالي يورده بغير أدنى علاقة بما يسبقه من ابواب او بما يلحقه . وفي احرف الابدال يشعر القالي بسرور عظيم حين يؤلف ما بين هذه الاحرف ويجعلها في عبارة بسيطة هي : " طال يوم انجذته " ويقول بجذل : " وهذا انا علتة " (٢).

### ٨ - ينقل المناقشات اللغوية :

من ذلك مثلاً مطلب ما وقع في مجلس ابي عمرو بن العلاء بين شبيل بن عذرة ويونس والفرق بين الفاظ خمسة من الروية (٣). والقالي ، مثلما يفعل غالباً ، يكتفي بسرد وقائع المناقشة دون ان يحبذ او يفتد . ولم نجد مثل هذا الامر عند الزبيدي ، تلميذ القالي وصديقه ، في كتابيه العذيمين : لحن العوام ، والاستدراك على سيبويه .

### (هـ) خصائص كتاب الامالي

يكتسب الكتاب ذخيرة لغوية هامة للمتأدب والدارس ، حتى حين يتدلّق الى الاخبار والموضوعات الادبية والخطب والتراجم والاشعار المختارة . ذلك انه ، في اغلب الاحيان ، يلجأ الى تفسير ما يحسن بصعوبته على القارىء او السامع ،

(١) الامالي ٢ : ١٨٢ .

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه ١ : ٤٨ - ٤٩ .

وهذه ظاهرة طبيعية بالنسبة لمن هو في وضع القالي المدرس . والقالي يفسر غريب النصوص ، سواء أكانت نصوصا دينية أو أدبية أو لونية أو اخبارية أو غير ذلك .

وإذا كانت رواية من هذه الروايات تشتمل على بيت أو أكثر فقد يأتي القالي بباقي الأبيات . وقد يورد أبياتا أخرى من قصيدة أخرى للشاعر نفسه ، وقد يأتي بأبيات مشابهة لشاعر آخر ، وهكذا الى ان يحس انه وفي الموضوع حقه .

والقالي يحرص على الدقة ، لذلك فانه في كثير من الاحيان ، يعتمد الى ذكر وزن اللفظة ، كي يتمتع الالتباس . وقد وجدناه يفعل ذلك كثيرا في معجمه " البارع " . من امثلة ذلك في الامالي : " والمجذام : مفعال من جذم ، والجذم : القطع .. (١) " . ويدل القالي على حفظ كثير وسعة في الرواية الشفوية غير انه احيانا يسجل الأخذ عن الكتب مثل " قال ابو بكر في كتاب المتماهي في اللغة : هذا اعرابي أدخل قردا الى سوق الحيرة ليبيعه فنظرت اليه امرأة فقالت : مسخ .. " (٢) .

اما ذكره للعلماء فكثير كثرة بالغة ، وهو يعتمد على اللغويين اعتمادا كبيرا في رواياته . والرواية الواحدة ، في العادة تشتمل على/لغوى واحد .

### نظرة اجمالية في أثر القالي

ومهما يكن من شيء فليس من اليسير أن يحدد المرء أثر القالي في حياة اللغة بالاندلس ولكني هنا أحاول أن أجعل اهم المظاهر التي خلفها القالي في التيار اللغوي :

- 
- (١) الامالي ١ : ١٢ .  
(٢) المصدر نفسه ٢ : ٤٣ .

- (١) نشر في الاندلس كتبها كثيرة جعلها معه .
- (٢) قدّم للانديلسيين أصولاً معتمدة مقروءة على العلماء فأوجد بذلك أساس الدقة اللغوية .
- (٣) وضع كتباً هامة مثل البارع والنوادر والمقصود والمعدود كانت زادا للأجيال القادمة ، تدرسها أو تشرحها أو تكملها .
- (٤) أثر بشخصيته الفذة في خلق طبقة من التلامذة لا يرون اماماً عداً .
- (٥) أعطى للانديلسيين معايير من التقدير العلمي والذاتي بتواضعه وسهاحة خلقه فهو يروى - على سعة اطلاع - كتاب " الدلائل " ، وهو يشني على ابن القوطية فيحله هذا الشأن مركزاً هاماً في نفوس الانديلسيين .
- وخلاصة القول ان الاندلس عرفت في القالي " المعلم الأول " في اللغة ، وعلى منهاجه وأصوله بنت وجهتها اللغوية .

## تذييل على الفصل السابق

نستطيع ان نقسم النشاط اللغوي في القرن الرابع، اذا نحن نظرنا الى افواج الدارسين ، في ثلاث موجات كبيرة :

١ - موجة الدارسين الذين شهد نشاطهم الثلث الأول من القرن وكانوا تلامذة قاسم بن أصبغ والخشني وغيرهما من المعلمين في القرن السابق . ومنهم من امتد به العمر حتى لحق بالموجة الثانية ، وشارك في شيء من نشاطها ، الا ان الموجة الثانية طغت عليهم وجعلتهم في الظل .

٢ - موجة الاساتذة الاعلام واهرزهم القالي ( - ٣٥٦ / ٩٦٢ ) وابن القوطية ( - ٣٦٢ / ٩٧٨ ) والزبيدي ( - ٣٧٩ / ٩٨٩ ) وهذه هي الموجة الكبرى التي تمخض عنها التأليف الواسع والتدريس الدقيق . ويمتد نشاطهم على وجه التقريب بين ٣٣٠ - ٣٨٠ / ٩٤٢ - ٩٩١ ، وفي اعقاب حركتهم جاء صاعد البغدادي فمدّ بعض الشيء في عمر هذه الموجة ، ولكن جهودهم وجهود تلامذتهم اختلطت بنشاط الموجة التالية .

٣ - موجة الطلاب الذين درسوا على هؤلاء الاعلام ، وعلى غيرهم من معلمي اللغة، وماكوا بنشاطهم بقية القرن الرابع . ومنهم من تداخل نشاطه مع الموجة السابقة ، ومنهم من شهد أوائل الخامس ، هؤلاء ، او كثير منهم ، يمثلون حلقة الوصل بين هذا العصر والعصر التالي . وهم يقعون بين قعتين كبيرتين وليس من الحق ان نغفل الدور الذي تلموا به في الدراسات اللغوية ، او على الاقل في عملية النقل من جيل الى جيل . وليس في الامكان تمييزهم بحسب اتجاهات خاصة او بحسب الاساتذة الذين

درسوا عليهم بحيث نقول على وجه القطع : هذا تلميذ القالي وذاك تلميذ الزبيدي ، الا في حالات قليلة لان كثيرا منهم درسوا على غير واحد من أولئك الأساتذة . والواقع انني لا أستطيع ان احصر تلامذة هؤلاء العلماء لكثرة الآخذين عنهم سواء أكانوا من طلاب اللغة او طلاب العلوم الاخرى . وقد عدّ ابن خیر تسعة عشر عالما رزوا كتاب النوادر وحده عن ابي علي (١) . فاذا تذكرنا ان ابا علي قضى ستا وعشرين سنة في التدريس ، وتذكرنا كيف طال العمر بابن القوطية حتى روى عنه أجيال متلاحقون ، والمدة التي قضاها الزبيدي في التدريس ، أدركنا ان الاستقصاء مهما بلغ فلن يأتي الا على أسماء قليلة . وانما أخص بالذكر في هذا المجال أولئك الذين كان لهم نصيب في النشاط اللغوي اما تأليفا او تدريسا . وبعض هؤلاء الذين اذكرهم قد نوهت بما لهم من مؤلفات فيما تقدم . فهم اذن مجموعة تكمل جانبها من الصورة اللغوية في هذا القرن ، واغفالهم يبقي هذه الصورة ناقصة . وهذا ثبت بأسمائهم مرتبا بحسب سني وفياتهم حيث يمكن ذلك .

١ - محمد بن أبان بن سيد اللخمي القرطبي (٢) (٣٥٤ / ٩٦٥) : ويبدو انه اخو أحمد بن أبان الآتي ذكره ، غير أن هذا يكنى أبا عبد الله وذاك يكنى أبا القاسم . وكلاهما تولى الشرطة وكان مقدما عند الحكم المستنصر ، وكلاهما كان عالما في العربية وتلمذ على القالي . فلما أخذ محمد عن أستاذه كتاب الاجناس لغلام الاصمعي (أبي نصر أحمد بن هاشم) والقلب والابدال ليعقوب ابن السكيت والفرق لطابت بن أبي ثابت وكتاب الخيل لأبي عبيدة والنقائض بين جوير والنزردق واختيارات المفضل والاصمعي وأراجيز المعراج ورؤية (٣) .

- 
- (١) فهرسة ابن خیر : ٣٢٤ - ٣٢٥ .  
 (٢) تاريخ ابن الفرضي : ٦٩ .  
 (٣) فهرسة ابن خیر : ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٩٠ ، ٣٩٢ .

٢ - محمد بن الحسين الفهرى<sup>(١)</sup> (٣٥٥ / ٩٦٥) : روى عن القالي ولازمه وتقدم في حفظ الآداب والعلم باللغات ، وعنه أخذ ابن الانليلى ، ولكنه قضى أكثر نشاطه في الورقة لاستاذ القالي ، واليه والى زميله محمد بن معمر الجباني يعود الفضل في تهذيب ما لم يهذبه ابو علي من كتاب البارع - حسبما تقدمت الإشارة ، وسماه الحميدى غلام القالي وقال : " لازم أبا علي اسماعيل بن القاسم حتى نسب اليه لحول ملازمته له وانتقاه به " .<sup>(٢)</sup> ووضح من تأريخ وفاته أنه توفي قبل أستاذه .

٣ - محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن القرشي القوطي المعروف بالمصنوع<sup>(٣)</sup> (٣٧٣ / ٩٨٣) تلميذ القالي ومن ثقات أصحابه وكان الغالب عليه علم اللغة ولم يكن له في غيرها من العلوم حظ . وصف بالضبط وحسن النقل .

٤ - عبد الله بن أصبغ القوطي المعروف بابن الصفّاح<sup>(٤)</sup> (٣٧٣ / ٩٨٣) : ~~سمع~~ من قاسم بن أصبغ وروى عن القالي كثيرا من كتب اللغة وكان ضابطا حسن النقل معدودا في ثقات أصحاب القالي .

٥ - خلف بن سليمان بن عمرو (عمرون في فهرسة ابن خير) البزاز<sup>(٥)</sup> (٣٧٨ / ٩٨٨) : صنهاجي الاصل من استجة ، وسكن قرطبة كان نحويًا لغويًا كتب عن القالي وغيره . ومن الكتب التي درسها على القالي كتاب الزاهر لابن الانباري ونوادر ابن الاعرابي ونوادر القالي والامثال للاصمعي وكتب أبي زيد الانصاري<sup>(٦)</sup> .

(١) التكملة : ٣٧١ ، جذوة المقتبس : ٣٧٤ .

(٢) جذوة المقتبس : ٣٧٤ .

(٣) تأريخ ابن الفري : ٢ : ٨٧ .

(٤) المصدر نفسه ١ : ٢٧٧ .

(٥) المصدر نفسه ١ : ١٦٣ .

(٦) فهرسة ابن خير : ٣٤١ ، ٣٧٣ ، ٣٢٥ ، ٣٤٠ ، ٣٧١ .

- ٦ - محمد بن سعيد بن أبي عتبة القشيري النحوي القرطبي<sup>(١)</sup> (١٨٩ / ٣٧٩) :  
كان عالما بصنوف من العلوم كثير الكتب صحيح الضبط حسن النقل ، وقد حدث عن  
القالي والرياحي ، أستاذيه ، بحكايات وأخبار ونوادر .
- ٧ - أحمد بن إسمان بن سيّد<sup>(٢)</sup> (١٩٢ / ٣٨٢) : قد مرّ ذكره وذكر مؤلفاته ،  
وقد اتخذه - فيما تقدم - مثالا على الثقافة اللغوية المتخصصة ، وسردت ما  
درسه على القالي من كتب . وهو يعدّ من أكثر تلامذة القالي تأثيرا في الجيل  
التالي من دارسي اللغة ، ومن أشهر من أخذوا عنه الافليبي .
- ٨ - محمد بن عاصم النحوي القرطبي المعروف بالخاصي<sup>(٣)</sup> (١٩٢ / ٣٨٢) :  
نحوي مشهور امام في العربية ، أثنى عليه ابن حزم وقال انه لا يقصر عن أكابر أصحاب  
محمد بن يزيد المبرد ، وكان من كبار الادياب وعلمائهم . روى عن القالي وعن الرياحي ،  
وهو أستاذ ابن الافليبي .
- ٩ - عبيد الله بن فنج الطودالقي القرطبي<sup>(٤)</sup> (١٩٦ / ٣٨٦) : روى عن القالي  
والرياحي وابن القوطية ونذرائهم وتحقق بالأدب واللغة . ومن مربياته عن القالي كتاب  
خلق الانسان لثابت والاشعار الستة الجاهلية ، وشعر الحطيئة وغيرها<sup>(٥)</sup> . وقد ذكرت  
له فيما تقدم كتاب "اختلاف لغات العرب" .
- ١٠ - عبد الله بن شعيب بن أبي شعيب الاشونبي<sup>(٦)</sup> (١٩٩ / ٣٨٩) : سماع

- 
- (١) الصلاة : ٤٥٢ .  
(٢) الصلاة : ١٤ ، وجذوة المقتبس : ١١٠ ، ٣٨١ ، وانباء الرواة ١ : ٣٠ .  
(٣) الصلاة : ٤٥٣ ، وجذوة المقتبس : ٧٤ .  
(٤) الصلاة : ٢٨٩ ، وانباء الرواة ٢ : ١٥٣ .  
(٥) فهرسة ابن خير : ٣٦٤ ، ٣٨٩ ، ٣٩٢ .  
(٦) تاريخ ابن الغرضي ١ : ٢٨٧ .



من القالي وابن القوطية ، وكان شيخا أديبا له بصر باللغة والعريضة .

١١ - حسين بن وليد بن نصر القرطبي <sup>(١)</sup> ( - ٣٩٠ / ١٠٠٠ ) ، كان نحويًا

عالما بالعريضة متقدما فيها وهو من درس على ابن القوطية بقرطبة وله رحلة الى المشرق ، وبعد عودته أدب ابنه المنصور بن أبي عامر . وكان ابن الأفلح من تلامذته الأخذين عنه .

١٢ - محمد بن عطاء الله النحوي القرطبي <sup>(٢)</sup> ( - ٣٩٤ / ١٠٠٤ ) : غلب عليه

النحو ، وهو أحد تلامذة الزهيدى المقربين اليه حتى انه استأذنه لبيته .

١٣ - محمد بن خطاب الأزدي القرطبي النحوي <sup>(٣)</sup> ( - قبل ٤٠٠ / ١٠١٠ ) ، روى

عن القالي وابن القوطية والرياحي وعني بالعريضة وتقدم في صناعتها ، وكان يدرس عليه أولاد الأكابر وخاصة بني حدير .

١٤ - عبد الملك بن طريف القرطبي مولى الهبيديين <sup>(٤)</sup> ( - نحو ٤٠٠ / ١٠١٠ ) ،

أخذ عن ابن القوطية وألف في الانفال كتابا لقي قبولا حسنا بين الدارسين ، وقال الحميدى نقلا عن ابن حزم انه زاد في كتاب الانفال لابن القوطية زيادات استفيدت منه وأخذت عنه .

١٥ - أحمد بن محمد بن ربيع الأصبحي القرطبي <sup>(٥)</sup> ( - ٣٩٩ / ١٠٠٩ ) ، روى

عن أبي علي البغدادى ، وعني باللغة والآداب والأخبار .

(١) تاريخ ابن الفري ١ : ١٣٥ .

(٢) الصلاة : ٤٥٥ .

(٣) جذوة المقتبس : ٥٠ ، والتكملة : ٣٧٧ .

(٤) الصلاة : ٣٤٠ ، وانباء الرواة ٢ : ٢٠٨ ، وانظر فهرسة ابن خير : ٣٥٦ .

وجذوة المقتبس : ٣٨١ .

(٥) الصلاة : ٢١ .

- ١٦ - محمد بن أحمد بن عبيد الله الأموي القرطبي المعروف بابن العطار (١) :  
 (١٠٠٩ / ٣٩٩) : أحد تلامذة ابن القوطية . له رحلة حج فيها ، كان  
 يجمع الى معرفته باللغة تبحرا في الفقه والفرائض والحساب ومعرفة بعقد الشروط  
 لا يجاوزه في ذلك أحد من أهل عصره . وجمع فيها كتابا حسنا درسه للناس بالمسجد  
 الجامع بالزاهرة في أيام المنصور .
- ١٧ - محمد بن أحمد العقيلي القرطبي (٢) (١٠١٠ / ٤٠٠) : روى عن القاضي  
 وكان مقدما في علم العربية وقد اشتغل بتدريسها .
- ١٨ - سعيد بن عثمان البهرى اللغوى القرطبي المعروف بابن القزاز (٣) (١٠١٠ / ٤٠٠)  
 : تتلمذ على اساتذة كثيرين منهم ابو علي القاضي . كان حافظا للغة  
 والعربية ضابطا لكتبه متقنا في نقله ، وهو الذى ذكرت من قبل رده على صاعد  
 في كتاب النصوص ، وذكر أنه أكثر التحامل عليه فيه (٤) . ويعد ابن القزاز من أجل  
 أصحاب القاضي ، وهو أحد ثلاثة صحت اللغة بالاندلس عن طريقهم بعد ابي علي ،  
 أما الاثنان الاخران فهما الزبيدي وابن أبي الحباب .
- ١٩ - أحمد بن عبد العزيز بن أبي الحباب النحوى القرطبي (٥) (١٠١٠ / ٤٠٠) ،  
 روى عن القاضي ولزمه وكان أثرا لديه وكان من جلة شيوخ الادب عالما باللغة والاخبار  
 حافظا ضابطا لها ، صحيح الرواية ، شديد الحفظ للغة والتفنن في علومها وكانت فيه  
 غفلة شديدة . وهو مؤدب المذاكر بن المنصور . روى عن القاضي كتاب اصلاح المنطق
- 
- (١) الصلاة : ٤٥٩ .  
 (٢) المصدر نفسه : ٤٦٠ .  
 (٣) المصدر نفسه : ٢٠٤ ، وانباء الرواة ٢ : ٤٤ - ٤٧ .  
 (٤) انباء الرواة ٢ : ٤٧ .  
 (٥) الصلاة : ٢٥٠ ، وجيزة القتب ١١١

لابن السكيت وأدب الكتاب ونصح ثعلب والامثال لأبي عبيد وكتاب فعلت وأنفعلت للزجاج والمثلث لقطرب وخلق الانسان لثابت والملاحن لابن دويد ونوادر ابن الاعرابي<sup>(١)</sup> وغير ذلك كثير .

٢٠ - ابن سيد<sup>\*</sup> والد اللخوى المشهور واسمه اسماعيل<sup>(٢)</sup> ، (بعد ٤٠٠ / ١٠١٠) لقي الزبيدي وأخذ عنه مختصر العين وكان من النحاة الاذكياء .

٢١ - سعيد بن محمد المعافى القرطبي المعروف بابن الحداد<sup>(٣)</sup> ( بعد ٤٠٠ / ١٠١٠ ) : أخذ عن ابن القويمة . وقد ذكرته فيما تقدم حين تحدثت عن مسنده لكتاب الأفعال من تأليف استاذة .

٢٢ - هارون بن موسى بن صالح بن جندل القيسي القرطبي<sup>(٤)</sup> ( - ٤٠١ / ١٠١١ ) : نحوى روى عن القالي وكان من الطلبة الذين تلقوا عنه كتاب النوادر بجامعة الزهراء . وقد حكى كيف ذهب مرة الى الدرس في فصل الربيع فأخذته سحابة وابتلت ثيابه ودخل جامع الزهراء على أبي علي وحملته أعانم أهل قرطبة فأدناه القالي منه وقال له : مهلا أبا نصر لا تأسف على ما عرض لك ، ثم حكى القالي حكاية عن نفسه يسليه بها ويصور مبلغ ما كان يتأسسه أيام الطلب . قال ابن جندل : " وسألني بما حكاه ، وهان عندي ما عرض لي من تلك الثياب واستكثرت من الاختلاف اليه ولم افارقه حتى مات رحمه الله " . وروى أيضا عن الرباعي كتاب النقائض لابن ولاد وكتابي صفحة

(١) فهرسة ابن خير : ٣٣٠ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٤٠ ، ٣٥٢ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ،

٣٦٦ ، ٣٧٢ .

(٢) الملحة : ١٠٥ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٠٩ .

(٤) المصدر نفسه : ٦٢٠ - ٦٢١ .

الكتاب والاشتقاق لابن الفحاح<sup>(١)</sup> وكتاب الاخبار للمازني وكتاب أبي الحسن الاخفش في النحو<sup>(٢)</sup> ، وألف كتباً في تفسير عمون مسائل سيويه .

٢٣ - عبد الله بن حسين بن ابراهيم ابن عاصم القرطبي المعروف بابن النربالي<sup>(٣)</sup> (٤٠٣ / ١٠١٣) : روى عن القالي كتاب النوادر ، وهو من ابناء البيوطات ، ولي الشرطة ، وله تأليف في الانواء ، واختصار للبيان والتبيين .

٢٤ - حبيب بن أحمد المعروف بالشطيجي<sup>(٤)</sup> (٤٠٤ / ١٠١٤) : روى عن القالي كتاب النوادر<sup>(٥)</sup> وعن ابن القوطية ، وروى كتاب الدلائل عن ثابت بن قاسم ، ودون شعر النزال الجباني على حروف المعجم ، وقد كان في الشتاين لما خج عن قرطبة عام ٤٠٤ / ١٠١٤ . وقال الحميدى توفي قريبا من الثلاثين وأربعمئة ( ١٠٣٩ م ) وهو مستبعد كما ترى من تحديد سنه .

٢٥ - سليمان بن خلف القرطبي المعروف بابن نفيل<sup>(٦)</sup> ( ٤٠٨ / ١٠١٧ ) : سمع على أبي علي كتاب النوادر من تأليفه وغير ذلك وأجاز له . وروى عنه أيضا مؤلفات أبي زهد الانصاري<sup>(٧)</sup> . ونوادر ابن الاعرابي .

٢٦ - عبد الله بن الربيع بن عبد الله التيمي ساكن قرطبة ( ٤١٥ / ١٠٢٤ ) ، سمع القالي وغيره وروى عنه ابن حزم .

- 
- (١) فهرسة ابن خير : ٣٨٦ .  
 (٢) المصدر نفسه : ٣١٣ ، ٣١٤ .  
 (٣) التكملة : ٧٩١ .  
 (٤) المصدر نفسه : ١٥٢ وجذوة المقتبس : ١٨٦ .  
 (٥) فهرسة ابن خير : ٣٢٥ .  
 (٦) المصدر نفسه : ١٩٤ - ١٩٥ .  
 (٧) فهرسة ابن خير : ٣٧١ ، ٣٧٣ .

٢٧ - حسان بن مالك بن أبي عبيدة (١) (- ٤١٦ / ١٠٢٥) : روى عن الزبيدي

والتقاز وكان من جلة الأدباء العلماء معدودا من أئمة اللغة وهو الذي كتب  
للمصور كتابا في الأسماء سماه " ربيعة وعقيل " . قرأ على الزبيدي كتاب فعلت  
وأفعلت للزجاج وكتاب أبينة سيويه للزبيدي نفسه .

٢٨ - معاذ بن عبد الله بن داهر البلدي (٢) (- ٤١٨ / ١٠٢٧) : تلميذ ابن

القوطية والرهاقي وكان بارعا في اللغة العربية والأدب .

٢٩ - محمد بن خزرج بن سلمة اللخمي الاشيلي (٣) (- ٤١٩ / ١٠٢٨) : صاحب أبنا

بكر الزبيدي واختر به ، وكان عمره يوم توفي إحدى وتسعين سنة وأشهرها .

٣٠ - عبادة بن ماء السماء الشاعر (٤) (- ٤١٩ / ١٠٢٨ أو ٤٢١ / ١٠٣٠) ،

غلب عليه الأدب والشعر ، وألف كتابا في أخبار شعراء الاندلس ، وهو من تلامذة  
الزبيدي . روى عن الزبيدي كتابه لحن العامة ، والواضح في النحو ، ومختصر العين ،  
والمستدرك من الزيادة في كتاب البارع ، ورسالة التقويظ . ومن كتب القالي روى  
كتاب البارع في اللغة وكتاب الأهل ونتائجها ، وحلي الإنسان والخيال وشيائهما ،  
ومقاتل الفرسان ، وتفسير القوائد والمخلوقات . وقرأ أيضا المغفليات والاصمعيات  
ومقصورة ابن دريد والاضداد لشعرب (٥) .

٣١ - يوسف بن ورمر بن خيران السكوني البجليوسي (٦) (- ٤٢٤ / ١٠٣٣) : تلميذ

(١) الصلة : ١٥٣ وجذوة المقتبس : ١٨٣ .

(٢) المصدر نفسه : ٥٩١ .

(٣) المصدر نفسه : ٤٨٤ .

(٤) جذوة المقتبس : ٢٧٤ ، الذخيرة ٢/١ ، ١٢ - ١ ، الصلة : ٤٢٦ ،

نوات الوفيات ١ : ٤٢٥ .

(٥) انظر صفحات متفرقة من فهرسة ابن خير .

(٦) الصلة : ٦٣٩ .

على الزبيدي وابن أبي الحباب وابن القزاز في قرطبة وكان عالما بالعربية ، ولما  
توفي كان قد قارب الثمانين .

وهناك تلامذة لم تذكر المصادر سنوات وفاتهم ومنهم :

٣٢ - محمد بن ابراهيم بن معاوية القرشي (١) : صاحب ابا علي القالي وأخذ عنه  
واكثر العازمة له ، وورق له تصانيفه .

٣٣ - عبد الله بن حمود الزبيدي (٢) : صاحب القالي وكان شديد العازمة له ، ثم  
هاجر الى المشرق وصحب ابا علي الفارسي . ومن خبره مع ابي علي أن ابا علي غلب  
يسوما الى الصلاة في المسجد فقام اليه عبد الله بن حمود هذا من مذود - ~~يكنى~~  
وكان لدابة ابي علي خارج داره - وكان عبد الله قد بات فيه ليديج اليه قبل  
الطلبية ، طلبا للمسبق والأخذ من علمه ، فارتاع ابو علي وقال له : ويحك ممن  
تكون ؟ قال انا عبد الله الاندلسي ، فقال : الى كم تتبعني ، والله ان على  
وجه الارض انحنى منك . ولم يرجع الزبيدي هذا الى وطنه ومات مغتربا . ويقال  
انه توفي ببغداد سنة ٣٧٢ / ٩٨٢ .

٣٤ - يوسف بن فضالة الأديب ابو الحجاج (٣) ، من أشهر أصحاب ابي علي  
والآخذين عنه ، درس عليه كتاب اصلاح المنطق لابن السكيت (٤) وفعلت وأنفعلت

(١) انباء الرواة ٣ : ٦٣ .

(٢) التكملة : ٧٨٣ ، انباء الرواة ٢ : ١١٨ ، الذيل والتكملة ٤ : ٢٢٠ ،  
بغية الوعاة : ٢٨٢ .

(٣) الصلوة : ٦٣٩ .

(٤) فهرسة ابن خير : ٣٣٠ .

للقالي (١) وأفعل من كذا له (٢) وكتب الأخبار التي جلبها (٣).

وبلاحظ ان اكثر هؤلاء الذين ذكرتهم ينتمون الى قرطبة فهي مركز النشاط العلمي في ذلك العصر . وقد أغفلت ذكر فئتين في هذه القائمة :

١ - فئة من اللغويين الذين امتد بهم طلق العمر ، وكانت لهم جهود واضحة تجاوزت مطلع القرن التالي ، مثل ابن التياني وابن الافليلي وغيرهما من تلامذة هؤلاء العلماء الاعلام .

٢ - فئة من اللغويين عاصرت هؤلاء الذين ذكرتهم ولكن أثرهم كان ضعيفا في تخريج الطلبة او في الاتصال بهذه الحركة العلمية نفسها التي تزعمها القالي والزبيدي وابن القوطية .

(١) فهرسة ابن خير : ٣٥٢ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٥٣ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٩٨ - ٣٩٩ .

## الكتاب الثالث

الحركة اللغوية بالاندلس

في القرن الخامس الهجري



## الفصل الرابع

### العوامل المؤثرة في توجيه الحركة اللغوية

#### في القرن الخامس

#### ١ - صورة موجزة للأحوال السياسية في هذا العصر :

قد أشرت في فصل سابق الى ما بلغتة الدولة الاموية العامية من مجد سياسي وعمران داخلي ، ولكن هذا كله بدأ بالانتقاض بعد وفاة المنصور اذ تولّى ابنه عبد الملك المظفر الحجابة (٣٩٢ - ٣٩٦/١٠٠٢ - ١٠٠٦) وسارت الأحوال بقوة الاستمرار سيرا مقبولا . غير ان ولد المظفر المسمى عبد الرحمن شنجول لم يقنع بأن تكون كل السلطة في يده بينما الخليفة هشام المؤيد ابن الحكم المستنصر لا حول له ولا قوة ، بل فوض على المؤيد ان يكتب عهدا بالتنازل له من الخلافة (١) . ولم يكن الأمويون ليرضوا بهذا الذي حدث فثار محمد بن هشام بن عبد الجبار قرطبة ، وتلقب بالمهدى ، واشاع ان هشاما المؤيد قد مات واتخذ له جندا من العامة وأطراف الناس ، وقرهم وآثرهم على العبيد العامية وعلى الطوائف اليهودية (٢) . عندئذ انشق الأمويون على انفسهم وثار فتيق آخر على المهدي بقيادة سليمان الذي تلقب بالمستعين . وكان اكثر الذين الثفوا حول سليمان هم البربر متحالفين مع شانجة بن غرسية الذي أمدهم بجيش عظيم من النصارى فحاصر الجيشان المتحالفان قرطبة ، وكانت مناوشات ومعارك انتصر فيها سليمان المستعين بعد ان خرب هو وجيوشه قرطبة ، وفرّ ابن عبد الجبار ثم عاد بجيش جديد يحاول

(١) راجع هذا العهد في البيان المغرب ١ : ٤٣ - ٤٦ .

(٢) المصدر نفسه ١ : ٥١ .

استعادة المدينة . ذلك هو ما يسمى في التاريخ باسم الفتنة البربرية ( ٣٩٩ - ٤٠٢ / ١٠٠٦ - ١٠١٢ ) . وظل الأمر في قرطبة لسليمان حتى أخذها منه بنو حمود سنة ٤٠٦ . كل هذا كان يحدث حول قرطبة بينما كان أمراء العامين يهرمون منها ويحتل كل منهم بلدا ويعلن استقلاله فيها . فاستولى مجاهد العامري على دانية والجزائر ، واستولى مبارك ومظفر العامين على مدينتي بلنسية وشاطبة ، واستولى خيران الصقلي العامري على مدينة المرية ، وكون زهير الفتى العامري دولة امتدت الى شاطبة وبياسة وما وراءها من أعمال طليطلة (١) .

وظهر جليما بعد اخفاق المحاولات المتكررة لارجاع الخلافة الأموية ان الفتنة البربرية قد قضت على وحدة الاندلس كما قضت على عمران قرطبة (٢) . وانتزى

(١) راجع اعمال الاعلام .

(٢) اتصلت لمصلحة العمارة بقرطبة في ايام بني أمية ثمانية فراسخ طولاً ، وفي عرضها فرسخين ( ٢٤ ميلاً X ٦ ) كل ذلك ديار وقصور وساتين ومساجد وقصوريات وخانات وأسواق وحمامات بطول ضفة الوادي المسمى بالوادي الكبير . وكان لقرطبة واحد وعشرون ربضاً ٠٠٠ وبلغ عدد دورها في أيام المنصور ١١٣٠٢٢ داراً ، ومن المساجد ١٣٨٢٠ مسجداً ومن الحمامات ٣٩١١ حماماً ، ومن الفنادق والخانات ١٦٠٠ لسكنى التجار والمسافرين والعزّاب والغرباء وغيرهم ، ومن الحوانيت ٨٠٤٥٢ حانوتاً . فخرّب أكثر ذلك العمران في الفتنة . ( راجع ذكر بلاد الاندلس الورقة ٢٤ - ٢٨ ، مخطوطة الرباط رقم ٨٥ ج لمؤلف مجهول ) . ويقول الهكري : " عقب الفتنة التي كانت على رأس اربعمئة من الهجرة واستمرت الى وقتنا هذا وهو سنة ستين واربعمئة من الهجرة عفت آثار هذه القرى وغيّرت رسوم ذلك العمران ، فصار أكثرها خلاء يندب ساكنيه ، وبابها يغص بمصريه وكذلك حكم الله في كل جديد ان يبليه ، وفي كل أهل ان يخليه " ( المسالك والممالك ، مخطوطة الرباط ٤٨٨ ق . الورقة ٢٢٠ ) . وانظر حديث ابن حبان في الذخيرة عا أصاب قرطبة في هذه الفتنة ، فقد كان شاهد عيان لما يجري يومئذ ( ١١١ : ٢ / ١ - ١١٢ ) .

في كل منطقة رجل قوى أعلن استقلاله ، وهذا هو ما يسمى في تاريخ الاندلس بعصر ملوك الطوائف . ففي قرطبة بنو جهور ،<sup>(١)</sup> وفي اشبيلية بنو عباد<sup>(٢)</sup> ، وفي بطليوس بنو الافطس<sup>(٣)</sup> ، وفي طليطلة بنو ذي النون<sup>(٤)</sup> ، وفي سرقسطة بنو هود<sup>(٥)</sup> .

(١) مؤسس هذه الدولة هو الوزير ابو الحزم بن جهور . وقد تولى الأمر بعد فرار هشام بن محمد ، الملقب بالمعتد بالله ، سنة ٤٢٢ / ١٠٣١ . وكانت حكومته تبسط سلطانها على جيان وابدة وبهاسة والمسدور وأرجونة واندوجعر . وعرفت حكومة ابن جهور في صف التاريخ الاسامي " بحكومة الجماعة " . وتوفي ابن جهور ٤٣٥ / ١٠٤٤ ، وسقطت المدينة بأيدي بني عباد عام ٤٦٢ / ١٠٧٠ . ( دول الطوائف ، عنان : ٢٠ - ٣٠ ) .

(٢) مؤسس هذه الدولة قاضي اشبيلية ابو القاسم بن عباد عام ٤١٤ / ١٠٢٣ . ثم تولى الأمر من بعده ابنه عباد بن محمد المعتضد بالله ، سنة ٤٣٣ / ١٠٤٢ ، فاستولى على لبلبة وامارة ولبة وجزيرة شلطيشر وامارة شنتصية وباجة واركش ومورور وزندة وقرمونة . ومات المعتضد سنة ٤٦١ / ١٠٦٩ ، فتولى الأمر من بعده ابنه المعتد الذي استولى على قرطبة سنة ٤٦٣ / ١٠٧١ . وفي عهده سقطت الدولة العبادية على يد يوسف بن تاشفين سنة ٤٨٤ / ١٠٩١ . ( دول الطوائف : ٣١ - ٧٩ ) .

(٣) حكم بنو الافطس بطليوس نيفا وسبعين عاما ، وكان اول الملوك عهد الله بن محمد الملقب بالمنصور الذي استولى على الامر سنة ٤١٣ / ١٠٢٢ ، وآخرهم عمر بن محمد المتوكل ، وفي عهده سقطت بطليوس بأيدي المرابطين سنة ٤٨٨ / ١٠٩٤ . ( دول الطوائف : ٨٠ - ٩٢ ) .

(٤) مؤسس هذه الدولة اسماعيل بن ذي النون الظافر ( ٤٢٧ - ٤٣٥ / ١٠٣٦ - ١٠٤٣ ) ، وقد سقطت الدولة على يد النونسو السادس سنة ٤٧٨ / ١٠٧٥ ، وذلك في عهد يحيى بن اسماعيل بن يحيى القادر . ( دول الطوائف : ٩٣ - ١١٦ ) .

(٥) مؤسس هذه الدولة المنذر بن يحيى التجيبي ٤٠٨ - ٤١٤ / ١٠١٧ - ١٠٢٣ . وقد احتلها المرابطون سنة ٥٠٣ / ١١١٠ في عهد عبد الملك بن احمد عباد الدولة . ( دول الطوائف : ٢٥٤ - ٢٨٥ ) .

وفي غرناطة بنو زيرى الصنهاجيين<sup>(١)</sup>، وفي اركش بنو خزون<sup>(٢)</sup>، وفي البونت بنو قاسم<sup>(٣)</sup>، وفي شلطيش وولبة البكريون<sup>(٤)</sup>. ويطول الامر لو أردت تعداد كل تلك الدول، وانها ذكرت هنا أشهرها . وتتمايز هذه الدول فيما بينها قوة وضعفاً، وضيقاً واتساعاً، ولكنها تشترك معاً في مظاهر محددة . فكل دولة تتفق على جيش تعدد لمواجهة الخطر من الدولة المجاورة، وبذلك تثقل الرعدة بما تفرضه من ضرائب، وكل دولة تدفع الضريبة السنوية لألفونس السادس (الافونش) لأنه اقوى من كل دولة منها على حدة وهي من جراء التنافس فيما بينها لا تفكر في مواجهته مجتمعة . ولذلك نستطيع ان نتهين في هذا العصر ثلاث مراحل، المرحلة الاولى : مرحلة المحاولات المتكررة لانقاذ الاندلس باعادة الخلافة الاموية . وقد انتهت هذه المرحلة حوالي ٤٢١ / ١٠٣٠ . المرحلة الثانية : مرحلة البناء الداخلي في كل دولة على حدة، وبخاصة الدول الكبيرة مثل دولة بني عباد وبني الافطس وبني هود وبني جمهور الخ .

---

(١) مؤسس هذه الدولة زاوى بن زيرى (٤٠٣ - ٤١٠ / ١٠١٣ - ١٠١٦) . واستولى عليها المرابطون سنة ٤٨٣ / ١٠٩٠ في عهد عبد الله بن بلقين . ( دول الطوائف : ١١٨ - ١٤٤ ) .

(٢) مؤسس هذه الدولة محمد بن خزون عباد الدولة ( ٤٠٢ - ٤٢٠ / ١٠١١ - ١٠٢٩ )، وقد استولى بنو عباد عليها سنة ٤٦١ / ١٠٦٨ في عهد محمد ابن محمد بن خزون القائم . ( دول الطوائف : ١٥٠ - ١٥٣ ) .

(٣) مؤسس هذه الدولة عبد الله بن قاسم ( ٤٠٠ - ٤٣١ / ١٠٠٩ - ١٠٣٩ ) . وقد استولى عليها المرابطون سنة ٤٩٥ / ١١٠٢ في عهد عبد الله بن محمد جناح الدولة . ( دول الطوائف : ٢٤٩ - ٢٥١ ) .

(٤) مؤسس هذه الدولة عبد العزيز البكري عز الدولة ( ٤١٧ - ٤٣٣ / ١٠٢٦ - ١٠٤١ ) وقد استولى عليها المعتضد بن عباد . ( دول الطوائف : ٤٠ - ٤١ ) .

وقد انتهت هذه المرحلة عندما سقطت طليطلة مركز بني ذي النون في يد الازفونش عام ٤٧٨ / ١٠٨٥ . المرحلة الثالثة : مرحلة الخطر وانتقاض الامر في الاندلس . فان سقوط طليطلة كان يعني ان الازفونش لن تقف به اطماعه عند هذا الحد ، لأن طليطلة هي مفتاح الاندلس من الشمال . وجرّ سقوطها الى استدعاء الصحراويين (او المرابطين او الملثمين) بقيادة يوسف بن تاشفين فكانت معركة الزلاقة (٤٧٩ / ١٠٨٦) كاجحة لاطماع الشماليين . ولكن ما لبث يوسف نفسه ان طمع في الاستيلاء على الاندلس لرغبة الرعية فيه ، وخاصة الفقهاء ، ولما رأى من شقاق وتناهد بين أمراء الطوائف ، فاستولى على تلك الدول واحدة واحدة ، ما عدا ناحيتين : دولة بني هود ، فقد ابقاها حدا فاصلا بينه وبين قوى الشمال ، وبلنسية التي استولى عليها السيد الكبيطور (٤٨٥ / ١٠٩٢) وامتدت دولته فيها حتى سنة ٤٩٥ / ١١٠٢ . (١)

تلك صورة موجزة اشدّ الاجاز لأنه ليس من هي ان ادرس الناحية السياسية الا بمقدار ما تلقي ضوءا على طبيعة الحياة اللغوية . واذا عدت الى تصور العلاقة بين هذه الأوضاع والنشاط العلمي عامة خرجت بالنتائج الآتية :

١- قضت الفتنة البربرية على كثير من العلماء بالموت او بالهجرة من الاندلس الى خارجها ، او بمغادرة قرطبة الى مدن أندلسية اكثر اطمئنانا (٢).

٢- اصبحت حياة العالم او الاديب في هذا العصر ، من ناحيتها المعاشية ،

(١) راجع : أعمال الامام ، تحقيق بروفنسال ، ٢٤١ - ٢٤٨ ، وراجع أيضا : الاستقصا ٢٠ : ٣٠ - ٦٠ .

(٢) راجع أثر الفتنة البربرية في الحياة الأدبية في كتاب تاريخ الادب الاندلسي (عصر سيادة قرطبة) : ١٧٣ - ١٨٩ .

قائمة في الاكثر على التجوال المستمر والاحتفاء بهلاطات الأمراء .

٣- لم تمتد فترة الاستقرار في هذا العصر طويلا بحيث تسمح للفرد أن يشمر بالأمن وان يصدر انتاجه في ظله . ولذلك نستطيع ان ننصف العلماء الاندلسيين انصافا حقيقيا اذا تصوّرنا أنهم أقبلوا على هذا القدر من التأليف في وقت تعمّ الفوضى ويشد فيه اليأس من العمل الايجابي .

٤- كانت الصبغة الأدبية أغلب على هذا العصر من سواها ، لحاجة كل أمير الى بطانة من الشعراء تشيد بمناقبه وتتحل له مناقب أخرى ليست فيه . ومهما يقل عن التنافس بين أمراء الطوائف في تشجيع العلوم فانه ليس من الخطأ القول بان ما أثاره تشجيع الحكم وحده للكتب التي ألقت في مختلف الموضوعات يفوق ما أثاره أمراء الطوائف مجتمعين (١).

## ٢- العوامل الجديدة التي أثرت في الحركة اللغوية :

على أي حال كان لهذا العصر خصائصه الفارقة من الناحية السياسية التي بعثت بدورها فروقا في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية . ومن ثم وجدت عوامل محلية أثّرت في توجيه الحركة اللغوية في هذا العصر وجهتها التي سارت فيها ، بالإضافة الى ما كان هنالك من عوامل تقليدية من رحلة المي الى المشرق ، وهجرة للمشاركة والكتب المشرقية الى الاندلس ، وحلقات للتدريس والمناظرة ، وتشجيع على التأليف .

أ- وأول هذه العوامل الجديدة ذلك الخصب اللغوي الذي أوجده القالي وتلاميذه . وكان لا بد ان يؤتي ثمراته على حسب قانون التطور الطبيعي في هذا

(١) تاريخ الادب الاندلسي ، عصر الطوائف والمرايطين : ٧٧ .

العصر الذى اتحدث عنه . فما كما لنرى رسوم الدقة اللغوية ، والاتجاه الى شرح الامهات من كتب اللغة ، واعتماد الأصول ، واتساع مجال الثقافة اللغوية ، لولا تلك الحركة التي أثارها القالي بشخصيته ، وتعليمه ، والكتب التي هاجس بها ، والتلامذة الذين تخرجوا على يديه . ولكن هذا العامل تشكل أثره أيضا بقوة العوامل الأخرى .

ب - وثاني تلك العوامل تعدد المراكز الثقافية على أصول الانقسام السياسي ، بحيث أصبحت كل عاصمة دولة من دول الدوائف مركزا من مراكز الأدب والعلم . وقد كنا نشير في العصر السابق أكثر ما نشير الى قرطبة التي كانت كالمقطب المغناطيسي في اجتذابها للعلماء من مدن الاندلس وغير الاندلس ، اما في هذا العصر فلعل قرطبة لم تكن كبرى المراكز العلمية بل أصبح ينافسها كثير من المدن . واتصل هذا العامل بطبيعة امراء الدوائف انفسهم ، فقد كان الأمير هو الراعي الأول للحركة الثقافية ، وكان لون هذه الحركة يسير حسب ميول ذلك الأمير . فكان الميل الأدبي اغلب على بلاط اشبيلية وكان الميل العلمي اغلب على بلاط بني زى النون بطليطة . وبني همد بسرقطة . وكانت الباهة بجمع أكبر عدد من العلماء المشهورين في مختلف العلوم ، من فقه وحديث ولغة ، ميزة لبلاط العامريين في دانية . ومن الصعب ان نأخذ هذا القول مأخذا حاسما ان ليس معنى غلبة الميل الخاص انعدام ظروف النشاط الأخرى ، ولكني ما نمت اتحدث عن ناحية التشجيع الذي يبذله الأمير فلا بد أن الملح صعوبة في استبانة موضع العالم اللغوى من هذا التشجيع نفسه . ويزيد الأمر صعوبة ذلك القلق السياسي الذى كانت تعيش فيه الجماعة الاندلسية وهو يؤثر بدوره على <sup>الفرد</sup> مصادره معيشته . ولذلك لم يكن الشاعر وحده هو الذى يطلب رزقه بالتقل بين بلاطات الأمراء ، بل وجد كذلك العالم اللغوى الذى يطلب رزقه

معلما او عضوا في حاشية الأمير بالتقل من بلد الى بلد . واحيانا تكون النقطة استدعاء من قبل الأمراء أنفسهم اعتمادا على شهرة ذلك العالم وتنافس بينهم فسي الاستئثار بالمشهورين من الأدباء والعلماء . ولنا في تقل البكرى وابن العيد وابن التياني وابن سيده وغيرهم أمثلة على التحرك المستمر في الالتحاق بأمر أو آخر . وما نزال نرى الأمراء ينهجون منهج الحكم المستنصر في اقتراح الموضوع الذي يؤلف فيه العالم اللغوى ووضع حدود لمنهج التأليف . فالأعلم يقول في مقدمة كتابه الذي شرح به ابيات كتاب سيويه : " هذا كتاب أمر بتلخيصه وتهذيبه وتخليصه المعتمد بالله المنصور بفضل الله ، ابو عمرو عباد بن محمد بن عباد ، أدال الله بقاءه ، وأدام عزه وعاله ، غاية منه بالأدب ميلا اليه ، وتهمما بعلم لسان العرب وحرصا عليه ، أمر ، أدام الله عزه وأعز سلطانه ونصره ، باستخراج شواهد كتاب سيويه ابي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، رحمة الله عليه ، وتخليصها منه وجمعها في كتاب يخصها ويفصلها عنه ، مع تلخيص معانيها وتقريب مراميها . . . فانتهيت الى أمره العلي ، وسلكت فيه منهاج مذهبه الرفيع السني ، وأمليته على ما حرر " (١) وقد نرى العالم يحظر كتابه باسم أمير تقربا اليه ، كما فعل ابو عبيد البكرى حين كتب " التبيه على اوهم أبي علي في أماليه " فانه أهداه للمعتمد بن عباد . ويمثل تمام بن غالب التياني أنموذجا ثالثا هو انموذج العالم الذي لا يستبج لنفسه تجاوز الحقيقة ، ولا يهمه ان يزن كتابه باسم عظيم من العظماء . فقد سأل ابو الجيش مجاهد العامري ان يكتب في صدر كتابه " انه مما الفه لأبي الجيش ، وبعث اليه الف دينار اندلسية ، فرد الدينير ، وأبى من ذلك ، وقال : " والله لو بذلت لي الدنيا على ذلك ما فعلت ولا استجزت الكذب ، فاني لم أجمع له خاصة

(١) كتاب سيويه ١ : ٣ - ٥ .



ولكن لكل طالب عامة " (١). ولم تشتهر هذه الحكاية الدالة على النزاهة والتعفف وعلو الهمة الا لأن امثالها كانت قليلة، ولأنه كان من حسن حظ العالم ان يجد أميراً يرعاه فيزِن كتبه باسمه .

فتقل العلماء ظاعمة تغارق ما ألفناه في العصر السابق من استقرار العالم في بلد ، وارتحال الطلبة للأخذ عنه ، وغالباً ما يكون هذا البلد هو قرطبة . أما في هذا العصر فقد أصبح كثير من معلمي اللغة متقلين ، واستغنى الطالب ، الى حد ما ، عن الارتحال الدائب من أجل الطلب . وفي تضاعف هذا التقل نلمح شيئاً من الاستقرار النسبي ، نستطيع من خلاله ان نقرن بكل بلد علماء اشتهروا فيه على وجه التقريب . فكانت قرطبة مركزاً لحقتين كبيرتين من حلقات العلم اللغوي ، حلقة ابن الافليكي ، وحلقة ابن سراج . وانضاف اليهما ابن السِّد الذي لم يكن لينادر قرطبة لولا خوفه على حياته من بعض وزرائها . فلما حل في بلنسية اصبحت له مقاماً دائماً وعاش فيها حتى ادرك العصر التالي . وفي اشبيلية وجد اثنان من كبار علماء اللغة هما ابو الحجاج الاعلم الشنتمرى ، وابو عبيد البكرى ، وعما أيضاً مهاجران الى اشبيلية وليسا من أهلها أصلاً ، وقد اطمأن الثاني منهما الى المقام في اشبيلية في ظل المعتمد بن عباد وظل فيهما الى ان توفي عام ٤٨٢ / ١٠٩٤ . وأما الاعلم فانه بعد ان طلب العلم في قرطبة سكن اشبيلية ، وظل فيها أيضاً حتى توفي عام ٤٧٦ / ٨٨٣ . وكذلك استقر في اشبيلية ابن دحيم أستاذاً للغة والنحو (٢). ونستطيع ان نقرن ابن التهامي بمرسية ، الا انه استدي الى المرسية ليدرس فيها بعض ابناء الوزراء (٣). وفي ظل بسني

(١) فهرسة ابن خير : ٣٦٠ ، جذوة المقتبس : ١٧٢ .

(٢) الصلصة : ٢١٩ .

(٣) فهرسة ابن خير : ٣٦٠ .

صالح بالعمية أيضا ، عاش محمد بن معمر اللغوي المعروف بأبن أخت غانم منتقلا اليها من مالقة . وهو شاح كتاب النبات لابي حنيفة في مجلدات عديدة (١) . وفي ظل مجاهد العامري وابنه اقبال الدولة قضى ابن سيده أكثر ايامه ، ووجد في دانية بيئة صالحة تمكنه من التفرغ للعلم والتأليف . فقد استطاع مجاهد بميليه الى العلم والتجميع للعلماء ان يجمع حوله نخبة من العاملين في الميادين العلمية ، لا في ميدان اللغة فحسب . فقد قصد صاعد الاندلسي نفسه قبل ان يرتحل عن الاندلس الى صقلية (٢) ، وعاش في بلاطه ابن عبد البر النمرى احد كبار فقهاء المالكية في عصره (٣) . وقصد ملكه ابن حزم الاندلسي . وفي ميورقة ، وهي جزيرة تحت حكمه ، نشأت المناظرة بين ابن حزم وابي الوليد الباجي (٤) . أما من اللغويين عدا صاعد وابن سيده فقد قصد ثابت الجرجاني ، فأكرم وفادته الى مدينة دانية ، وفيها شرح ثابت كتاب الجمل للزجاجي . وإلى ثابت ارتحل ابو تمام النحوى من بلدة قطين بميورقة ، وسكن دانية ، ودرس عليه (٥) . وفي طليطلة استقر سعيد بن عيسى بن الاضرع يعلم اللغة وهو مؤلف شرح كتاب الجمل (٦) . كما كان أبو الوليد الوقشي يدرس فيها اللغة الى جانب تدريسه للهندسة والعدد وعلوم الأوائل . ومن معلمي اللغة الذين استقروا في طليطلة ابراهيم بن لسب بن ادريس التجيبي وأصله من قلعة أيوب ، سكن طليطلة وأدب بالعربية في سقينة الجامع بتلك المدينة مدة من الزمن ثم ذكر لأبي الوليد الوقشي أن ابراهيم حوِّص على تعلم الهندسة فقال له : خذ فيه ، فقرأ

(١) انظر ترجمة ابن أخت غانم في المغرب ١ : ٤٣٣ ، ونخبة الوعاة ١ : ١٠٦ .

(٢) وفيات الأعيان ٢ : ١٨١ .

(٣) الملحة ٦٤٢ .

(٤) التكملة ٣٩١ ، وانظر نفح الطيب ٢ : ٢٨٢ .

(٥) الملحة ٤٤٩ .

(٦) المصدر نفسه ٢١٨ .

كان من أثر الفتنة البربرية أن بيع ما كان بمكتبة الحكم من كتب ومخطوطات بأوكس الأغان<sup>(٢)</sup> فانتشرت تلك الكتب في مدن الأندلس المختلفة ، وزاد إقبال الناس على القراءة بعد أن كانت فائدة هذه الكتب مقصورة على قرطبة أو على العلماء والدارسين المقربين من الحكم . وقد حكى ابن سعيد أنه رأى كتباً منها في طليطلة<sup>(٣)</sup> ، أي بعد ما يقرب من قرنين ونصف من خراب هذه المكتبة . وقضت الفتنة أيضاً ببيع تلك المكتبة الكبيرة التي كانت تنافس مكتبة الحكم في ما احتوته من أصول أعني مكتبة القاضي عبد الرحمن بن فطيس . ودام إخراج الكتب وبيعها منها مدة عام كامل . وأخذ ورثة ابن فطيس ثمنها لما باعوه أربعين ألف دينار تاسمية<sup>(٤)</sup> . واندفع كثير من المثقنين إلى اقتناء الكتب وإنشاء مكتبات خاصة بهم في المدن الأندلسية . فكان من أصحاب المكتبات في قرطبة محمد بن يحيى الخانقي المعروف بابن الموصّل (- ٤٣٣ / ١٠٤٢) . قال فيه ابن الأبار " كان جماعاً لدفاتر العلم من لدن صباه منتقياً لكرامها بعملاً بخيارها عارفاً بخطوطها يحتكم إليه في ذلك ، مؤثراً لها على كل لذة ، حتى اجتمع منها عنده ما لم يجتمع مثله لأحد بالأندلس بعد الحكم الخليفة . وكان عنده إصلاح المنطق بخط أبي علي القاسمي ،

(٤) الملحة : ٢٦٦ .

والنوب المصنف اصل ابي علي ، ونوادير ابن الاعرابي بخط ابي موسى الحامض ، وتاريخ ابي جعفر الطبري بصلة الفرغاني بخط ابن ملول الوشقي . بيع هذا كله في تركته وأغلي فيها حتى لقومت الورقة في بعضها بريح مثقال<sup>(١)</sup>. ومن هؤلاء القرطبيين جعفر بن محمد بن مكّي القيسي اللخوي تلميذ ابي مروان عبد الملك بن سراج ، فقد جمع عددا كبيرا من الكتب<sup>(٢)</sup>. كذلك أسس الامير هشام حفيد عبد الرحمن الثالث مكتبة عظيمة اشتراها الخليفة سليمان المستعين من بعده<sup>(٣)</sup>. واهتم مسلمة بن سعيد الانصاري بجمع الكتب في رحلته ، وكان كلما اجتمع له منها مقدار صالح نهض به الى مصر ، فأدخل الاندلس ثمانية عشر حملا من الكتب في كل فن من فنون العلم<sup>(٤)</sup>. وهناك أمثلة أخرى كثيرة عن القرطبيين الذين كونوا مكتبات خاصة ذكر منها ويبرا أمثلة في مقالته ، وأشار الى كثرة عدد النساخ ، وصيرورة الورقة حرفة معتمدة .

اما في اشيلية فلعل اكبر اثنين من جماعي الكتب هما : الفقيه ابن حزم ، والعالم ابو عبيد البكري ، وسأحدث عند الكلام على ابي عبيد عن مدى اهتمامه بالكتب وحرصه عليها .

ولم تكن مدينة المروية تقل عن قوتها في الاهتمام بجمع الكتب وأشهر من نال صيتا في هذه الناحية وزير الفتى زهير العامري أعني أبا احمد جعفر بن عباس ، فقد عرف هذا الرجل بانه بذل اهل زمانه في اربعة اشياء : المال والعجب والبخل والمهارة في الكتابة . وزعموا انه لم يجتمع عند أحد من نظرائه

(١) التكملة : ٣٨٢ .

(٢) الصلابة : ١٢٩ .

(٣) مقالة ويبرا : ٧٦ .

(٤) المصدر نفسه

من المال والكتب والآنية والاثاث ما اجتمع عنده (١). وقد اجتمع في مكتبته ما يربو على اربعمائة الف مجلد عدا الاوراق والكراسات التي ملأت قصوه (٢). وقال لسان الدين : كان جامعاً للدواوين العلمية معتياً بها مغالياً لها نفاعاً بها من خصه لا يستخرج منها شيئاً لفرط بخله بها الا لسبيلها حتى لقد أثر كثيراً من الوراقين والتجار معه فيها وجمع منها ما لم يكن عند ملك (٣).

وفي بطليموس عرف المظفر بن الانطس صاحبها باقتناء مكتبة عظيمة ، اعتد عليها هذا الامير في تأليف كتابه " المظفر " في خمسين مجلداً ، تناول فيها الأدب والتاريخ (٤).

وليس حظ طليطلة بأقل من حظ غيرها في العناية بالكتب فقد كان اصحابها بنو ذى النون من الحوطين على جمعها يقول ربيعاً : " دفعهم حبهم للكتب الى الاستيلاء عنوة على مكاتب خاصة فنههوا مكتبة العروشي حيث أتيح للناس ان يشهدوا أمراً عجيباً عندما شبت النار في حي الفرائين ولم يهتم احد بأن ينقذ منها سوى حجلات ابن ميمون ، جماع الكتب ، حيث كان يحفظ مكتبته التي اشتهرت باحتوائها على الكتب الصحيحة " (٥). وهذه أمثلة فحسب ، ومن تتبع الأخبار عن جمع الكتب في مدن أندلسية أخرى وجدها متناثرة في كتب التراجم .

وكما كبرت هذه الصورة عن انشاء المكتبات الخاصة زادت في تصورنا للجو الثقافي في المدن الاندلسية ، اذ ان الاندلس لم تعرف المكتبات العامة الا

(١) انظر . الذخيرة ٢/١ : ١٥١ وما بعدها .

(٢) مقالة ربيعاً : ٨٠ .

(٣) الاحاطة ١ : ١٢٩ .

(٤) انظر البيان المغرب ٣ : ٢٢٦ ، ويقول ابن سعيد في المغرب ١ : ٣٦٤ : " انه كان في نحو مائة مجلد " .

(٥) مقالة ربيعاً ٤ : ٨٢ .

مجموعات يسيرة من الكتب التي كانت توقف على المساجد ليفيد منها الطلبة فسي دراستهم<sup>(١)</sup>. وفي هذا الجو الثقافي كان للغة والكتب اللغوية مقامها الذي لا ينكروا خاصة لاهتمام الاندلسيين باللغة وعلومها اهتماما يفوق ما كانوا يولونه من عناية لغير ذلك من العلوم<sup>(٢)</sup>.

د - التسامح النسبي الذي ظهر في عصر ملوك الدلائف بالنسبة لدراسة العلوم القديمة . وقد يكون من المستغرب ان نجعل هذا العامل واحدا من العوامل الفعالة في الحركة اللغوية . ولكن الاستقرار يدلنا على أنه أثر بطريقة غير مباشرة فسي الحركة اللغوية عندئذ . ونستطيع ان نتصور هذا التسامح من قول القاضي صاعد عند حديثه عن خراب مكتبة الحكم : " وانتشرت تلك الكتب بأقطار الاندلس . ووجد في خلالها أعلاق من العلوم القديمة كانت أفلتت من أيدي المتحنيين بحركة الحكم أيام المنصور بن أبي عامر ، وأظهر أيضا كل من كان عنده من الرعة شيئا منها ما كان لديه منها فلم تزل الرغبة ترتفع من حينئذ في طلب العلم القديم شيئا فشيئا " <sup>(٣)</sup>. كما نستطيع ان نلمحها من أسماء تلك الاعلام التي عملت في الحقل الفلسفي والعلمي في هذا العصر . وآية هذا الذي اعتقده من أثر لانتشار هذه العلوم في الحركة اللغوية أن أبرز العاملين في حقل اللغة في هذا العصر كانوا من المشتغلين بالفلسفة والمنطق . فقد كان ابن سيدة ، اكبر عقلية اندلسية عملت في فن المعاجم ، ممن عني بعلوم المنطق عناية طويلة . قال القاضي صاعد : " وألف فيها تأليفا كبيرا مبسوطا ذهب فيه الى مذهب متى بن يونس ، وهو بعد هذا أعلم

(١) مقالة ريبيرا : ٧٧ .  
 (٢) انظر هذه الرسالة ، المقدمة :  
 (٣) طبقات الامم : ٦٧ .

أهل الاندلس فاطبة بالنحو واللغة والاشعار ، وأحفظهم لذلك حتى انه يستظهر كثيرا من المصنفات فيها ، كفريب المصنف ، واصلاح المنطق السخ . . . " (١) . ويتحدث ابن سيده في معرض الفخر بما يحسنه من العلوم فيقول : " وذلك اني اجد علم اللغة اقل بضائعي وايسر ضائعي اذا انفتحه الى ما انا به من علم حقيق النحو وحوشي العروض وخفي القافية وتصوير الاشكال المنطقية والنظر في سائر العلوم الجدلية التي يمنعني من الاخبار بها نبو طابع أهل الوقت ، وما هم عليه من رداءة الاوضاع والمقت " (٢) . وكان ابن السَّيِّد ذا ثقافة فلسفية الى جانب ثقافته اللغوية النحوية . وقد ألفت في هذا الباب كتابه " الحقائق في المطالب العالية الفلسفية " (٣) . وذكرت له المصادر أيضا كتاب " شرح الخمسة المقالات الفلسفية " (٤) . ولما تناول أدب الكتاب لابن قتيبة بالشرح لم يستطع ان يتصور كيف ان عالما لغويا يعيب على الاديب في عصره دراسة الفلسفة والمنطق فقال : " وقد روى ان الذي دعاء الى الطعن عليهم في كتابه هذا انه كان متبهما بالهيل الى مذاهبهم واعتقادهم ، فاراد ، رحمه الله ، ان ينفي الذلّة عن نفسه بثلبهم والطعن عليهم " (٥) . وكان ابو الوليد القشيري الطليطالي " من المتفنيين في العلوم المتوسعين في شروب المعارف من أهل الفكر الصحيح والنظر الناقد والتحقّق بصناعة الهندسة والمنطق " (٦) . وكانت لسعيد بن الاصفر أحد علماء اللغة مشاركة في المنطق (٧) . اما ابن حزم فانه وان لم تصلنا تصنيفاته الوافرة

(١) طبقات الامم : ٧٧ .

(٢) المحكم ١ : ١٦ .

(٣) طبع بمصر عام ١٩٤٦ .

(٤) انظر بروكلمان (ط ليون) ، الملحق ١ : ٧٥٨ ، والمخطوط موجود في فهرست بريل . ٤٦٤ .

(٥) الاقتضاب : ١٨ .

(٦) طبقات الامم : ٧٤ .

(٧) الصلوة : ٢١٨ .

التي أشار إليها صاعد في " علم النحو واللغة " فإن ما تآثر في كتبه من آراء نافذة في اللغة يجعله ، فيما أرى ، من علمائها المقدمين . وقد كان ابن حزم من اشد الناس اهتماما بالمنطق في عصره ، متحملا في ذلك اتهام الفقهاء له بقراءة كتب تؤدي الى الالحاد . وقد ألف في المنطق كتابه " التقوي لحد المنطق والمدخل اليه " واراد ان يبسطه لغة وأمثالا كي يقره من الدارسين ، وبذلك يمنع في أيديهم ميزانا صحيحا للفهم والبرهان . ولا ننسأها الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني فانه كان عالما في اللغة مشتغلا بعلم الاوائل وخاصة المنطق ، وكانت تجرى بينه وبين ابن حزم مناظرات في بعض الموضوعات الفلسفية وعليه أطلق ابن حزم صفة " الملحد " (٢) ولا تحدثنا المصادر بشيء من ثقافة ابن الافليكي المنطقية الفلسفية ، ولكنها تقول ان ابن الافليكي لحقته تهمة في دينه مع آخوين من الأطباء . وسأبين عند الحديث عن هذا العالم اللغوي ان هذه التهمة في الدين ربما لم تكن شيئا سوى اتهامه بدراسة المنطق والفلسفة . كذلك لا تحدثنا المصادر بشيء عن تحصيل الهكسرى لثقافة فلسفية ، ولكنها ان وسعنا مدلول هذا المصطلح قليلا وجدنا البكرى عالما يدرس المصادر القديمة فيعتمد على بطليموس في المجسطي والجغرافيا ويستمد أخبارا من كتاب هروشيوش (اوروسيوس) (٣).

فنحن اذن ازاء ظاهرة لافتة للنظر هي هذا الترابط بين الثقافة العلمية

(١) طبقات الاسم : ٧٧ ، " ولأبي محمد بن حزم بعدد تصنيف وافر في علم النحو واللغة " .

(٢) الفصل ١ : ١٧ .

(٣) مقالة الدكتور مؤنس الجغرافيا والجغرافيون في الاندلس ، العدد ٨٧ من صحيفة معهد الدراسات : ٣٢٦ ، ٣٣١ .



والفلسفية ، وبين الاتجاه اللغوي (١) . وليس من اليسير ان نتبين مدى التأثير المتبادل بين هذين الاتجاهين ، ولكن من المسلم به ان الدراسة المنطقية والعلمية قد منحت الاتجاه اللغوي دقة وشمولا وحيات الجو للبحث النظري في اللغة . ولكن عوامل جديدة حالت أولا دون الامعان في هذا اللون من الدراسات ، وحالت أيضا دون التوفر على النظرية اللغوية . فلم يكن للأندلس في هذا المجال الا التعاطات جزئية . وقد أشار صاعد الى هذه العوامل مجتمعة تحت مفهوم القلق السياسي الذي كانت تتعرض له الأندلس فقال : " الى ان زهد الملوك في هذه العلوم وغيرها ، لكن (٢) اشتغال الخواطر بما دهم الثغور . . . قلل طلاب العلم وصيرهم أفرادا بالأندلس " (٣) . وكان صاعد معناه تعرض ملوك الطوائف للاخطار الخارجية ثم انشغالهم عن تشجيع العلم والأدب بمحاولة رد العدوان داخليا كان او خارجيا ، ثم عدم اطمئنان العلماء واضطرابهم الى الجاء المستمر ، وكل ذلك لا ينطبق على العلوم العقلية فحسب ، بل يصيب انواع الدراسات جميعها التي تردهر في ظل الاستقرار والأمن .

### ٣ - الظاهرة النظرية في حياة اللغة :

ولهذا اكتفى الأندلسيون بما يسد الحاجة العملية في دراسة اللغة ، ولم يلتفتوا كثيرا الى المحاكمات النظرية الا ما كان من بعض الآراء .

(١) لم يكن هذا وقتا في الأندلس على المشتغلين بالعربية بل كان بعض العلماء اليهود كذلك ومنهم مروان بن جناح بمرسطة وكان من أهل العناية بصناعة المنطق مع التوسع في علم لساني العرب واليهود (طبقات الامم : ٨١) واسحاق بن قسطنطين (١٠٥٦/٤٤٨) الذي خدم مجاهد العامري وابنه اقبال الدولة فكان بصيرا بالمنطق متقما في علم اللغة العبرانية (المصدر نفسه) والعلة بين النحو والمنطق في المشرق أمر لا يحتاج الى برهان .

(٢) لعل الأصوب أن نقرا " فان " .

(٣) طبقات الامم : ٦٢ .

التي عرض لها ابن حزم في سياق حديثه في النواحي الشرعية والجدلية الدينية .  
وكان لمذهبه الظاهري وأصول المنطق أثرهما في كل ما جاء به من نظريات ، ذلك  
أن الظاهرية يعتمدون اعتقادا كبيرا على الدقة اللغوية في استخراج الاحكام كما ان  
اللغة لدى ابن حزم ذات منطق خاص لا بد من ادراكه تماما للوصول الى البرهان الصحيح .

### ١ - البحث في أصل اللغة ،

واول المشكلات التي تعرض لها هي مشكلة كيفية ظهور اللغات : أين توقيف  
أم عن الاصطلاح . وقد ذهب ابن حزم الى انها توقيف ، وأدلته على ذلك ان الكلام  
لو كان اصطلاحا لما جاز ان يصطلح عليه الا قوم قد كملت اذهانهم وتمت علومهم ،  
وليست هذه هي صفة الانسان في دوره الاول اذ يحتاج الى سنوات طويلة حتى يبلغ  
هذا المستوى . ولو ان الناس اصطالحوا على لغة لمضى عليهم وقت قبل ان يصطلحوا  
عليها ، فكيف كانوا يتفاهمون أثناء ذلك الوقت ؟ ثم لو انهم شاءوا أن يصطلحوا  
على لغة ، لكان هذا مستدعيا لغة يتفاهمون بها على وضع ذلك الاصطلاح . ولكن اللغة  
الاولى كانت توقيفية في رأى ابن حزم ثم اصطلح الناس بعد ذلك على اصطلاح لغات  
شتى من هذه اللغة . فما هي تلك اللغة الاصلية ؟ قال قوم : هي السريانية ،  
وقال آخرون : هي اليونانية ، وقال فريق ثالث : هي العبرانية ، وقال آخرون :  
هي العربية . ويوجح ابن حزم ان تكون السريانية اصلا للعبرانية والعربية ولكنه  
لا يقطع ان تكون هي اللغة التوقيفية الاولى .

ومن هذه المشكلة تطرق ابن حزم الى السؤال ، اى اللغات افضل ؟ فقال :  
ان كل قوم ذهبوا الى تفضيل لغتهم وعدا لا معنى له لان الله قد كلم كل انسان  
بلغتهم ، فليس هناك تفاضل بين لغة وأخرى (١) .

(١) فيما يتعلق بأراء ابن حزم هذه انظر ، الاحكام ١ : ٢٦ - ٣٥ .

## بـ - مشكلة الاشتقاق :

وتصدى ابن حزم ايضا لمشكلة الاشتقاق ، وانما دعاه الى التصدي الى هذه المشكلة انه رأى بعض اللغويين يتحدث عن اشتقاق اسماء الله تعالى مثل ابي جعفر النحاس الذى ألف كتابها في ذلك ، ووجد بعضهم يتمحل في تبيان دلالات اللفظ فيقول ان الجن مأخوذ من الاجتنان اى الستر ، ويقول الزجاجي : العشقة نبت يخضر ثم يصفر ثم يسهج ، ومنه سمي العاشق عاشقا . وهذا الموقف أدى بابن حزم الى ان يقول : " ان الاشتقاق كله باطل ، حاشا اسماء الفاعلين من أفعالهم فقط واسماء الموصوفين المأخوذة من صفاتهم الجسمية والنفسانية ، وهذا ايضا لا ندرى هل اخذت الاسماء من الصفات او اخذت الصفات من الاسماء ، الا اننا نوقن ان احدهما اخذ من صاحبه ، مثل ضارب من الضرب ، ومثل آكل من الاكل ، ومثل ابيض من البياض ، وغضبان من الغضب ، وما اشبه ذلك . واما سائر الاسماء الواقعة على الاجناس والانواع كلها ، فلا اشتقاق لها أصلا ، وليس بعضها قبل بعض بل كلها معا . وقد كنت أجرى في هذا مع شيخنا ابي عتبة حسان بن مالك ، رحمه الله ، وكان اذكر من لقينا للغة ، مع شدة عنايته بها وثقته وتحريمه في نقلها ، فكان يقول لي : قد قال بهذا الذى تذهب اليه كبير من اهل اللغة قديم ، وسماه لي ، وشككت الآن في اسمه لبعد العهد ، واظن انه نفطوسه " (١) .

## جـ - بطلان العلل النحوية :

ولعل أجراً الآراء التي جاء بها ابن حزم لإبطال العلل النحوية . فقد قال في كتاب " التقريب " : " واما علم النحو فالى مقدمات محفوظة عن العرب الذين

(١) الاحكام ٤ : ١٣ ، ٨ : ٩٣ .

تزيد معرفة تفهمهم للمعاني بلغتهم ، واما العلل فيه ففاسدة جدا<sup>(١)</sup> . فقلوبه  
بفساد العلل لمحة تقضي على اكثر أجزاء النحو ، ولكنه لم يفسر كيف يمكن ان يكون  
هناك نحو دون تلك العلل . وما كان ابن حزم في هذا الا متأثرا بموقفه الظاهري  
من أهل القياس وابطاله لأحكام العليمة جميعها في الشرائع<sup>(٢)</sup> . اما الحلة على  
العلل النحوية والقياس فسوف تغدو موضوع ابن مضاء في كتابه " الرد على النحويين "  
لكن ابن مضاء يمثل مصرا آخر غير هذا الذي اتحدث عنه<sup>(٣)</sup> .

#### د - الحلة بين اللغة والشريعة :

واهتم ابن حزم ، خضوعا لمذهبه الظاهري ، بتحديد معاني الالفاظ ،  
وخاصة الالفاظ التي تدور بين اهل النظر كالفاظ الحد والرسم والعلم والاعتقاد  
والبرهان والدليل والاتساع والصدق والحق والقياس والحلة وما الى ذلك ، لأن هذه  
الالفاظ تدور في المناظرة ، وعدم التوضيح في تحديدها يورط المتناظرين في اللجاج .  
وخضوعا لمذهبه ايضا ، رأى ان الالفاظ انما تحمل على العموم ، وناقش  
التأويلين بان الالفاظ لا تحمل الا على الخصوص ، اى حملها على بعض ما يقتضيه  
الاسم في اللغة دون بعض ، الا اذا قام الدليل على انها مخصوصة<sup>(٤)</sup> . فاذا  
قرأنا قوله تعالى " فكاتبهم انا علمتم فيهم خيرا " (النور : ٣٣) وجدنا ان لفظة  
الخير في اللغة تنفع على الصالح في الدين وعلى المال ، فلا يجوز ان نخص بهذا

(١) التقريب : ٢٠٢ .

(٢) الاحكام ٨ : ٧٦ وما بعدها .

(٣) الرد على النحويين ، نشره الدكتور شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٤٧ .

(٤) قال : الواجب حمل كل لفظ على عموميه وكبل ما يقتضيه اسمه دون توقف ولا نظر  
لكن ان جاءنا دليل يوجب أن نخرج عن عموميه بعض ما يقتضيه لفظه صرنا اليه  
حينئذ . وهذا قول جميع أصحاب الظاهر . . . . . وهذا نأخذ وهو الذي لا يجوز  
غيره . ( الاحكام ٣ : ١٢ ) .

النص بعض ما يقع عليه دون بعض الآخر ، فلما قال تعالى " فيهم " ولم يقل " معهم " ولا قال تعالى " عندهم " علمنا انه اراد اهل الدين فقط ، فلذلك قلنا انه لا يجوز مكاتبة كافر لانه لا خير فيه البتة (١) .

فاذا نظرنا الى الكلام من زاوية العموم والخصوص وجدناه اقساماً ثلاثة

(أ) خصوص يراد به الخصوص مثل زيد وعمرو .

(ب) عموم يراد به العموم أى يحمل على كل ما يقتضيه لفظه كاسم الجنس مثل الخيل والبغال .

(ج) عموم دلّ نص القرآن والسنة على أنه قد استثنى منه شيء فكان ذلك المستثنى مخصوصاً من الحكم الوارد .

وزاد آخرون قسماً رابعاً وهو " خصوص يراد به العموم " وخطأهم ابن حزم وقال ان هذا غير موجود في اللغة (٢) .

وقد بين ابن حزم أيضاً وجوه نقل الأسماء عن مسمياتها التي وضعت لها أصلاً ، وقال ان ذلك يتم بأربعة أوجه :

١ - نقل الاسم عن بعض معناه الذى يقع عليه دون بعض وهذا هو العموم الذى استثنى منه شيء ما كقوله تعالى " الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم " (آل عمران : ١٧٣) . فلكمة "الناس" الثانية تدل على بعض الناس .

٢ - نقل الاسم عما وضع له في اللغة بالكلية وتعليقه على شيء آخر كلفظ

(١) الاحكام ٣ : ١٥٩ .

(٢) انظر الاحكام ٣ : ١٢٢ - ١٣١ .

" الصلاة " فقد نقل من معنى الدعاء وحده الى حركات محدودة من قيام وركوع وسجود الخ . . . وكذلك هي ألفاظ " الزكاة " و " الكفر " ومن هذا الباب الاستعارة والمجاز في الشعر والكلام عامة .

٣ - نقل خبر عن شي' ما الى شي' آخر اكتفاء بفهم المخاطب كقوله تعالى " واسأل القرية " (يوسف : ٨٢) والمراد : أهل القرية .

٤ - نقل لفظ عن كونه حقا موجبا لمعناه الى كونه باطلا محرفا وهو النسخ (١).

وقد تنبه ابن حزم الى ان التخليط في فهم هذه الوجوه هو أصل كل خطأ وقع في الشرائع وهو من أقوى اسباب الاختلاف بين الناس . ومعنى هذا أنه تقرر الأصول اللغوية التي أدت الى الخلاف في بناء الاحكام .

وتناول ابن السيد هذا الموضوع نفسه في رسالته : " الانصاف في التبيين على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم " (٢). ولكن ابن السيد لم يطلع فيما يبدو على ما كتبه ابن حزم ، اذ كان يتصور وهو يكتب رسالته أنه قد جاء بشي' " يشبه المخترع وان كان غير مخترع ، ينتمي الى الدين بأدنى سبب ويتعلق من اللسان العربي بأقوى سبب ويخبر من تأمل غرضه ومقصده بأن الطريقة الفقهية مفتقرة الى علم الأدب ، مؤسسة على أصول كلام العرب " (٣). وقد

(١) الاحكام ٣ : ١٣٥ - ١٣٦ .

(٢) ذكر اسم هذا الكتاب في صور مختلفة فهو التبيين على الأسباب الموجبة للخلاف بين المسلمين (كشف الظنون : ٤٨٨) والتبيين على الأسباب الموجبة لاختلاف الأمة (الصلة : ٢٨٢) والديباج المذهب : ١٤١ وشذرات الذهب ٤ : ٦٥ وانباء الرواة ٢ : ١٤٢) والتبيين على السبب الموجب لاختلاف العلماء (أزهار الرياض : ٣ : ١٠٧) وسبب اختلاف الفقهاء (بغية الوعاة : ٢٨٨) .

(٣) الانصاف : ٨ .

بحر ابن السيد الأسهاب الموجبة للخلاف في ثمانية أمور :

- (١) اشتراك الألفاظ والمعاني
- (٢) الحقيقة والمجاز
- (٣) الانفراد والتركيب
- (٤) الخصوص والعصم
- (٥) الرواية والنقل
- (٦) الاجتهاد فيما لا نص فيه
- (٧) النسخ والمنسوخ
- (٨) الإباحة والتوسيع

وبما أن أكثر هذه الأوجه يمكن ردّها إلى ما ذكره ابن حزم من قبل ، وبعضها من قبيل التوسع في مدلولات التركيب ، أو في عملية الاستدلال نفسها ، أو في الخطأ المترتب على جهل بالأعراب ، أو على التصحيف وما أشبه ، ولنمثل على بعض هذه الوجوه لتوضيح الموقف اللغوي الذي يتقنه المؤلف :

فمن أمثلة الخلاف العارض بسبب وقوع اللفظة على أكثر من معنى كلمة " القراء " وهي تعني الحيز كما تعني الطهر ، وكلمة " أعفوا " في قوله " وأعفوا اللحن " فهي تعني وفروا وكثروا كما تعني انقصوا وقصروا ، ولتعدد الدلالة فسي اللفظة الواحدة يكون الحكم المبني موضعاً للاختلاف بين الفقهاء . ومن أمثلة هذا في التركيب قول عليّ " أيها الناس ترمعونني أنني قتلت عثمان ! ألا وإن الله قتله وأنا معه " أراد أن الله قتله وسيقتلني معه ، وفهم قوم منها أنه شارك في قتله (١) .

ولست أريد أن أتبع أمثلة ابن السيد على كل وجه من الوجوه الثانية ،  
وانما اكتفي بهذا القدر لأدلّ على هذا الباب من الاتجاه اللغوي الذي فتحه ابن  
حزم وارتبطت فيه اللغة بالتشريع ارتباطا وثيقا .

#### ٤ - صلة اللغة بالواقع العملي :

فإذا تركنا هذه المناقشات النظرية في طبيعة اللغة والاشتقاق وما  
الى ذلك ، وجدنا مشكلات علمية جديدة تواجه وضع معلم اللغة في ميدان التعليم ،  
ووضع اللغة بين العلوم من ناحية ، وصلتها بالحياة العملية من ناحية أخرى .

١ - أما من حيث وضع معلم اللغة في ميدان التعليم فانا اذا تأملنا ما كان  
يتم في العصر السابق ، وجدنا ان معلم العربية ، مثل القالي وغيره ، كان يدرس  
الشعر والأدب ، ويعلق عليهما الى جانب تدريسه للغة والغريب . ولم يكن استمرار هذا  
الحال طبيعيا ، فان معلم اللغة قد يحسن الاطلاع بتفسير المعاني القريبة ولكنه ربما  
لم يحسن علمية النقد او الكشف عن النواحي البلاغية في النص الذي يدرسه . وهنا  
نشأت مشكلة جديدة ، هي : هل يحسن معلمو العربية تعليم البيان ؟ وتفرع عن هذه  
المشكلة مسألة أخرى ، هي : هل البيان شيء يمكن تعليمه ؟ وحمل لواء هذه المشكلة  
من الناحية الادبية ابن شهيد ، فهاجم جماعة النحويين ومعلمي اللغة هجوما عنيفا  
فقال : " وقوم من المعلمين بقرطبتنا ممن اتى على أجزاء من النحو ، وحفظ كلمات  
من اللغة ، يحنون على اكباد غليظة وقلوب كلوب البعران ، ويرجعون الى فطس  
حمئة ، وانهان صدئة لا منفذ لها في شعاع الرقة ، ولا مدب لها في انوار البيان ،  
سقطت اليهم كتب في البديع والنقد ، فهموا منها ما يفهمه القرد اليماني من الرقص  
على الايقاع ، والزمر على الالحان ... " (١) . وقد تكون هذه الظاهرة في اول



امرها وليدة الخصومة الشخصية بين ابن شهيد وابن الافليبي وغيره من معلمي اللغة ، ولكنها ، على اى حال ، اثار التساؤل حول العلاقة بين تعليم اللغة والنقد الادبي . وكان من شأن هذه الحركة ان تحدد للنقد وجهة مستقلة أجزها ابن شهيد بقوله " واصابة البيان لا يقوم بها حفظ كثير الخريب ، واستيفاء مسائل النحو ، بل بالطبع مع وزنه من هذين " . غير ان ابن شهيد امعن في اعطاء المشكلة طابعا " ذاتيا " واكثر من التهمك بطريقة المعلمين عامة ، وابن الافليبي خاصة .

وقد زادت هذه المشكلة وضوحا من وجهتها العملية عندما عين ابن الافليبي ، شيخ معلمي اللغة ، كاتبا لدى محمد بن عبد الرحمن المستكفي " فوقع كانه جانبيا من البلاغة لانه كان على طريقة المعلمين المتكلفين ، فلم يجر في اساليب الكتاب المطلوبين ، فزهد فيه " .

ب - وأما من حيث وضع اللغة بين العلوم فقد رأينا رأينا كيف ان العصر السابق عرف معنى التخصص الدقيق في ميدان اللغة . فلما حلّ القرن الخامس جدّت ظروف معاشية وغيرها استدعت اثاره هذا السؤال : ما هو القدر من اللغة الذى ينفع غير المتخصص ؟ وكان الباعث الأول على تحديد نطاق الدراسة اللغوية هو الاشفاق من ان تطفى على ما عداها من علوم ، وخاصة العلوم الدينية . وكان ابن حزم من أول المباديين للاجابهة على هذا السؤال . وبما أنه كان يعتقد أن العلوم جميعا ليست الا عناصر مساعدة في سبيل فهم الشريعة فاننا نراه يحدد القدر اللازم من اللغة والنحو لطلاب هذين العلمين بقوله : " واقل ما يجزى من النحو كتاب الواضح للزبيدي ، او مكح نحو كالموجز لابن السراج وما أشبه هذه الاوضاع الحقيقية . وأما التعمق في علم النحو ففضول لا منفعة بها بل هي مشغلة عن الأوكد ومقطعة دون الأوجب والأهم . . . فمن يزيد في هذا العلم الى احكام كتاب سيبويه فحسن ،

الا ان الاشتغال بنير هذا اولى وافضل لانه لا منفعة للتزيد على المقدار الذي ذكرنا  
الا لمن اراد ان يجعله معاشا ، فهذا وجه فاضل لانه باب من العلم على كل  
حال . والذي يجزى من علم اللغة كتابان : أحدهما الغريب المصنف لأبي عبيد،  
والثاني مختصر العين للزبيدي ، ليقف على المستعمل بها وليكون ما عدا المستعمل منهما  
عدة لحاجة ان عشت يوما ما في لفظ مستخلق فيما يقرأ من الكتب . فان اوغل  
في علوم اللغة ، حتى يحكم خلق الانسان لطابت ، والفرق له ، والمذكر والمؤنث  
لاهن الانبارى ، والممدود والمقصور والمهموز لابي علي القالي ، والنبات لابي حنيفة  
احمد بن داود الدينورى ، وما أشبه ذلك ، فحسن ، بخلاف ما قلنا في علل النحو ،  
لان اللغة كلها حقيقة وذات اوضاع صحاح ومعارف عن المعاني . ولو كانت اللغة اوسع  
حتى يكون لكل معنى في العالم اسم مختص ، لكان ابلغ للفهم وأجلى للشك وأقرب  
للبيان " (١) .

ونحو من هذا تحدث ابن السيد عما يحتاجه أصناف الكتاب من ثمانية  
نحوية ولغوية فقال : " يحتاج كل واحد منهم الى أن يتقهر في علم اللسان حتى  
يعلم الاعراب ويسلم من اللحن ويعرف المقصور والممدود والمقطوع والموصول والمذكر والمؤنث  
ويكون له بصر بالهجاء فان الخطأ في الهجاء كالخطأ في الكالم وليس على واحد منهم  
أن يعمق في معرفة النحو امعان المعلمين الذين اتخذوا هذا الشأن صناعة وصيروه  
بصناعة ولا امعان الفقهاء الذين ارادوا بالاغراق فهم كالم الله تعالى وكالم رسوله وكيف  
تستبسط الاحكام والحدود والعقائد بمقاييس كالم العرب ومجازاتها " (٢) . وبينما نجسد  
ابن السيد يسمي عمل الفقهاء امعانا ، نجد ابن حزم يدعو الى القصد ، والى حد  
ادنى من المعرفة اللغوية .

(١) وسائل ابن حزم : ٦٤ - ٦٥ .  
(٢) الاقتطاب : ٦٦ - ٦٧ .

ج - وأما من حيث صلة اللغة بالحياة العملية فإن الاشفاق من قلة التحصيل هو الذى نبه الى تفهم تلك العلاقة وقد كانت هناك شواهد واقعية من تشور الجهال على المعرفة وانتصابهم للقراء او التدريس وهم يجهلون ابسط الاصول التي لا بد منها لمثل من يعتنق مهنتهم . فقد روى لنا ابن حزم كيف ان احد القراء الثلاثة الذين كانوا يقرأون للعمامة بقرطبة لم يكن يحسن النحو ، وكان ذات يوم يقرأ احدهم : " وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد " ولم يخفى التلميذ في القراءة فرد عليه معلّمه قائلا : " تحيد " بالتثنية (١) . وروى أيضا كيف ان خطيبا قال يوم الجمعة : " لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم " (التوبة : ١٢٨) (٢) ولذا ألح على ان الفقيه لا بد ان يتعلم اللغة والنحو لكي يتمكن من فهم القرآن والحديث والفقه عامة . فقال : " نفرض على الفقيه ان يكون عالما بلسان العرب ليفهم عن الله عز وجل وعن النبي صلى الله عليه وسلم ، ويكون عالما بالنحو الذى هو ترتيب العرب لكلامهم الذى نزل به القرآن ، وبه يفهم معاني الكلام التي يعبر عنها باختلاف الحركات وبناء الالفاظ . فمن جهل اللغة وهي الالفاظ الواقعة على المسميات ، وجعل النحو ، الذى هو علم اختلاف الحركات الواقعة لاختلاف المعاني ، فلم يعرف اللسان الذى به خاطبنا الله تعالى ونبيننا عليه السام ، ومن لم يعرف ذلك اللسان ، لم يحل له الفتيا فيه ، لانه يفتي بما لا يدري " (٣) .

وما كان في امكان احد أن يكبح جماح تلك الموجة الطاغية من الخطأ والبعد باللغة عن صفاتها وشدة التحرر فيها بالدعوة الى النقاء الدقيق الذى دعا اليه

- 
- (١) الاحكام ٤ : ١٦٣ .  
 (٢) المصدر نفسه ٤ : ١٦٤ .  
 (٣) المصدر نفسه ٥ : ١٢٦ .

الزهدى من قبل في " لحن العوام " ، فمع الزمن أخذت تنفش الأخطاء في الكتابة ، حتى عند المدققين الذين يتحرون وجه العوالم ، وما ذلك<sup>١</sup> لأن العامية الاندلسية كانت تراحم الفصحى مزاحمة شديدة ، من حيث هي لغة محكية ، وتضطر الكاتب أو الاديب الى أن ينتحل وضعاً جديداً حين يكتب أو يؤلف ، وأن ينتقل من منزلة الى منزلة ، وحسبنا مثالا على ذلك أن نرجع الى تعقب الفقيه ابن العربي لأخطاء ابن السيد في شرحه على سقط الزند ، فنجده يقول : في بعض ردوده : " المعلم أن (الخائفان) جانباً الأرض من الهواء " فيتصدى ابن السيد له قائلا " رفعت الخائفين وهما منصوبان بأن ثم صححت عليهما فكان تصحيحك على اللحن أشد من اللحن " (١) . ويقول في موضع آخر : " وهو قول مقدم الاعراض أو مجاز لا يعدم (انتقاص) " فيرد ابن السيد بقوله : " وهذا كلام أول ما ننتقد فيه فساد الاعراب بترك نصب الانتقاص ووجهه الانتصاب " (٢) . وقد تقول ان هذا كله نوع من التعسف بين عالمين يحمل أحدهما على الآخر ، ومن طلب وجه التخرج وجده ، ولكن دلالة على هذه الظاهرة الخطيرة واضحة . ولو قد تتبعنا هذا النوع في مستعمل الكلام وضروب الترسل لوجدنا الجانب اللغوي فيه أمين من الجانب النحوي ، وان كانت قدرتنا فيه على الحكم أصعب لبعدها نحن اليوم عن تلك العلامة اللغوية التي كان يتشبه بها علماء اللغة المحافظون على نقائها .

وكان مما يزيد الموقف حدة منح اللغة العامية الاندلسية مكانة أدبية .  
صحيح ان هذه اللغة كانت موجودة - بقدر أو بآخر من البعد عن الاصول العربية الصحيحة مختلطة ببعض اللفاظ الاعجمية - ولكنها انما كانت تمثل نشاطا شعبيا

(١) الانتصار : ٧ .

(٢) المصدر نفسه : ٤١ .

لا يتعدى الشئون اليومية وبعض الاغاني الشعبية ، فيما أقدر ، أما في هذا القرن الخامس فانها اتخذت من الزجل نداء للشعر ، واعترف الاندلسيون بهذه الأجزاء واستمعوا اليها ولحنوها وأجازوا ناطقيا . في هذا القرن ظهر ابن نماره وابن راشد وغيرهما ممن يسميهم ابن قزمان - وارث طريقتهم وامام الزجل في عصره - باسم " المتقدمين " ويشي من بينهم على ابن نماره بقوله : " ولم أر أسلس طبعاً وأخصب رعباً ومن حجوا اليه وطفوا به سبعا أحق بالرياسة في ذلك والامارة من الشيخ أخطل بن نماره فانه نهج الطريق وطرق فأحسن التطريق ... " (١). أما ابن راشد فقد ذكره صفي الدين الحلي وسماه " يخلف " وقال : " وكان هو امام الزجل قبل أبي بكر بن قزمان وكان ينظم الزجل القوي من الكلام فلما ظهر ابن قزمان ونظم السهل الرقيق مال الناس اليه وصار هو الامام بعده ، ونظم ينكر عليه قوة النظم زجلاً مدلهه :

زجلك يا ابن راشد قوى متين      وان كان هو للقوة فالحمالين

يريد ان كان النظم بالقوة فالحمالين أولى به من أهل الأدب " (٢). اما تقدير الناس لهذه الاجزاء واعتناؤهم بها فقد أشار اليه ابن قزمان أيضاً في مقدمته وهو يتحدث عما عرفه في نشأة أواخر هذا القرن فقال : " ولقد كنت أرى الناس يلهمجون بالمتقدمين ويعظمون أولئك المتقدمين يحلونهم في السماك اعزل ويرون لهم المرتبة العليا والمقدار الأجزل " (٣) والحب الكبير لقدامى الزجاليين - في رأي ابن قزمان - هو تورطهم فسي " الاعراب " ، فكان الطريق باللغة أصبحت طريقين فامسا اعراب تام واما بعد عنه الى أقصى حد .

(١) مقدمة ديوان ابن قزمان ، وانظر أيضاً الزجل في الاندلس : ٥٣ .

(٢) العاقل الحالي : ١٦ .

(٣) مقدمة ديوان ابن قزمان ، وانظر الزجل في الاندلس : ٥٢ .

ولم تكن هذه المكانة الادبية التي بلنتها العامية قاصرة على المزججـل وحده ، بل ارتفعت درجة أخرى حين تدخلت في صميم بناء الموشح . وقد حدثنا ابن بسام أن الوشاح " يأخذ اللفظ العامي والمجـمـي ويسميه المركز ويضع عليه الموشحة " (١) ولا يعني " اللفظ " هنا استعمال لفظة واحدة بل استعمال قـل كامل أصبح يسمى " الخرجة " ، وهذا هو الذي جعل ابن سناء الملك يشترط حين تحدث - من بعد - عن أصول نظم الموشح : أن تكون الخرجة عامية حادة ظريفة (٢) ، وقد كان الاندلسيون يؤثرون البعد عن الموشح الشعري ويأخذون في تجزئة أقوال الموشح وغصونه الى وحدات صغيرة ، وقد لاحظ الدكتور عباس هذه الناحية في الموشح وعلق عليها بقوله : " اننا نقول حقا ان الموشح معرب ولكن الاسكان بالوقف في التجزئات القصيرة واختيار الالفاظ التي لا تظهر حركات الاعراب في أواخرها أمران يجعلان العلاقات الاعرابية ضعيفة ويحيلان الموشح الى مستوى قريب من مستوى الكلام الداني " (٣) ، ولم تجد كثيرا محافظة المحافظين الذين أحبوا الازجال والموشحات في مظهرها الشفوي وأبوا أن يدونوها في كتبهم ، فان حركة التساهل غلبت من بعد ، وأصبحت هذه أدبا محترفا به قراءة وتدوينا .

وعلى الطرف الآخر تقوم حركة مضادة تعتمد الدقة اللغوية الخالصة وتعد شجرة من شمرات ذلك الجو العلمي الذي هيأه القالي وتألمذته ورسخوا أصوله بعون من الحكم المستنصر ، ومدار هذه الحركة على التحري الشديد والخط والمقارنة بين النسخ واعتماد الأصوب . وقد كان القالي نفسه / <sup>وهو</sup> المعلم الاول " <sup>للأجيال</sup> للمزججـل اللغوية بالاندلس أول هدف لمساهام هذه الحركة . وليس في هذا نكران لجميل القالي أو

(١) الذخيرة ٢/١ : ١ .

(٢) دار الطراز : ٣٣ .

(٣) تاريخ الادب الاندلسي - عصر الطوائف والموهبلين : ٢٤٤ .

تتكسر لفضله ولكن يشبه أن يكون القالي نفسه هو الذي دفع الى ذلك ، فقد زود الاندلسيين بمصادر متباينة المنزع وأطلعهم على الكتب الأمهات ووضع بين أيديهم الأصول الموثقة ، وكان هو بصوى المنزع في الرواية ، ولم يكن الخهجون من بعد يحفلون بالتمسك برواية دون أخرى فجمعوا بين أقوال العلماء جمعا وأحلّوها مقاماً واحداً من الاعتبار ، وكان في ذلك ردّ عملي على القالي أو ان شئت فقل كان ذلك توسيعاً للأخذ لم يقف دونه ايثار لمدرسة لغوية على أخرى . وشيء آخر دعا الى ذلك التعقب وخاصة في كتاب " النوادر " وهو مما أمانه القالي من حفظه ، والحفظ يتفاوت ، والوهم فيه أمر غير بعيد ، فهذان عامان أوجدا للغويين مجالا لتصحيح القالي نفسه .

أما العامل الأول وهو افتتاح الدارس اللغوي على مختلف الروايات وأخذها جميعا بمقدار واحد من التقدير فيظهر على وجهه الواضح في كتاب الاقتضاب لابن السيد البطليوسي . فالقسم الثاني من هذا الكتاب (١) ارشاد وتبييه لما وقع من خطأ ، وفي هذا القسم " موانع وقعت غلطا في رواية أبي علي البغدادي المنقولة اليه فلا أعلم أهي غلط من ابن قتيبة أم من الناقلين عنه " (٢) . وقد كان ابن السيد في هذا الكتاب اما متشبها من الرواية بالعودة الى أصلها في النص المنقول واما عارضا لروايات علماء آخرين ، روضح أنه في الكشف عن أخطاء ابن قتيبة انما يخطئ جواب من رواية القالي ، فكانه يرد على أبي علي في أكثر المواضع ، تدعينا أو تصحيحا . ومن أمثلة ذلك :

(١) القسم الأول منه شج لخطبة أدب الكاتب والقسم الثالث : دراسة وتخراج للشواهد التي وردت في كتاب ابن قتيبة .

(٢) الاقتضاب : ١٠٦ .

## (١) أنشد ابن قتيبة :

يقلن لقد بكيت فقلت كلا وهل يبكي من الطرب الجليل

قال : " هكذا نقل الينس عن أبي نصر هارون بن موسى عن أبي علي البغدادي رحمة الله عليهما والصواب قلن بالفاء لأن قبله : " كتمت عواذلي ... " وأنشده ابن علي في النوادر : " فقالوا " - بتذكير الضمير وهو غير صحيح أيضا لأن الضمير عائذ على العواذل ، والمراد بهن النساء ... " (١).

(ب) قال ابن قتيبة : ومن ذلك الأرى ، يذهب الناس إلى أنه المعلف قال المفسر : هكذا رواه أبو علي - بكسر الهمزة وفتح اللام - وجعله بمنزلة الآلات وقال هو شي " منسوخ من صوف يعدونه بين أيدي خيلهم " ووجدته مقيدا عن علي بن حمزة والسكري " معلف " - بفتح الهمزة وكسر اللام - لأنه مكان للاعتلاف ، وكل فعل على وزن فعل يفعل - بفتح العين من الماضي وكسرها من المستقبل - فان اسم المكان والزمان منه مفعل - بكسر العين - كالمضرب والمفروس (٢).

(ج) وقولهم أسود مثل حلك الغراب ، قال الأصمعي : سواده ، وقال غيره : أسود مثل حنك الغراب وقال : يعني متقاوه .  
قال المفسر : وقع في كتاب أبي علي البغدادي أسود من حنك الغراب وهو غلط ، لأن هذا يجرى مجرى التعجب ، فكما لا يقال : ما أسود ، فكذلك لا يقال هو أسود من كذا ، وقال أبو العباس ثعلب : هو أشد سوادا من حنك الغراب وحنك الغراب ، وهذا صحيح على ما يوجب القياس (٣) .

(١) الاقتضاب : ١٠٧ .

(٢) المصدر نفسه : ١١٦ .

(٣) المصدر نفسه : ١٢٠ .



الى أمثال ذلك في غير موضع من كتابه ، ومؤالا يمنع أن يستأنس ابن  
السيد برأى القالي في الردّ على غيره من العلماء وخاصة على مؤلف الكتاب ، ابن تقيّة .  
وأما العامل الثاني وهو عامل الوهم الناشئ عن الحفظ فقد أثمر كتابا  
سمّاه مؤلفه أبو عبيد البكرى " التّيه على أوهام أبي علي في أماليه " . ويمكن أن  
نردّ الوهم لدى القالي - فيما يرى البكرى - الى مظاهر عدة منها :

#### ١ - الخطأ في التفسير : فقد أنشد القالي

ان الذّئب قد اخضرت براسها      والناس كلهم بكر اذا شعوا  
فقال : يريد أن الناس كلهم عدو لكم اذا شعوا كبكرين وائل : قال البكرى :  
لم يرد الشاعر هذا المعنى لأن الناس كلهم لم يكونوا عدوا لبني تميم ولا أقتلهم وانما  
يريد أن الناس اذا شعوا هاجت أخفافهم وطلبوا الطوائل والتراات في أعدائهم  
فكانوا لهم كبكرين وائل لبني تميم (١) .

٢ - خطأ في الرواية : أنشد أبو علي " وأهلك مهر أيك " - بفتح الكاف -  
وانما هو بكسرعا لأن الحديث موجه الى أسماء في البيت السابق :  
أسماء لم تسألي عن أيك      والقوم قد كان فيهم خاوب (٢) .

٣ - حين يجهل قائل الشعر ، ينسبه الى أعرابي ، من ذلك أبيات للأحوص  
الذي لم يدخل الهادية أبدا (٣) .

٤ - خلط شعر بشعر آخر لاتحادهما في الوزن والروي (٤) .

(١) التّيه : ١٨ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٠ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٧ .

(٤) المصدر نفسه : ٣١ .

٥ - نسبة الشعر الى غير قائله الاصل (١).

٦ - الخطأ في بعض اسماء الاعام والأماكن كأن يقول سلمى في من اسمه سلمى ،  
والثدى - بكسر الدال - في ما اسمه الثدى - بفتحها - (٢). أو في النسبة : كقوله  
مالك بن الرب المزني وهو المازني (٣).

٧ - خطأ في تفسير اللغة ، مثل قوله في تفسير " جائل " من قول الشاعر :

كهم اذا لاقته مبيثما واما تولس أشعث الرأس جائله

الجائل ، الزاهب ، قال البكري ، وهذا تفسير لا يسوغ في هذا البيت ولا يجوز  
وأى مدخل للذهاب ما هنا وانما الجائل هنا من الجفال وهو الشعر الكثير (٤) .

وقد تتبع البكري هذه الأخطاء وأمثالها حيثما وردت حسب ترتيب

" النوادر " ولم يعن بتصنيفها تحت موضوعات محددة .

ولكن هذا التعقب لا يعني أن منزلة القالي قد نزلت في نفوس الاندلسيين ،

فهناك دائما مجال للاعتذار عن الخطأ بالسهو والوهم والسيان ، وهذه هي طريقة أبي  
علي في الدقة العلمية ، ولو ظهرت هذه الكتب في الرد عليه وموحي لسر من  
نتائج توجيهه وتدريسه . يقول البكري في مقدمته معتذرا عن التعقب على القالي :

" وأبو علي - رحمه الله - من الحفظ وسعة العلم والنهل ومن الثقة في الغسبط  
والنقل بالمحل الذي لا يجهل ، وحيث يقصر عنه من الشاء الأحفل ولكن البشر  
غير معصومين عن الزلل ولا مبرئين من الوهم والخلل ، والعالم من عدت هفواته

(١) التبييه : ٣٧ .

(٢) المصدر نفسه : ٣٩ ، ٥٢ .

(٣) المصدر نفسه : ٥٥ .

(٤) المصدر نفسه : ٩٩ .

وأصبحت سقطاته (١) .

##### ٥ - العوامل التقليدية وأثرها في الحركة اللغوية :

قد عرضت في كل ما تقدم العوامل الجديدة التي اثرت في حياة اللغة ، وما تمخض عنها من مظاهر ومواقف تلبية للحاجتين النظرية والعملية . وتشكل هذه المظاهر والمواقف قضايا ثارت وتطلبت أجوبة . فإذا كان نصيب العوامل التقليدية من هجرة من الاندلس واليهما ، ومن حلقات تدريسية ، ومن نشاط في التأليف ، اعني الشرة العملية لكل تلك العوامل مجتمعة ، جديدة كانت أو قديمة ؟

أ - لست أبعد عن الصواب حين أقرر أن الهجرة الى الاندلس في هذا العصر قد ازدادت عن ذي قبل رغم ما كانت تمنى به البلاد من قلق ومخاوف من الناحية المياسية . فقد تدخلت عوامل جديدة غير الحوافز المألوفة للهجرة والارتحال فجعلت الاندلس مدفا لدوافع مختلفة من المهاجرين . وفي مقدمة هذه العوامل الأحداث المياسية التي حلت بمناطق أخرى من العالم الاسلامي يومئذ . فقد هاجمت قبائل العرب المالكية مدينة القيروان عام ١٠٤١ / ١٠٤٩ وقضت على عرانيها في أيام المعز بن باديس من بني زوى الصنهاجيين . وتشقت القيروانيون وطلبوا الملجأ حيث وجدوه ، ومنهم من لجأ الى صقلية ومنهم من هاجر الى الاندلس . ومن مشهورى المهاجرين الى الاندلس ابو الحسن الحصرى وابن شرف القيرواني . وفي عام ١٠٦٤ / ١٠٧٢ أخذ النورمان يهاجمون جزيرة صقلية فطلب كثير من اهلها النجاة بأنفسهم ولجأ العدد الأكبر منهم الى الاسكندرية . غير ان بعضهم توجه الى الاندلس ، ومن مشهورى هؤلاء الشاعران ابن حمديس وابو العرب . ونلاحظ أن هؤلاء المهاجرين الذين لم يصب

(١) التبيين : ١٥ .

اسماؤهم في الاندلس انما كانوا أشدّ اهتماما بالشعر والأدب والنقد منهم باللغة .  
ولكنّا لا نعدم ان نجد بين المهاجرين جماعة اولوا اللغة وتدرّس المعاني اهتماما  
ملحوظا . وعولاء أهم من نعرفهم من المهاجرين :

١ - اسماعيل بن أحمد بن زيادة الله التجيبي القيرواني (١) صاحب شرح المختار من  
شعر بشار . نراه في مالقة عام ١٠٦٠/١١٠هـ، وقد ألم به مرض تركه طويحا مدة من  
الزمن يعرضه اثنان من رفاقه ، واذا جن الليل خفقت من حوله في احياء مالقة  
اوتار العيوان والظناير والمعارف من كل ناحية (٢) . ويبدو انه اقام متقلا في  
البلدان الاندلسية مدة من الزمن وقرأ عليه بعض أهلها كتاب " أدب الكتاب " لابن  
قتيبة . ولكن صفحات شرح المختار تدل بما اقتبس من أشعار لأهل الاندلس على  
ان الاندلس أثرت فيه أكثر مما أثر فيها .

٢ - عثمان بن أبي بكر الصديقي السفاقي (٣) . دخل الاندلس سنة ست وثلاثين  
واربعائة (١٠٤٥ م) ، وفي هذا التاريخ نفسه دخل قرطبة وأسمع الناس بها ، ثم  
تجول في بلاد الاندلس مدة سنتين وعاد الى قرطبة . قال ابن بشكوال : " وكان  
حافظا للحديث وارتقه ، واسماء رجاله ورواته منسوبا الى معرفته ونهجه . وكان  
يعلي الحديث من حفظه ويتكلم على اسانيده ومعانيه ، وكان عارفا باللغة والاعراب ،  
ذاكرا للخريب والآداب ، من عني بالرواية وشهر بالفهم والدراية يجمع الى ذلك  
حسن الخلق ، وأدب النفس ، وحاجة الكالم ، ورقة الطبع " (٤) . وهذا الصديقي  
هو أول من أدخل كتاب غريب الحديث للخطابي الى الاندلس . وكان في رحلته في

(١) ترجمته في التكملة : ١٨٦ .

(٢) المختار من شعر بشار : ١٤ - ١٥ .

(٣) الصلصة : ٣٨٢ ، جذوة العقبين : ٢٨٥ .

(٤) المصدر نفسه : ٣٨٨ .

المشرق قد لقي ابا العلاء المعري وروى عنه خطبة الفصح (١).

٣ - علي بن ابراهيم التبريزي المعروف بابن الخازن (٢). دخل الاندلس سنة

١٠٣٠/٤٢١ وبلغ الميمنة في السنة التالية . وكان من أهل العلم بالآداب واللغات ،  
سمع منه جماعة من علماء الاندلس .

٤ - محمد بن الحسن الحزمي المرادي (٣). دخل قوطبة سنة ١٠٩٤/٤٨٢ ،

وروى عنه بعضهم كتاب " فقه اللغة " لابي منصور الثعالبي مشافهة .

٥ - ابو الفضل الوزير محمد بن عبد الواحد التميمي البندادي (٤). خرج من بغداد

رسولا عن الخليفة القائم بأمر الله الى المعز بن باديس وفي طريقه مرّ بأبي العلاء ،  
وروى عنه السقط . ويسميه ابن السيد " شيخنا في شعرا أبي العلاء " (٥). وقد

دخل الاندلس بعد اختلال الحال في القيروان يقول الحميدى انه حظي عند ملوك  
الاندلس بأدبه وعلمه واستقر بطليطلة (٦).

٦ - احمد بن العنديد العراقي . روى عن المعري شعرا ، وشرحه ودخل الاندلس

ومدح الرؤساء والاكابر وكان اكثر مقامه عند بني طاهر (٧).

(١) الجامع في اخبار ابي العلاء ١ : ٤٦٦ .

(٢) ترجمته في الصلة : ٤٠٦ .

(٣) ترجمته في الصلة : ٥٧٢ .

(٤) ترجمته في جذوة المقتبس : ٦٨ ، فهرسة ابن خير : ٤١٢ ، نفح الطيب ٤ : ١٠٨ ،

وانظر : الجامع في اخبار ابي العلاء للجندی : ٤٦٩ ، الذخيرة ٤/١ : ٦٧٠ ،

(٥) ~~الاصحاح~~ وما اليه لعبد العزيز الميمني : ٢٠٤ .

(٦) جذوة المقتبس : ٦٩ .

(٧) ارشاد الاديب ٣ : ٨٦ ، بغية الوعاة : ١٣٥ .

٧ - عهد الدائم بن مرزوق بن جبر القيرواني ، ابو القاسم<sup>(١)</sup> . وهو الشيخ الثاني لابن السيد في رواية شعر المعري . وقد توفي عهد الدائم بظليطة سنة ٤٧٢ / ١٠٨٠ .

٨ - ولعل ابعد هؤلاء المهاجرين أثرا في الاندلس أبو الفتح ثابت بن محمد الجرجاني<sup>(٢)</sup> . فقد دخلها مبكرا عام ٤٠٦ / ١٠١٥ وكان يوم دخلها عالما ناشجا قد درس على مشاهير الشيوخ المشاركة كابن جني والربيعي وابن السيراني ، مشاركا في عدة علوم أبرزها بعد اللغة الفلسفة والمنطق كما كان حاذقا في حمل السلاح وأنواع الجندية والفروسية<sup>(٣)</sup> ، واتصل بأبي الجيش مجاهد العامري ، وخرج معه في غزوة الى سردينيا ، ثم عاد يحطوف البلاد ويدرس العربية ، فأملى في دانية كتابا في شرح الجمل للزجاجي ، كما درس أيضا اختيار فصح الكلام لشعيب ، أخذ عنه محمد بن هشام المصنف . وكان الكتاب الذي يستعمله في التدريس بخط ابن خالويه . قال أبو الفتح ، " تأملت كتابي هذا من الفصح بخط ابن الكوفي وكان نسخ كتابه من خط ابن الانباري وقابلته به"<sup>(٤)</sup> . وروى المصنف عنه أيضا شرح أبيات اصالح المنطق لابن السيراني ، وشرح أبيات الانفاذ له أيضا ، وشرح أبيات الغريب المصنف ، وكل هذه الكتب رواها أبو الفتح عن ابن السيراني ، وكان يقول : انه اعلم من اييه باللغة والفقه والشعر والنحو<sup>(٥)</sup> . وكذلك قرأ عليه كتاب الجمهرة لابن دريد<sup>(٦)</sup> . وقرأ أيضا عليه شعر

(١) انظر ، بغية الملتقى : ٣٨٦ ، والانتصار : ٢٣ ، فهرسة ابن خير : ٤١٢ .  
(٢) ترجمته في جذوة المقتبس : ١٧٣ ، الصلة : ١٢٧ - ١٢٨ ، والذخيرة ١/٤ : ٩٦ وبغية الوعاة : ٢١٠ ، والاحاطة ١ : ٢٨٥ ، معجم الادباء ٧ : ١٤٥ - ١٤٨ ،

كشف الظنون : ٦٠٤ .

(٣) الإحصاء : ٢٨٥ .

(٤) فهرسة ابن خير : ٣٣٨ .

(٥) المصدر نفسه : ٣٤٣ .

(٦) المصدر نفسه : ٣٤٩ .

أبي الطيب المتقي (١). وقد أخذ عن ثابت كثير من الاندلسيين وشهد له علماءها ومؤرخوها بالتقدم فيما كان يحسنه من علوم فقال فيه أبو مروان بن حيان : " ولم يدخل الاندلس أكمل من أبي الفتح في علمه وأدبه " (٢). وقال ابن زيدون : " لقيته بقرطبة فأخذت عنه أخبار المشاركة وحكايات كثيرة وكان غزير الأدب قوى الحفظ للغة نازعا إلى علم الأوائل من المنطق والنجوم والحكمة له بذلك قوة ظاهرة " (٣) وما قرأه عليه ابن زيدون نفسه الحماسة في أشعار العرب رواية لها عن عبد السلام البصري (٤).

غير أن طمع ثابت جعله ينغمس في حياة الأندلس السياسية وكانت نهائيه أن تقتله باديي صاحب قرطبة سنة ٤٣١ / ١٠٤٠ (٥) فتكون اقامته بالاندلس قرابة سبع قرن ) .

ولم تكن الاندلس قبلية المعلمين وحدهم بل أصبحت مطمح الدارسين من أقطار أخرى. فنجد بعض المهاجرين إلى الاندلس يستلمنون على علماء الاندلس فسي اللغة ، من ذلك : العزّين محمد (٦) (١٠٩٥ / ٤٨٨) ، وأصله من العدوّة . فانه اخذ كثيرا من كتب اللغة والآداب عن أبي القاسم بن الفليلي . كذلك المبارك بسن سعيد البغدادي المعروف بابن الخشاب (٧) (بعد ١٠٩٧ / ٤٩٠) فانه بعد ان قدم الاندلس تاجرا سنة ١٠٩٠ / ٤٨٣ جلس يسمع كتاب النوادر للقالبي من أبي مروان بن سراج .

(١) فهرسة ابن خير : ٢٠٤ .

(٢) الاحاطة ١ : ٢٨٥ .

(٣) المصدر نفسه

(٤) المصدر نفسه ١ : ٢٨٦ .

(٥) جاء خبر مقتله مفصلا في الاحاطة ١ : ٢٨٦ - ٢٨٨ .

(٦) المجلد : ٤٢٩ .

(٧) المصدر نفسه : ٥٩٩ .

بـ أما في الهجرة من الاندلس، فإن اللغويين الذين ذكرتهم المصادر قلما قوت بهم خبراً عن الرحلة إلا في النادر، وربما دل هذا على الاكتفاء الذاتي في علم اللغة، وسهولة وصول الكتاب المهاجر بدلاً من الرحلة في لقاء العلماء . ولعل أبرز ما فقد عندنا من أخبار رحلة الاندلسيين إلى المشرق ذلك الاهتمام الذي أبداه الاندلسيون بابي العلاء المعري ومؤلفاته فقد كان كثير من يرحل حريصاً على لقاءه والرواية عنه (١). ومؤلفات المعري مصدر هام للغة مثلما هي زاد أدبي أيضاً . وقد سرد ابن عسود الغرور الكلاعي أسماء كتب أبي العلاء التي هاجرت في هذا العصر إلى الاندلس في كتابه " احكام صنعة الكلام "، نعدّ منها كتاب القائف والصاغل والشاحج وشرحه ، والفصول والغايات ، والسجع السلطاني ، ورسالة الغفران ، ورسالة الفلاحة ، ورسالة الاغريض، وسقط الزند ، واللزيميات ، وكتاب الاستغفار الخ (٢). وقد اصبحت هذه الكتب نموذجاً أدبياً رفيعاً مثلما غدت مجالاً للدراسة والشح والتعليق .

جـ وإذا قارنا بين هذا العصر والعصر السابق وجدنا ان المظاهر الثلاثة الكبرى التي تحدثنا عنها ، أعني : التدريس والمناظرة والتأليف قد تضاعف فيها المظهر الثاني ، وكانت أبرز نشاطات هذا العصر ذاهبة في تباين هذين التدريس والتأليف . ولعل انشغال الأذهان بنشوء دعوة ابن حزم الذاتية ووفود بعض المذاهب الكائمية ، كالمذهب الأشعري ، بقوة إلى الاندلس قد قوّيا المناظرات المذهبية والكائمية، وحجبا عنا ، أو أضعفا ، المناظرات اللغوية .

وقد رأينا كيف تعددت المراكز العلمية فكثرت عدد المدرسين وظهر بوضوح

المدرس المتجول مثل : ابراهيم بن أبي الفضل بن صواب ( - ٥٠٦ / ١١١٢ ) تلميذ

(١) راجع أسماء بعض هؤلاء الاندلسيين في : جامع اخبار أبي العلاء : ٤٥٨ وما بعدها  
(٢) انظر احكام صنعة الكلام ١٣٨ - ١٣٩ ، وتعريف القدماء : ٤٥٣ .



ابن سيده ، الذي كان يتجول في البلاد معلما بها (١) ومثل كثيرين غيره .

وإذا كنا نعيّز بعض العلماء بالشهرة في التأليف على الرغم من علمهم فسي  
التدريس مثل : ابن سيده وابن السيد فان من الحق ان نعيّز كبار الاساتذة المدرسين  
الذين تخرج على ايديهم اكبر عدد من طلاب هذا العصر . ولعل الذين ذهبوا بأكثر  
الشهرة في هذا الميدان أربعة هم : ١- ابن الافليلي ، ٢- ابن سراج ، ٣- ابو  
الوليد القشيري ، ٤- والأعلم الشنفرى .

١- اما ابن الافليلي فهو ابراهيم بن محمد بن زكرياء بن مفتح بن يحيى بن زياد  
ابن عبد الله بن خالد بن سعد بن ابي وقاص القشيري الزمري (٢) . ويبدو من هذا ان  
ابراهيم بن محمد يعود في نسبه الى أصل عربي صريح وأن جده المحابي القائد سعد  
ابن ابي وقاص .

ويرى بعض المؤرخين ان لقبه هذا ، ابن الافليلي ، قد ورثه عن بلدة  
في الشام يرجع أصله اليها (٣) . ولا يذكر المؤرخون من مو الجد الذي انتسب  
اليه ، والذي كان يسكن افليل .

وابن الافليلي من أهل قرطبة ، ولم يذكر واحد من المؤرخين ، الذين

(١) التكملة : ١٤٠ .

(٢) انظر ترجمته في : الصلة : ٩٤ - ٩٥ ، بغية الملتنس : ١٩٩ ، انباء الرواة  
١ : ١٨٣ - ١٨٤ ، وفيات الاعيان ١ : ٣٣ - ٣٤ ، بغية الوعاة : ١٨٦ ،  
معجم البلدان ١ : ٢٣٢ ، معجم الادباء ٢ : ٤ - ٩ ، شذرات الذهب  
٣ : ٢٦٦ (حوادث سنة ٤٤١ / ١٠٤٩) .

(٣) والافليلي - بكسر الهمزة ، وسكون الفاء ، وكسر اللام ، وسكون الياء المثناة من  
تحتها ، ويحدها لام ثانية - هذه النسبة الى الافليل ، وهي قرية بالشام  
كان أصله منها . انظر : وفيات الاعيان ١ : ٣٤ ، وانظر أيضا : الصلة  
١ : ٩٤ ، شذرات الذهب ٣ : ٢٦٦ .

راجعت أخبارهم ، صراحة ان ابن الاقليلي ولد في قرطبة ، ولكن ذلك يفهم من  
اجماعهم على انه " قرطبي " وانه كان متصدرا للعلم ببلده ، أى قرطبة . فقد  
ولد فيها عام ٣٥٢/٦٦٧ وطلب العلم على مشايير الشيوخ فيها ، فكان تلميذا للزبيدي  
وابن ابي الحباب واحمد بن ابلان بن سيده . وهم أبرز تلاميذ القسالي . فدوس عليهم  
وعلى غيرهم من العلماء يودث ، فأخذ كتاب معاني الحروف واتسامها عن الحسين بن  
الوليد النحوي المعروف بابن العريف ، وكتاب الكامل وكتاب النريب المصنف وكتاب  
الافاض ليعقوب بن ابن سيده ، وكتاب ادب الكتاب وكتاب فائت الفصح عن ابن  
ابي الحباب ، وكتاب لحن العامة عن الزبيدي (١) . واستكثر من الدراسة على هؤلاء  
الاعلام حتى فدا حجة فيما وقف له جهده ، وحتى قال فيه ابن بسام : " بذ  
اهل قرطبة في علم اللسان العربي والخط لغريب اللغة في ألفاظ الاشعار الجاهلية  
والاسامية ، والمشاركة في بعض معانيها . وكان غيورا على ما يحمل من ذلك الفن  
كثير اللبس فيه ، واكبأ رأسه في الخطأ البين اذا تقلده او نشب فيه ، يجادل  
عليه ، ولا يصرفه عنه صارف " (٢) . ومع هذا الاطلاع الواسع ، ظلّ منتقرا الى علم  
كان بحكم مهنته في اشد الحاجة اليه ، وذلك هو علم العروض (٣) . وكان يزهد  
من حاجته الى العلم أنه لم يكتب بتدريس اللغة ، بل تصدى للنقد والكلام في  
اقسام البلاغة ، اى تصدى لتعليم البيان (٤) . وهذا هو الذى اثار ثائرة ابن  
شهيد وجعله يتخذ من ابن الاقليلي محطا لسخرته ، بل يصوره بصورة مضحكة في  
رسالة التوايح والزوايح . ولا ريب في ان ابن شهيد لم ينصف ابن الاقليلي في هذه

(١) فهرسة ابن خير ، صفحات متفرقة .

(٢) الذخيرة - ١/١ : ٢٤٠ .

(٣) المصدر نفسه

(٤) بغية الملتصق : ١٩٩ ، انباء الرواة ١ : ١٨٣ .

الحملة ، فقد شهد له بعض معاصريه بأنه كان عظيم السلطان على شعر حبيب الدائي وأبي الطيب المتبي ، وأنه كان أشد الناس انتقاء للكلام ومعرفة برائعه (١) . وحسبك بهذا شهادة على أن الرجل لم يكن يحسن تدوين اللغة فحسب وإنما كان يجمع إلى ذلك ذوقاً أدبياً مسعفاً على النقد .

وقد ظل ابن الأنليبي طبيباً لحلقة تجمع كثيراً من الطلبة في قرطبة إلى أن حدث الفتنة البربرية ففقدت على كثير من العلماء بالتشرد ، وعلى مجالس العلم بالكساد . ويبدو أن شيئاً من هذا أصاب ابن الأنليبي فأخذ يبحث عن رزقه بالتقرب لامراء بني حمود في قرطبة ، أو كما يقول ابن بسام : " فارتد إلى الامراء إلى أن نال الجاه " (٢) . ثم عادت إلى قرطبة الخاتمة الأموية في شخص المستكني فاتخذ ابن الأنليبي كاتباً عنده . وكانت هذه الحادثة امتحاناً عليها لما كان يدرسه ابن الأنليبي نظرياً ، فسقط في الامتحان " لأنه كان على طريقتة المعلمين المتكلفين " (٣) .

وبعد المستكني تولى أمر قرطبة في هذه الفترة القلقة هشام المعتد . ويبدو أن هشاماً هذا تقرب إلى قلوب العامة بمداينة بعض المفكرين مثل ابن عاصم والبسائي والحصار ، وكان ابن الأنليبي واحداً من هؤلاء المطلوبين فأخذ وسجن . وبدل نصر ابن بسام حين يقول : " ولحقته تهمة في دينه " ، على أن الأمر كان متصلاً بشيء من دراسة الفلسفة أو المنطق . وهؤلاء الذين يسميهم ابن بسام " الاطباء " لا يمكن أن نفهم سبب تتبعهم إلا أن فهمنا أن اللفظة تعني الفلاسفة أو المشتغلين

(١) الصلصة : ١٤٠ .

(٢) الذخيرة ١/١ : ٢٤١ .

(٣) المصدر نفسه ، ومعجم الادباء ٢ : ٧ .

بعلوم الاوائل ، اذ لم يحدث ابدا ان كان الاطباء محط تهمة ، او هدف لاضطهاد الحكام . ولا بد ان تكون هذه التهمة كذلك ، اعني ذات صلة بالدراسات الفلسفية ، والا لما استغلنا ان نوفق بين معنى التهمة في الدين وبين قول فقيه محدث مثل ابن بشكوال في الشاء على ابن الافلح : " وكان صادق اللهجة حسن الغيب مافي الخير حسن المحاضرة مكرما لجليسه " (١).

تناول العمر بابن الافلح فتجاوز به فترة القلق في حياة تردية ، وعاش حتى شهد بلده يعيش في ظل الحكومة الشيوعية التي اوجدها الجمهوريون ، وتوفي عام ١٠٤٩ / ٤٤١ .

هل تجاوز نشاط ابن الافلح ميدان التدريس ؟ يبدو ان ابن شهيد اتخذ ابن الافلح نموذجا لمعالي اللغة ، فاتهمهم جميعا بانهم يعجزون عن التأليف فقال : " ومن دليل تقصير عصابة المعلمين انهم لا يقدمون ان يجعلوا ما يحملون من المعرفة تصنيفا ، ولا تغزروا مادتهم ان ينشئوها تأليفا " (٢). ورسخت هذه التهمة في ذهن ابن بسام فتأتى اليها بقوله : " وما بلغني أنه ألف في شيء من فنون المعرفة الا كتابه في شعر المتبي لا غير " (٣). والحق ان شرح ابن الافلح لديوان المتبي هو أشهر ما عرف له ، وقد اثنى عليه الذين ترجموا له بالجودة (٤).

وتخرج على يدى ابن الافلح تلامذة كثيرون منهم : ابو مروان عبد الملك بن زيادة الله الدلمني ، والعماد بن ابي الفيرة بن حزم ، وابن سراج (٥).

(١) الصلوة : ٩٤ .

(٢) الذخيرة ١ / ١ : ٢٠٩ .

(٣) الذخيرة ١ / ١ : ٢٤١ .

(٤) انظر : انباء الرواة ١ : ١٨٣ ، معجم الادباء ٢ : ٥٠ .

(٥) بنية الملتقى : ١٩٩ ، الصلة ١ : ٩٥ .

٢ - أبو مروان عبد الملك بن سراج (١) (١٠٩٦/٤٨٩) . شهر عن بني سراج انهم من موالي الأمويين ، ولكن أبا مروان كان ينكر ذلك ويقول انهم من العرب سليمة ، من كلب بن وبرة . وقال ابن بسام : من كلاب بن ريعة ، وانما أباهم سباء في القديم . وكانت عائلتهم متصلة الشهرة والنباهة في الاندلس على الرغم من ابتعادهم عن خدمة الدولة ، واقتصرهم على سياسة ضماهم المنطقة . وربما تنعضت حالهم بعض الشيء في الفتنة البربرية فعادوا بعدها الى التماسك . وفي عهد الفتنة نفسها ولد عبد الملك ونشأ في قرطبة فلم يشهد من عرائنها السابق ولم يعلم عنه الا ما كان يحدثه به أهله ، فانصرف الى العلم على بنية الشيخ يونس كاهن الافيلي والمؤرخ ابي مروان بن حيان . وأطاعته ملكته في ميدان اللغة فتفوق فيها تفوقا ملك اعجاب معاصريه . وكان يجمع الى هله متانة في دينه ، وسماحة في خلقه ، وبعدا عن العجب والخيلاء ، وقدوة على الانهال . وبذلك اجتذب اليه الدارسين من كل صوب . وعاش تسعا وثمانين سنة ، وظل الى آخر حياته حسن البنية ، سليم الحواس ، متوقد الذهن ، سريع الخاطر ، يقرأ دقيق الخط ، ويظهر على المحاورة (٢) . وقال فيه احد تلامذته : " كان بحر علم ، عالما بالتفسير ومعاني القرآن ومعاني الحديث ، أحفظ الناس للسان العرب ، وأصدقهم فيما يحمله ، وأقومهم بالعربية والأشعار والأخبار والأنساب والأيام ، عنده يسقط حفظ الحفاظ ، ودونه يكون علم العلماء ، فاق الناس في وقته ، وكان حسنة من حسنات الزمان ، وبقية من الأشراف والأعيان " (٣) .

(١) ترجمته في : الذخيرة ١ / ٢ : ٣٠٧ ، الصلاة : ٣٤٦ ، المغرب ١ : ١١٥ ،

الديباج المذهب : ١٥٧ ، انباء الرواة ٢ : ٢٠٧ .

(٢) الذخيرة ١ / ٢ : ٣١٠ .

(٣) الصلاة : ٣٤٦ .

واذا كنا قد وجدنا لابن الاثيلي نشاطا في التأليف يسيرا فان المصادر تسكت عن ذكر اى مؤلف لابن سراج . وكل ما نعرفه من جهوده ، سوى التدريس ، قول ابن بسام : " واحب كثيرا من الدواوين الشهيرة الخطيرة . . . واستدرك فيها اشياء من سقط واضعها ، وروى مؤلفيها كتاب البارع لابي علي البغدادي ، وشرح غريب الحديث للخطابي وقاسم بن ثابت المرقطي وكتاب أبيات المعاني للقتبي ، وكتاب النبات لابي حنيفة ، وغير ذلك من الكتب مما لم يحضرنى ذكره ، ولم يمكن حصره ، اذ كانت قبل فتحها عليه ، واصلاحها بين يديه ، طامسة الاعلام ، مختلة النظام ، وقد سدت التصحيف طرقها ، وعور التبديل نسقها ، ففتح مستغلقها ونظم مفترقها ، وعانى خللها ، وأزاح غللها ، وقيد مهملها " (١) .

ووضح ان ابن بسام يذهب في كالمه مذهب التحويل ، والا فان هذه الكتب قد تداولها العلماء ودرسها الطلبة قبل ابن سراج ، ولم تكن دالة الاعلام ، او مختلة النظام ، وانما الذى يهمنا في هذا النص دلالة على ان ابن سراج كان مهتما بالاستدراك على كتب من سبقه . وايضا كان الامر فان امثال ابن سراج انما يؤثرون في مجال العلم بعناصر شخصياتهم اكثر مما يؤثرون بمؤلفاتهم . وقد شهد له عارفوه بأنه كان " وقور المجلس مهيبا متواضعا على اتساع علمه " (٢) ، فكانت الرحلة في ذلك الوقت اليه حتى عدّ امام اللغة في الاندلس غير مدافع (٣) ، وقد سرد لنا ابن خير قائمة طويلة بالكتب التي اخذها ابن سراج عن أستاذه أبي سهل الحراني وقائمة أخرى بالكتب التي درسها عليه تلميذه أبو علي الغساني (٤) ، وكلها من كتب الشعر .

(١) الذخيرة ٢/١ : ٢٠٦ - ٣١٠ .

(٢) الصلاة : ٣٤٦ ، انباء الرواة ٢ : ٢٨٠ .

(٣) الصلاة : ٣٤٦ .

(٤) فهرسة ابن خير : ٣٩٧ .

٣- أبو الوليد هشام بن أحمد الوقيشي<sup>(١)</sup> (٤٨٩ / ١٠٩٦) ينسب إلى وقش ، وهي قرية بخارج طليطلة ، بينهما اثنا عشر ميلاً . ولم تكن معارفه قاصرة على اللغة والنحو بل كان واسع الاطلاع على فنون المعارف والعلوم في عصره . فهو كما وصفته المصادر من أعلم الناس بالنحو واللغة ، ومعاني الاشعار ، وعلم العروض ، وصناعة البلاغة ، بصير بأصول الاعتقادات وأصول الفقه ، نافذ في علم الشروط والفرائض ، متحقق بعلم الحساب والهندسة والمنطق ، مشرف على آراء الحكماء . ويجمع الى هذا الاطلاع الواسع حسن المناشرة ولين الكف وصدق اللهجة . وفي دولة المأمون بن ذى النون أصبح قاضياً لمدينة طليطلة ، من شعور الميطة . ذلك هو ما تحدثنا به المصادر ، دون ان ننفي اي شيء يتصل بوجهته في التأليف او بتلامذته الآخذين عنه .

٤- أبو الحجاج يوسف بن سليمان الأعلم الشنتمرى<sup>(٢)</sup> (٤٧٦ / ١٠٨٣) ، وهو منسوب الى شنتمرية الغرب ، هاجر من بلده الى قرطبة عام ٤٣٣ / ١٠٤٢ فدرس فيها على ابن الافليلي وعلى ابي سهل الحراني : درس على هذا الثاني الاشعار الستة الجاهلية وأخذ عنه أيضاً شعر السليك وقصيدة عمرو بن كلثوم وقصيدة لقيط بن معمر الايادي وشعر الاسود بن يعفر وشعر حاتم وشعر زيد الخيل<sup>(٣)</sup> ، حتى أحكم اللغة واقبل بالاهتمام على معاني الشعر الخاصة ، ثم استدعاء المعتز الى اشبيلية وفي ظله ألف أكثر المؤلفات ، فهو يذكر في مقدمة شرحه لأبيات سيبيويه أنه ألف بطلب من المعتز ، كذلك يذكر ابن عذارى أنه ألف له شرح الحماسة

(١) ترجمته في الصلة : ٦١٧ ، المطرب : ٢٢٣ ، بغية الملتصق : ٤٧٠ ،

طبقات الأسم : ٧٤ .

(٢) ترجمته في الصلة : ٦٤٣ - ٦٤٤ ، وبغية الوعاة : ٤٢٢ .

(٣) فهرسة ابن خير : ٣٩٨ .

وشج الاشعار الستة<sup>(١)</sup> ، وكانت الرحلة في وقته اليه ، ويبدو أنه ظل مقيما  
 باشيلية الى آخر أيام حياته ، وكف بصره في آخر عمره وكانت سنة يوم  
 توفي تناهز الثالثة والستين ، من أشهر تلامذته وهم عديدون ، أبو علي  
 الفسائي .

---

(١) البيان المغرب ٣ : ٢٨٤ ، وانظر أيضا فهرسة ابن خير ٣١٤ - ٣١٥ ،  
 الذي أضاف ، المختار في النحو ، وكتاب المسألة الرشيدة والمسألة الزنبورية ،  
 وجزء فيه مختصر الأنواء .



## الفصل الخامس

### حركة التأليف اللغوي ووجهاته في هذا العصر

#### أولا - صورة عامة :

لا يقل هذا العصر عن العصر السابق غنى في المؤلفات، وإن كانت هذه أقل تنوعاً . وفي سبيل أن نرسم صورة تصلح للمقارنة بالعصر السابق أدرج هنا ثبثاً بأسماء المؤلفين ومؤلفاتهم في هذا العصر :

١ - ابن الأفلح (١) (١٠٤٩/٤٤١ -)

١- شح ديوان المتنبى (٢). وصفه بعضهم بأنه حسن أو مشهور أو جيد.

٢ - الحسن بن محمد بن عليم البطليوسي (٣)

٢- شح كتاب أدب الكتاب لابن قتيبة .

٣ - الحسن بن علي بن محمد السطائي المرسي (٤) (١١٠٥/٤٩٨ -)

٣- المقنع في شح كتاب ابن جني .

٤ - سعيد بن عيسى الأصغر (٥) (- حوالي ١٠٦٨/٤٦٠)

٤- شح كتاب الجمل للزجاجي .

---

(١) انظر ما سبق من هذه الرسالة ص : ٤٤٩

(٢) مخطوطة برلين ٧٥٦٩ ، مكتبة القرويين بفاس ١٣٤٨ ، المتحف البريطني ثاني ١٠٤١ هـ  
الرباط ٣٢٤ ، قطعة منه بمكتبة داود بالموصل ٢٣ رقم ٠٩ (انظر بروكلمان ٢ : ٨٩) .

(٣) درس ببلدة بطليوس على ابن الخراب وغيره ، وكان مقدماً في علم اللغة والأدب والشعر  
(الصلة : ١٣٧) .

(٤) موسي عرف بالفقيه الشاعر (الصلة : ١٣٧) .

(٥) من ساكني طليطلة ، كان عالماً بالنحو واللغة والأشعار (الصلة : ٢١٨)

٥- ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري<sup>(١)</sup> (١٠٩٤/٤٨٧ -)

٥- اللالي في شح الأمالي (٢) .

٦- فصل المقال في شح كتاب الامثال (٣) .

٧- التبيه على أوهام ابي علي في أماليه (٤) .

٨- صلة الفصول في شح ابيات الغريب المصنف لأبي عبيد (٥) .

٩- اشتقاق الاسماء (٦) .

١٠- شفاء عليل العربية (٧) .

٦- عبد الله بن محمد بن السيد (٨) .

١١- شح سقط الزند .

١٢- الاقتضاب في شح ادب الكتاب .

١٣- اصلاح الخلل الواقع في الجمل<sup>(٩)</sup> ، " وهو كبير في مجلد ضخم ..

ذكر فيه ان الزجاجي قد نزع فيه العنزع الجميل فانه حذف الفصول (١٠)

واختصر الطويل ، غير انه قد افترط في الايجاز فتجده في كثير من

كلامه بعيد الاشارة ، فرأى ان ينبه على أغلاطه ، والمختل من

(١) انظر ثبت تراجمه في ما يلي من هذه الرسالة (اتجاهان كبيران في التأليف)

(٢) نشره عبد العزيز اليميني - القاهرة ١٩٣٦ .

(٣) حققه الدكتور احسان عباس والدكتور عبد المجيد عابدين - الخرطوم ١٩٥٨ .

(٤) طبع في مصر ١٩٢٦ ، ط . دار الكتب المصرية .

(٥) فهرسة ابن خير : ٣٤٣ .

(٦) بغية الوعاة : ٢٨٤ .

(٧) كشف الظنون : ١٠٥٠ .

(٨) انظر ثبت تراجمه فيما يلي من هذه الرسالة (اتجاهان كبيران في التأليف)

(٩) منه نسخة في برلين : ٦٤٦٣ ، ليدن ١٤٢ ، القاهرة ثاني ٢ : ٧٦ (انظر ،

بروكلمان ٢ : ١٧٤) .

(١٠) لعلمها الفصول .

كلامه ، ثم انشئ بالكلام في آيائه وما يحضره من أسماء تأليفيها  
 وذكر ما يتصل بالشاهد من بعده أو من قبله " (١) ، وسماه :

١٤- الحلل في شرح آيات الجمل (٢).

١٥- شرح ديوان الشعراء المست (٣) .

١٦- شرح ديوان المتبي (٤) .

١٧- المسائل المنشورة في النحو (٥) .

١٨- كتاب في الحروف الخمسة : السين والصاد والضاد والظاء والدال ،  
 جمع فيه كل غريب (٦) .

١٩- المثلث في اللغة ، " في مجلدين اتى فيه بالعجائب ودل على اطلاع  
 عظيم . فان مثلث قطوب في كراسة واحدة ، واستعمل فيه  
 الضرورة وما لا يجوز ، وغلط في بعضه " (٧) .

(١) كشف الظنون : ٦٠٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ومن الكتاب نسخة في ، القاهرة ثاني ٢ : ١٠٤ ، راغب  
 ١٣١٩ (انظر ، بروكلمان ٢ : ١٧٤) .

(٣) مخطوطة فيض الله رقم ٩٤٠ (بروكلمان ، ١ : ٨٨) .

(٤) بغية الوعاة : ٢٨٨ .

(٥) المصدر نفسه

(٦) شذرات الذهب ٤ : ٦٥ ، ومنه نسخة في مكتبة راغب ١٤٢١ (بروكلمان ،  
 ط . ليدن ، الملحق ١ : ٧٥٨) .

(٧) وفيات الأيمان ٢ : ٢٨٢ ، وانظر شذرات الذهب ٤ : ٦٥ ، وفيهوسة ابن  
 خير : ٣٦٢ . ومن الكتاب نسخة مخطوطة في مكتبة عاطف انندى :  
 ٢٧٥٤ ، ولاللي : ٣٦١٦ ، والقاهرة ثاني : ٣٤ ، (انظر بروكلمان ،  
 ط . ليدن ، الملحق ١ : ٧٥٨) .

٢٠- كتاب المسائل والاجوبة (١). وهو يشتمل على مسائل كان ابن السيد قد سئل عنها فكتب اجوبته وألف من مجموع الاجوبة كتابا ضخما يتناول ما ينيف على مائة مسألة . ويبدو ان الكتاب كان مجموعة لمسائل قليلة عرضت لابن السيد في مناقشات ومجالس ، ثم لما اخذت هذه المسائل تعظام وتكثر فكر في جمعها وجعلها في كتاب ، غير انه ادرك ان هناك مزيدا من المسائل ستبرز مع الايام فقال : " وهذا التأليف معرض للزيادة فيه ، اذ كان السؤال يوجب ذلك ويقتضيه ولا تمام له ولا انقضاء حتى يشارف العمر الانتهاء " (٢).

وتغلب على الكتاب الناحية اللغوية ، وطريقته فيه لا تختلف عما اخذ به كتابيه شرح سقط الزند والانتصاب . والحكم الدقيق غير متيسر ، اذ ان المنشور ثلاث مسائل فقط من بين مائة مسألة .

٢١- الاسم والمسمى (٣) .

٢٢- ابيات المعاني (٤) .

٢٣- التبيين على الاسباب الموجهة لاختلاف الأمة (٥) . وفي هذا الكتاب

- 
- (١) نشر جزء من المسائل مع رسائل اخرى لمؤلفين آخرين بتحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي (بغداد ١٩٦٤) ومنه نسخة بالاسكويريال رقم : ١٥١٨ ونسخة اخرى بعنوان " الاسئلة " في القرويين رقم : ١٢٤٠ (بروكلمان : الملحق ٧٥٨١) .
- (٢) رسائل في اللغة : ١١٤ .
- (٣) منه نسخة مخطوطة في مكتبة فيض الله : ٢١٦١ (انظر بروكلمان ، ط ليدن الملحق ١ : ٧٥٨) .
- (٤) انظر خزانة الادب ١ : ٩ ، (وقد ذكره بروكلمان ، ط ليدن الملحق ٧٥٨١) .
- (٥) الصلة ١ : ٢٨٢ ، الديهاج المذهب : ١٤١ . وقد طبع الكتاب في القاهرة سنة ١٣١٩ / ١٩٠٢ ، ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة شهيد علي : ١١١٤ ، وفيض الله : ٢١٦١ ، (انظر بروكلمان ط ليدن ، الملحق ١ : ٧٥٨) .

ان ركبنا من رجال المشرق فادهم الاعترا ب نحو المغرب . وسئلوا  
عن اسمائهم ، وآبائهم ، وقبائلهم ، واخوانهم ، وبلدانهم ، ومراكبهم ،  
ومعادن تسميهم ، وسهامهم ، وما يقتتصون من الوحش والذئير ، وما  
يأكلون منها ، وما يهدون الى حبايئهم ، واسم حبيبة كل منهم ،  
والبيت الذي يقال لها عند الاهداء ، وما كانت تشده هي في  
الجواب . كل ذلك بالفاظ مبدوءة بنفس الحرف الذي تداوله من  
حروف المعجم كل رجل منهم في دوره " (١) .

٨ - احمد بن محمد المرسى<sup>(٢)</sup> ( - حوالي ٤٦٠ / ١٠٦٨ )

٣٣ - شرح الغريب المصنف لأبي عبيد .

٣٤ - شرح اصالح المنطق لابن السكيت .

٩ - اسحق بن الحسن الزيات<sup>(٣)</sup> ( - بعد ٤٤٨ / ١٠٥٦ )

٣٥ - شرح كتاب الجمل للزجاجي .

٣٦ - كتاب في البني والمغرب .

١٠ - خلف بن فتح المعروف بابن ابي الموتى<sup>(٤)</sup> ( - بعد ٤٣٣ / ١٠٤٢ )

٣٧ - كتاب الناهج في شرح ما أشكل من الجمل للزجاجي .

(١) المشرق : ١٨١ - ١٨٢ .

(٢) كان عالما بالنحو واللغة والآداب ، وكان يقرئ العربية ( التكملة : ٢٠ ) .

(٣) قرطبي الأصل ، هاجر من بلده مضطرا اثناء الفتنة البربرية ، فأقرأ العربية  
بمقرسدة ( التكملة : ١١٢ ) ، وقد ذكره بروكلمان ( ط ليدن ، الملحق ٢ : ١٠٢٦ )

(٤) خلف بن فتوح الجودي القيسي . من أهل يابرة وسكن قرطبة . اتخذ من

داره في قرطبة مكانا يمارس فيه مهنة التعليم ( التكملة : ٢٩٦ ) .

١١- ابن التائي ، تمام بن غالب (١) ( - ٤٣٦ / ١٠٤٥ )

٣٨- تليح العين في اللغة (٢) .

١٢- يوسف بن سليمان الشنترى المعروف بالاعلم (٣) ( - ٤٧٦ / ١٠٨٣ )

٣٩- شرح الاشعار الستة الجاهلية (٤) .

٤٠- شرح اشعار الحماسة (٥) .

٤١- شرح ابيات كتاب سيبويه ، وقد سماه : تحصيل مین الذهب من

معدن جواهر الأدب في علم مجازات العرب (٦) .

٤٢- النكت في كتاب سيبويه (٧) .

٤٣- المختصر في النحو (٨) .

(١) كان اماما في اللغة ثقة في ايرادها ، مذكورا بالديانة والعفة والسورع ، وله كتاب تليح العين في اللغة لم يؤلف مثله اختصارا او اكثارا . قال عنه ابن بسام (الذخيرة ١/٤ : ١١) انه كان أحد أعزاء ديوان الندماء في زمن المنصور بن ابي عامر . وانظر ترجمته في : جذوة المقتبس : ١٧٢ ، بغية المقتبس : ٢٣٦ ، الصلة : ١٢٤ ، انباء الرواة ١ : ٢٥٩ - ٢٦٠ ، وفيات الاعيان ١ : ٩٧ ، بغية الوعاة : ٢٠٩ ، روضات الجنات : ١٤٠ - ١٤١ ، معجم الادباء ٧ : ١٣٥ - ١٣٨ ، كشف الظنون : ٤٨١ .

(٢) فهرسة ابن خير : ٣٥٩ - ٣٦٠ .

(٣) انظر ثبوت تراجم الاعلم ص : ٩٥٥ من هذه الرسالة .

(٤) فهرسة ابن خير : ٣٨٨ ، ويوجد منه نسخة في الرباط : ٢١٣ ، ( انظر بروكلمان ط . ليدن ، الملحق ١ : ٥٤٢ ) .

(٥) فهرسة ابن خير : ٣٨٨ .

(٦) منه نسخة في القاهرة ثالث : ٤٤ ، ورامبور ١ : ٥٨٠ ( انظر بروكلمان ط . ليدن ، الملحق ١ : ٥٤٢ ) .

(٧) فهرسة ابن خير : ٣١٤ - ٣١٥ .

(٨) المصدر نفسه

- ٤٤- المسألة الرشيدة (١) .
- ٤٥- جزء فيه الفرق بين المسهب والمسهب (٢) .
- ٤٦- المسألة الزنبورية (٣) .
- ٤٧- جزء فيه مختصر الانواء (٤) .
- ٤٨- شرح ديوان زهير (٥) .
- ٤٩- شرح ديوان علقمة الفحل (٦) .
- ٥٠- شرح ديوان النابغة (٧) .
- ٥١- شرح ابيات الجمل (٨) .
- ١٣- ابو الفتح ثابت الجرجاني (٩) .
- ٥٢- شرح كتاب الحماسة (١٠) .

- 
- (١) فهرسة ابن خير : ٣١٤ - ٣١٥ .
- (٢) المصدر نفسه
- (٣) المصدر نفسه
- (٤) المصدر نفسه
- (٥) نشوء لندبرغ - ليدن ١٨٨٩ ، وطبع بالقاهرة ١٣٢٣ / ١٩٠٦ ،  
(انظر بروكلمان ١ : ٩٦) .
- (٦) نشر بالقاهرة ١٢٩٣ / ١٨٧٦ ، ١٣٢٤ / ١٩٠٧ ، ونشر ابن شنب  
في الجزائر ١٩٢٥ ( انظر بروكلمان ١ : ٩٧) .
- (٧) مخطوطة الامبروزيانا ثاني : ١٣٢ ( انظر بروكلمان ١ : ٨٩) .
- (٨) يوجد منه نسخة في مكتبة لاللي : ٣٢٥٥ ( انظر بروكلمان ٢ : ١٧٤) .
- (٩) انظر ثيتا بتراجم ابي الفتح في ص : ٢٢٦ من هذه الرسالة .
- (١٠) مخطوطة الاسكوريال ثاني : ٢٨٩ ( انظر بروكلمان ١ : ٧٩) .

١٤- أبو بكر ماصم بن أيوب البلوي (١) (- ٤٩٤ / ١١٠٠)

٥٣- شح أشعار الحماسة (٢) .

٥٤- شح كتاب الأشعار الستة الجاهلية (٣) .

٥٥- شح ديوان امرئ القيس (٤) .

١٥- أبو علي الحسن بن علي النمرى .

٥٦- شح كتاب معاني أليات الحماسة (٥) .

### ثانيا - اتجاهان في التأليف كبيران :

هذا عدد من الكتب يتحدث عن طبيعة التأليف الغالبة على

اللغة والنحو في هذا العصر . وإذا استثنينا بعض المؤلفات الصغيرة وجدنا هذا التأليف يمثل اتجاهين كبيرين : اتجاه لشح الكتب التي أصبحت عدة دراسي النحو واللغة ، وهي ثلاثة أنواع : ١- شروح لدرابين شعرية ، كديوان المتنبى والمعري ، ٢- شروح لمجاميع ، كديوان الحماسة والأشعار الستة ، ٣- شروح " للمقررات " النحوية واللغوية مثل الجمل للزجاجي والنوادر للقيلي وأدب الكتاب والنوادر

(١) كان من أهل مصرقة بالآداب واللغات ضابطا لهما . وعليه درس ابن السيد البطليوسي ( الصلة : ٤٢٢ ، وانظر بروكلمان ط . ليدن ، الملحق ١ : ٥٤٣ ، وسميه البطليوسي ) .

(٢) فهرسة ابن خير : ٣٨٨ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٨٩ ، ومن الكتاب نسخة في مكتبة فيض الله : ١٦٤٠ ، ( انظر بروكلمان ط . ليدن ، الملحق ١ : ٥٤٣ ) .

(٤) طبع بمصر ١٢٨٢ / ١٨٦٥ ، ١٣٠٧ / ١٨٩٠ ، ١٣٢٤ / ١٩٠٧ .

(٥) فهرسة ابن خير : ٣٨٨ .



المصنف وأصاح المنطق . أما الاتجاه الثاني فهو التأليف المعجمي . وهو من حيث الكم أقل بكثير من الاتجاه الأول . وإذا كان أبو عبيد البكري وابن السيد أبرز من يمثل الاتجاه الأول ، فإن ابن سيده يعتبر أكبر من يمثل الاتجاه الثاني وأن شارك بعض مشاركة في الأول . وهذا موضع التوجه الى دراسة مثلي هذين الاتجاهين ودراسة أهم مؤلفاتهم .

### (١) الاتجاه الى الشرح :

١ - أبو عبيد البكري وكتابه " فصل المقال " و " اللآلي " .

#### ١ - شيء من سيرة البكري :

ينسب عبد الله بن عبد العزيز (١) أبو عبيد الى أسرة

من الأمراء كانت تحكم ولاية وشلحيش وأوبنة وبلبة في عصر ملوك الطوائف ، الى أن تغلب عليها المعتز بن عباد من يد والد أبي عبيد أي عبد العزيز البكري فلحق الأب بقرطبة ومعه عائلته جميعا ، وصف ابن حيان هذا الحادث بقوله : " وبشر منه رجلا سريا عاقلا غنيفا أديبا يفوق صاحبه ابن يحيى حالا وخالا الى زيادة عليه بهيت السرو والشرف ، وابن له بذ الاقوان جمالا وسهاء وسروا وأدبا ومعرفة يكنى أبا عبيد " (٢) . وعاش أبو عبيد في قرطبة بعد لجوء اعمامه اليها . ويقول الدكتور حسين مؤنس : " ولا ندري كم أقام أبو عبيد في قرطبة ،

(١) ترجمته في : الذخيرة للقسم الثاني : ١٢ مخطوطة بغداد ، والملة : ٢٧٧ ، والحلة ٢ : ١٨٠ ، القلائد : ١٩١ ، الوافي بالوفيات ٦ : ٢١٨ . وأنار  
مأجمعه الأستاذ اليميني من تراجمه في صدر سبط اللآلي .  
(٢) الذخيرة ، القسم الثاني الورقة : ٩٢ - ٩٨ ، مخطوطة بغداد ، الحلة  
السراء ٢ : ١٨٢ .

ولكن الثابت انه لم ينادرها الا بعد ان ذاع صيته بالعلم ورغب بعض أمراء النواحي في ان ينتقل الى بلادهم " (١). وفي هذه الفترة اتصلت الاسباب بينه وبين بعض شعراء قرطبة فنراه يمدح الوزير المعروف بابن السَّقاء ولكن شعوره لا يدل كثيرا على تمكن في الشاعرية . ويرى الدكتور مؤنس انه الف في هذه الفترة كتابه التبيين على اوهام ابي علي في أماليه ، لأن الكتاب يحمل طابع الشباب والرغبة في الظهور عن طريق تعقب شيخ من شيخ الادب كابي علي القالي (٢). ولكن اعتقد ان هذا الاستنتاج غير صحيح ، ان تدل مقدمة الكتاب على انه الفه للمعتد بن عباد ، وهذا يعني انه متصل بفترة اقامته في اشبيلية لا في قرطبة . وأيضا كان الامر فان ابا عبيد أخذ يتقل معرجا على أمراء الطوائف . ويذكر ابن البار في الحلة انه صار الى محمد بن معن صاحب المروة ، فاصطفاه لصحبته وآثر مجالسته والأنس به ورنع مرتبته ووفى طعمته (٣). وكان ابن صمّاح هو صاحب المروة ، ويبدو ان ابا عبيد لم يحل الإقامة في كنفه ، وانما آثر الارتحال الى اشبيلية في كنف المعتد بن عباد ، وظل فيها الى ادركته منيته سنة ٤٨٧ / ١٠٩٤ . ويورد له النويري شعرا يهنئ به المعتد بفتح تمّ سنة ٤٧٧ / ١٠٨٤ (٤).

وتطلب المصادر في سرد الفرائد العلمية لدى ابي عبيد فتقول انه " كان من اهل اللغة والآداب الواسعة ، والمعرفة بمعاني الاشعار والخريب والانساب والاخبار ، متقنا لما قيده ضابطا لما كتبه ، جميل الكتب متبهما فيها ، كان يمسكها فسي

(١) صحيفة معهد الدراسات الاسلامية مجلد ٧ ، ٨ ص : ٣١١ .

(٢) المقالة السابقة : ٣١٢ .

(٣) الحلة السيرة ٢ : ١٨٦ ، وانوار الوافي بالوفيات ٦ : ٢١٨ .

(٤) نهاية الارب ١ : ٤٣ .

سباني الشرب وغيرها اكراما لها وصيانة" (١). ويقول فيه ابن بستم : " كان  
بأنقضا آخر علماء الجزيرة بالزمان ، واولهم بالبراعة والاحسان ، وابعدهم في العلوم  
طلقا . . . ولولا تأخر ولادته وعهدة في زواجه ، لأنسى ذكر كنيه المتقدم  
الأوان (ابن عبيد بن ساتم) " (٢). وبلغ من الشهوة حدا ان كان ملوك الاندلس  
يتهادون مصنفاته (٣) .

وقد تحدثت المصادر عن ولعه بالخمر ، واتهمه الفتح في القلائد بأنه  
" كان مباركا للراح لا يصحو من خمارنا ولا يحو رسم امانه من مزارعا " (٤). ولكني  
أؤيد الدكتور مؤنس في ما ذهب اليه من شك في هذه المبالغة ، اذ ان من الف  
هذا القدر من الكتب لا يمكن ان يكون مدنسا . وكل ما نستطيع ان نقوله ان ابا  
عبيد كان يشرب الخمر متأثرا بشياع ملك ابيه ، وبالوضع الذي كانت عليه الاندلس ،  
فكان شهه لها ضرها من التسلية والتعاسا للسلوان (٥) .

ولما توفي ابو عبيد كان قد نيف على الثمانين . وقد رآه الفتح وهو في  
سنّ كبيرة ، ووصفه بقوله " رأيت ، وانا غلام ما اقصر هاللي ولا نبع في الذكاء  
كوثرى ولا زلاي ، في مجلس ابن مندور ، وعوفي همة كأنما كسيت بالهاء والنسور ،  
وله سبلة يروق العمون ايامها ، وفوق السواد يماضها وقد بلغ سنّ ابن محلم  
وهو يتكلم ففوق كل متكلم " (٦) .

(١) الصلة : ٢٧٧ .

(٢) الذخيرة القسم الثاني الورقة : ٩٧ مخطوطة بغداد .

(٣) الوافي بالوفيات ٦ : ٢١٨ .

(٤) قلائد العقيان : ١١١ .

(٥) انظر مقالة الدكتور مؤنس : ٣١٥ .

(٦) القلائد : ١١١ ، والاشارة الى عوف ابن محلم ، الذي يقول :  
ان الثمانين وبلغتها قد احوجت سمعي الى ترجمان

وقد درس أبو عبيد كثيرا من الأصول اللغوية التي جلبها القالي إلى الأندلس  
وقد تقدم النبر عن شدة غوامسه باقتناء الكتب ، لذلك كان فيه ثقافة شديدة التصوع .  
وقد عدّ له الأستاذ اليمني اثني عشر مؤلفا ، بعضها في الجغرافيا وبعضها في  
النبات وفي أعلام النبوة . ومن العريف أن تكون ثقافته اللغوية أساسا هاما في  
الاتجاه المعجمي الذي سار فيه . فكتابه "معجم ما استعجم" هو استخراج لأسماء  
الأماكن من الأخبار والحديث والتواريخ والأشعار . وكتابه في النبات ذو صلة وثيقة  
أيضا باللغة . وكان أبو عبيد من القادرين على أن يوجه جهوده في الاتجاه المعجمي  
اللغوي لما أوتي من سعة في الاطلاع ، ولكنه آثر الشرح والتعقب لأسماء الكتب  
المشرقية . ولعل ذلك إنما يعود إلى اكتفائه بالعين والبارع وانحراجهما في الناحية  
المعجمية . فمن كتبه التي تمثل الاتجاه إلى الشرح :

ب - فصل المقال في شرح كتاب الامثال لأبي عبيد القاسم بن

سالم

لقي كتاب أبي عبيد اهتماما في المشرق والمغرب

واعتنى به الأندلسيون أنفسهم في دور مبكر فخصه ابن عبد ربه في كتاب العقد .  
ثم كان من جملة الكتب التي أدخلها القالي أيضا إلى الأندلس ، وتلقاه عنه  
تلاميذه . وبعد كتاب "فصل المقال" من أهم الشرح والتعليقات الأندلسية عليه .  
وكتاب أبي عبيد الهكري معرض لسعة اطلاع مؤلفه ، فقد أشار فيه إلى ما يترب مسن  
ثلاثين كتابا نقل عنها (١) . ووجه إلى مؤلفين في الامثال من لم يشر إليهم أبو عبيد  
القاسم في كتابه ومن هؤلاء :

(١) مقدمة فصل المقال : ك

عبيد بن شوشة ، وعلاقة بن كرشم الكاذبي وأبو عمرو بن السعلاء ،  
 ( - حوالي ١٥٤ / ٧٧١ ) ، واللحياني : علي بن حازم ، كما ان هناك مصنفات  
 أخرى هامة استفاد منها البكري ، صنف بعد وفاة ابي عبيد القاسم ، ومن اصحابها :  
 ابن الاعرابي : ( - ٢٣١ / ٨٤٦ ) الذي الف كتابا عنوانه " تفسير الامثال " ، ويحتوب  
 ابن السكيت ، ( - ٢٤٤ / ٨٥٨ ) ، وله كتاب في الامثال ، والجاحظ ( - ٢٥٥ /  
 ٨٧٠ ) وله كتاب في الامثال . وقد اورد الجاحظ كذلك مجموعة من الامثال في  
 كتابيه الحيوان والبيان والتبيين ، من المحتمل ان يكون البكري قد استفاد منها ، وابو  
 محمد عبد الله بن قتيبة ( - ٢٧٦ / ٨٨٩ ) ، وله كتاب " حكم الامثال " ، غير ان  
 البكري لم يورد اسم الكتاب بل اورد اسم الكاتب فقط ، والمفضل بن سلمة  
 المتوفى ( - حوالي ٢٩٠ / ٩٠٣ ) ، وكتابه " الفاخر في الامثال " من الكتب التي وصلتنا<sup>٥</sup> ،  
 واحمد بن يحيى ثعلب ( - ٢٩١ / ٩٠٤ ) وله كذلك كتاب في الامثال (٢) .

وقد أوجز البكري منهجه في الكتاب وغايته منه في المقدمة حيث قال :  
 " فاني تصفحت كتاب الامثال لابي عبيد القاسم بن سالم فرائته قد أغفل تفسير كثير من  
 تلك الامثال ، فجاء بها مهملة ، واعرض أيضا عن ذكر كثير من اخبارها ، فأورد ما  
 مرسله . فذكرت من تلك المعاني ما أشكل ، ووصلت من تلك الامثال بأخبارها ما فصل ،  
 وبينت ما أهمل ، ونهيت على ما ربما أجمل ، الى ابيات كثيرة غير منسوبة نسبتهما ،  
 وامثال جمعة غير مذكورة ذكرتها ، والفاظ عدة من الغريب نسرتها " (٣) .

وانما قام البكري بهذا العمل لأن الكتاب المشرح اعتمد الايجاز اسلوبا

(١) طبع بليدن عام ١٩١٥ ومصر عام ١٩٦٠ .

(٢) انظر مقدمة المحققين على كتاب فصل المقال .

(٣) مقدمة البكري : ٣ .

له ، ووقع مؤلفه في الوبم أحيانا ، وهذا أتاح للبكرى ان يشن هجوما قويا على بعض الهنات في مواضع كثيرة من الكتاب ، مثلما فعل في باب "حياسة الرجل الحر نفسه عن خيس المكسب" (١) :

" قال ابو عبيد : وقال الشاعر :

فتى كان يدينه الغنى من صديقه اذا ما هو استغنى ويبعد الفقر

قال : وهذا البيت يقول بعضهم انه لعثمان بن عفان . . " فيثور البكرى قائلا : " كيف جهل أبو عبيد ان هذا البيت من شعر الايبرد اليهودي ، وهو أشهر في الناس من ان يجهله احد . . وانما روي عن عثمان . . انه قال البيت متثالا . . وقد تتبع البكرى ابا عبيد القاسم في غير ذلك من الاوهام ، في النسب وفي صحة الاسماء وفي الشج والتوجيهات اللغوية .

غير ان البكرى ليس دائما منصفا في احكامه ، وهو في مرات كثيرة يجانب الصواب في تحسفه . فقد فسّر ابو عبيد القاسم المثل " عند فان ممن المال عائرة عين " بان لديه من كثرة المال ما يملأ العين حتى يكاد يعورها ، فقال البكرى : " قبح الله كل مال يكاد ينفق العين حين النظر " . والسواقع ان علماء آخريين قبلوا هذا التفسير ، وان البكرى لم يزد على ان اختار توجيه ابي عبيدة في فهم المثل (٢) . كما ان البكرى وقع في كثير من الاحيان فيما لام فيه ابا القاسم . فهو يورد اشعارا دون نسبتها الى اصحابها (٣) .

ولا ريب في أن الكتاب قيم من الناحية اللغوية أولا بما احتواه من

(١) فصل المقال : ٢٣٥ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٢٢ والتعليقات .

(٣) المصدر نفسه : ٢١٢ .

تحقيق في الأصول والأخبار وتدقيق في الروايات الشعرية وثانيا فیهما اعتد ابو عبيد شرحه من الالفاظ اللغوية وهو يمثل مع " اللآلي " جهدا علميا في استكمال اصلين من أصول اللغة ، فهما أشبه شيء بتدليل ملحق عليهما للتوسيع والتصويب ، ولا يحسن مثل هذا العمل الا لغوى واسع الاطلاع كالبكرى .

### ج - اللآلي في شرح امالي القالي :

قال البكرى في مقدمة كتابه : " هذا كتاب شرحت

فيه من النوادر التي املاها ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي ما اغفل ، وبينت من معاني منطوقها ومنشورها ما اشكل ، ووجلت من شواهدا وسائر اشعارها ما قطع ، ونسبت من ذلك الى تأليه ما اعمل ، وكثيرا ما يرد البيت المفرد ، والشعر النفل المجرد . . . وذكرت اختلاف الروايات فيما نقله ابو علي ذكر مرجح ناقد ، ونسبت على ما وهم فيه تنبيه منصف لا متعسف ولا معاند ، محتج على ذلك بالدليل والشاهد . . . " (١) .

وأول ما نلاحظه في هذه المقدمة ذلك التقارب بينها وبين خطبته في

فصل المقال . فكلتاها ترسم منهج البكرى رسما واضح الحدود والسمات .

لقد كان الاستقصاء ميزة مهمة من ميزات البكرى ساعدته على هذا النوع من التأليف . وهذا الاستقصاء لا يتمثل بتتبع الاخطاء فحسب ، وانما يظهر واضحا أيضا بالبحث في الصحيح أيضا وإيراد الروايات المختلفة فيه وشرح جوانبه النامية ، سواء اكانت نثرا أم شعرا .

ونستطيع ان نجد مثلا على شرح البكرى في حديثه عن المهلهل . فلقد

جاء في الكتاب (٢) :

(١) اللآلي في شرح الامالي ، المقدمة : ٤ .

(٢) اللآلي : ١١١ .

"وانشد ابو علي المهلهل :

فلو نهش المقابر عن كليب . . . . ."

يبدأ البكري شرحه بنسب المهلهل فيقول :

"مهلهل اسمه امرؤ القيس بن ربيعة بن الحارث من بني تغلب بن وائل . . . " وقد  
اورد النسب ولاحظ ان هناك اكثر من رواية في اسمه فقال : " وتيسل اسمه عدى " .  
وكان لا بد ان يورد الشاهد على هذا الاسم الاخير ، والشاهد قول المهلهل نفسه :

ضربت صدرها الي وقالت يا عديا لقد وقتك الا واتي

ولكنه يورد ايضا شاهدا تأييدا لقول من قال ان اسم المهلهل امرؤ القيس :

ضربت صدرها الي وقالت يا امرأ القيس حان وقت الفراق

ثم يفسر البكري سبب تسمية امرؤ القيس بالمهلهل فيقول :

" وانما لقب مهلهلا لأنه اول من همل الشعر اي رقه " . ثم يورد قول الدوسي :  
سُمي مهلهلا ببيت قال لزهير بن جناب ،

لما توعّر في الكراع هجينهم هلملت أثار جاهرا او صهلا "

ثم يورد الابيات نفسها شارحا اللفاظ الغريبة منها :

" شاعر جاهلي ، وهذا الشعر يقوله لما ادرك بثار اخيه كليب ، واسم كليب  
وائل وكنيته ابو العاجدة ، وانما لقب كليبها بالجرو الذي اتخذه ، قال مهلهل :

فلو نهش المقابر عن كليب	فيخبر بالذئاب اي زير
بيوم الشعثين لقر عنها	وكيف اياب من تحت القبور
باني قد تركت بواردات	بحيرا في دم مثل العير
وهما بن مرة قد تركا	عليه القشمان من النور



والبكى يأخذ على التالي أحيانا أنه لا يدقق فيما يرويه . من ذلك،  
مثلا ، حين ينقل عن التالي البيت التالي (١) :

فما ذقت طعم النوم منذ هجرتكم ولا ساع لي بين الجوانح ويق  
فيعلق البكى قائلا :

" هكذا رواء ابو علي ، وما يجمع بين الاروى والنعام ، كيف يقر على نفسه  
بالهجران وهو يدعي من شدة الوجد وزفرات الحب ما يدعيه . والرواية الصحيحة :

فما ذقت طعم النوم منذ نأيتهم . . . "

ومن ذلك ايضا : " وقال ابو علي ان أصل المثل في قولهم : سبهق  
السيف الحذل ، للحارث بن ظالم ، وهذا وهم ، وانما أصله لنبهة بن أرق  
والمقتول الحارث بن كعب " (٢) .

غير ان البكى لم يكن دائم التوفيق في استقصائه واعتراضاته ويؤخذ عليه  
في هذا المجال ملاحظات منها :

انه اخذ على التالي في كثير من الاحيان وقوعه في اوامع يعود " اكثرها . .  
على اشياخ التالي كاهن دهر وغيره " (٣) .

وهناك امثلة كثيرة على خلاف البكى مع التالي ، في غير موضوع  
للخلاف ، حين يختار البكى رواية ما ويرفض الرواية التي اختارها التالي مع ورود  
الروایتين وجوازهما .

- 
- (١) البالاسي : ١٣٠ .  
(٢) المصدر نفسه : ٣٢٤ .  
(٣) مقدمة الميعني : س .

والبكوى يتهم القسالي في مواضع كثيرة بالخلط بين شعريين مختلفين أو  
بتركيب بيت من شطرين متباعدين أو خلاف ذلك من الإوهام التي مرت بنا حين  
تحدثنا عن كتاب البكوى الذى جعله بعنوان " التنبه على أوهام أبي علي في أماليه " .  
وقد اعترضت البكوى آيات لم يستطع تخرجها وردّها الى أصحابها ، أو لم يستطع  
تفسيرها وذكر مناسباتها . وكان في مثل هذه الاحوال يتروك فراغا ليدل به على ان  
هناك خلا لا لم يستطع ان يصلحه اولم يتسن له ذلك . ومثل هذا نجده في النسخة  
المطبوعة حيث نجد العبارة التالية : " بقي كالم المؤلف هنا قدر سطرين مبهض في  
الأم " (١) .

ورغم ما قد يؤخذ على البكوى من حماسة ومن شطط أحيانا في معالجته  
لعمل القسالي ، ورغم ما قد يكون في شرحه من غرور ونقص ونحو أحيانا ، فانه قد  
بذل مجهودا عاليا وتقصّى واعدا لنا فوائد كثيرة ، بما بين من غوامض الاحداث ، وما  
شرح من شتى المناسبات . وكان على الغالب امينا في علمه ، صامرا في تتبع  
شوارد العلم والادب والتاريخ واللغة .

٢ - ابن السيد البهليوسي (٢) وكتابه " شرح السقط " و " الاقتضاب "

### ١ - سيرة ابن السيد :

هو عبد الله بن محمد بن السيد البهليوسي نسبة الى

بهليوس . ولد فيها سنة أربع وأربعين وأربعمائة ( ١٠٤٨ م ) .

(١) السالكى : ٤٤٨ .

(٢) انظر ترجمته في الصلة ١ : ٢٨٢ ، وفيات الاعيان ٢ : ٢٨٢ ، قلائد العقيان :

١٩٣ ، غاية النهاية في طبقات القراء ، ابن الجوزى ١ : ٤٤٩ ، معجم البلدان

٢ : ٤٤٢ ، بنية الوعاة : ٢٨٨ ، كشف الظنون : ٤٨ ، شذرات الذهب

٤ : ٦٤ ، الديباج المذهب : ١٤٠ ، ازهار الياض ٣ : ١٠١ - ١٠٢ .

ومع ان بطليوس في المدينة التي ولد فيها وانتسب اليها ، الا انها لم تكن اساسا مقاما لانسوة فان " شلب يذنته ، ومنها كانت حركة أبيه ونهضة ، وفيها كان قرارهم ، ومنها نم آسهم وعرارهم ، ونسب الى بطليوس ، لمولده بها " (١) .  
على أية حال ، لسنا نملك من الاخبار ما يعيننا على استكشاف نشأة ابن السيد ، لذلك لا نستطيع ان نحدد متى ترك بطليوس ، ولماذا تركها . وقد توجه أول الأمر الى مدينة قوطبة وسكنها لفترة من الزمن أيام محمد بن الحاج (٢) . غير انه ورط نفسه بهوى ثلاثة صبيان من اولاد أحد المتقذين ، وخاف على نفسه منه ففر من قوطبة وخرج الى بلنسية (٣) . ويبدو ان المقام في بلنسية كان اكثر هدوءا واستقرارا ، فلم يخطر الى الانتقال الى بلد جديد ، بل مكث هناك ، " وألف بها تواليفه الى ان توفي " (٤) . وكانت وفاته سنة احدى وعشرين وخمسمائة (١١٢٢ م) .

ودرس ابن السيد في اول الامر على أخيه علي بن محمد (٥) . غير انه كان له اساتذة آخرون فقد روي عن ابي بكر عاصم بن ايوب الأديب ، وعن ابي سعيد الوراق ، وابي علي النسائي وغيرهم (٦) . وقرأ على عبد الله بن محمد بن خلف الداني (٧) .

وقد درس عليه تلامذة كثيرون وعرف بانه " كان حسن التعليم جليلا

- 
- (١) أزهار الرياض ٣ : ١٠٥ .
  - (٢) انباء الرواة ٢ : ١٤٢ ، بغية الوعاة : ٢٨٨ .
  - (٣) انباء الرواة ٢ : ١٤٢ - ١٤٣ ، بغية الوعاة : ٢٨٨ .
  - (٤) انباء الرواة ٢ : ١٤٣ .
  - (٥) الصلوة ١ : ٢٨٢ ، الديباج المذهب : ١٤٠ .
  - (٦) الصلوة ١ : ٢٨٢ ، الديباج المذهب : ١٤٠ - ١٤١ .
  - (٧) غاية النهاية في طبقات القراء ، ابن الجزرى ١ : ٤٤٦ .

التلقين ثقة غابظا ، أخذ الناس عنه وانتفعوا به " (١) وشهر بالاستاذية في النحو والعربية فكان الناس يقصدونه " ويقرأون عليه ويقتبسون منه " (٢) .

وقد امتدحه كثيرون وقالوا عنه انه " الفحوى اللغوى صاحب التصانيف والشعر " (٣) ، وانه " الامام المشهور في اللغة والعربية " (٤) وانه " كان عالما بالآداب واللغات مستبحرا فيهما ، متدما في معرفتهما واتقانتهما " (٥) . غير ان آخرين بالغوا في المدح وادّبعوا في الثناء نجا في كتاب المترى التلمساني انه " الفقيه الحافظ ، الامام الاوحد " (٦) ، وانه " من حيث كان فقد طبق الأرض علما ، ومأما ذكاه وفهما " (٧) . وقال عنه ابن خاتان : " شيخ المعارف وامامها ومن في يديه زمامها ، لديه تشدد نوال الاعراب وتوجد شوارد اللغة والاعراب الى مقطع دمث ومنزع في النفاسة غير منكث . . . . . وقد نصب نفسه لاقرأ علوم النحو وقمع بتفصيلهم جوه بعد الصحو . وله تحقق في العلوم الحديثة والقديمة وتصرف في طرقها التوفية ، ما خرج بمصرفتها عن مخار شرج ولا نكب عن أصل للسنة ولا فرع " (٨) . ووضح ان ابن خاتان يخلط هنا بين علم ابن السيد وأخلاقه ، ويحاول ان يبرز معرفته بالعلوم الحديثة دون ان يورطه بتهمة التكبر عن الدين . ومن اقتباسنا السابقة نستطيع ان ندرك ان اللغة والدراسات اللغوية هي التي استأثرت باهتمام ابن السيد .

(١) الديباج المذهب : ١٤١ .

(٢) وفيات الاعيان ٢ : ٢٨٢ .

(٣) معجم البلدان ٢ : ٤٤٧ .

(٤) غاية النهاية ، ابن الجزرى ١ : ٤٤٦ .

(٥) الدلة ١ : ٢٨٢ ، وفيات الاعيان ٢ : ٢٨٢ ، الديباج المذهب : ١٤١ ، انباء

الرواة ٢ : ١٤١ ، شذرات الذهب ٤ : ٦٤-٦٥ ، بغية الوفاة : ٢٨٨ .

(٦) ازهار الرياض ٣ : ١٠٥ .

(٧) المصدر نفسه

(٨) قلاند العتيان : ١٩٤ .

ولكنه كان مكثرا من الشعر والترسل . ودراسة هذا القدر الكبير الذي تبقى من أدبه يخرجنا الى غير ما قصدنا له في هذه الرسالة .

### ب - شرح سقط الزند : \*

ذكرت فقه من المترجمين هذا الكتاب (١) ، وامتدحه بعضهم وقالوا ان ابن السيد " شح سقط الزند لابي العلاء المعري شرحا استوفى فيه المتأصلا وهو أجود من شح ابي العلاء صاحب الديوان الذي سماه ضوء المسقط " (٢) . وقد رتب ابن السيد قصائد المعري حسب ترتيب المناراة لحروف الابجدية (٣) .

وهذا الترتيب الذي اتبعه ابن السيد أخرجه أحيانا عن ديوان المسقط لعدم توفر القوافي التي تسد الحروف كلها . وفي ذلك يقول : " فاحتجت لذلك ان أزيد فيه ما يفي بالضرورة " (٤) ، وكان لا بد لي يني بالعرض ان يزيد القوافي التالية :  
الطاء ، الداء ، الذال ، الشين ، الناد ، الداء ، الخين ، الهاء ، من غير سقط الزند . ومع ذلك فانه لم يشرح كل ما شرحه الآخرون من ديوان المسقط بل ترك أحيانا مقاديع دون شح كما هو الحال في المقاديع التي مطلعها (٥) :

أعاض من اورد البحر ذوده فلما تروّت سار شوطا الى نجد

- 
- \* انظر تعليق الأستاذ محمد سليم الجندی على هذا الشح : الجامع في اخبار ابي العلاء المعري وآثاره : ٧٧٠ ، ط ١٩٦٣ .
- (١) وفيات الاعيان ٢ : ٢٨٢ ، شذرات الذهب ٤ : ٦٥ ، انباء الرواة ٢ : ١٤٢ ، بغية الوعاة : ٢٨٨ ، كشف الظنون : ١٩٢ .
- (٢) وفيات الاعيان ٢ : ٢٨٢ ، وانذار أينما : كشف الظنون : ١٩٢ ، شذرات الذهب ٤ : ٦٥ .
- (٣) ان نشر هذا الشح مع شوكين آخرين اقتضى من المحققين اعتماد أقدم الشروح وبذلك انحرب الترتيب الذي اختاره المؤلف (انظر مقدمة التحقيق ص : ل )
- (٤) شح سقط الزند ١ : ١٥ .
- (٥) المصدر نفسه ١ : ٣٩٠ - ٣٩١ .

ويمتاز أسلوب ابن السيد في شرحه أنه يعتمد السجع والتكرار في العبارات .  
غير أن هذا السجع ليس متكلفا مستقلا ، وإنما يأتي مقبولا إذا قارناه بأساليب الكثيرين  
من تلك العهود . يقول في شرح هذا البيت :

وتوقّ أمر الغانيات فانه أمر اذا خالفته لم تدم

؛ " احسن الفوارس همة من لا غرض له الا أخذ المغانم ، واعلانهم همة من غرضه  
اقتناء المكام ، فلا ترض لنفسك الا بأعلى المراتب ، ولا تكسب الا أسنى المكاسب .  
واحذر امر النساء ، فان الميل اليهن يُعوق عن الترقى الى الرتب السامية ، ويبل  
الخلط العالية " (١) .

ويذهب ابن السيد كثيرا الى المقارنة بين أبيات أبي العلاء وما يتقابلها  
من أبيات المتنبّي ، فالمتنبّي ماثل أبدا <sup>لهمينه</sup> ~~لهمينه~~ ولهذا سببان أولهما أن ابن السيد  
قام بشرح ديوان أبي الطيب . وثانيهما أن أبا العلاء نظم سقط الزند وهو ما  
يزال تحت تأثير المتنبّي وطريقته الشعرية (٢) . غير أنه لا يكتفي بعرض السقط  
على ديوان المتنبّي بل يذهب الى مقارنة بأشعار شعراء آخرين كلما وجد المعاني  
متقاربة أو يجعل بعض شعره منسرا لبعضه الآخر وبذلك يظهر ادراعه وتعديته في  
رواية الشعر (٣) .

وكان لا بد لهذا الشرح من أن يعكس صورة ابن السيد النحوي اللغوي ،  
اذ تكثر فيه المسائل النحوية والتعمّن للتحقيقات اللغوية . مثال ذلك ، حين يشرح  
بيت أبي العلاء :

- 
- (١) شرح سقط الزند ١ : ٣٢٢ - ٣٢٨ .  
(٢) انذار اعتماد ابن السيد على المقارنة بالمتنبّي في ص ٩٩ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ٢٠٨ وغيره الكثير  
(٣) انذار أمثلة من ذلك : ١٦٣ ، ١٦٦ ، ٢٢١ ، ٢٣٩ ٠٠٠ السخ .

ويضحى والحديد عليه شاك وتكنيه مهابته المنزلا

فانه يقول : " يتال رجل شاك في الماح ، منقوس على وزن تاس ، وشاك بضم الكاف والتخفيف ، وشاك بضم الكاف والتشديد . فمن كسر الكاف وجعله منقوصا مثل تاس ففيه وجهان : أحدهما ان يكون مقلوبا من شاك كما قالوا جرف همار ، وأصله هائر . والثاني ان يراد به شاك ، وهو فاعل من الشكة ، فأبدلت الكاف الثانية ياء ، ثم أعل كما أعل قاض ... " (١).

ومن الداعي ان يعتمد كل ماح على الاستشهاد بما يقوى رأيه او موقفه ولذا فان شرح السقط كثيره من كتب الشرح ملئوا بالشواهد الموضحة من آيات واحاديث وامثال وتفسيرات لفظية واختلاف في الآراء حول اللفظة الواحدة أحيانا ، مع ذكر لمحاب الرأي المعتمد . الا أن نسبة الآراء الى تأليلها قليلة لديه ومن هذه المواضع النادرة قوله : " .. والبرود الثياب . وقال ابو حاتم : لا يقال لها برود حتى يكون فيها وشي " (٢) ، وقوله : " والعمرى : الجبان الكثير ، في قول الاصمعي ، والشديد ، في قول ابي عبيدة ... " (٣).

### ج - الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ،

ذكر اكثر الذين ترجموا لابن السيد كتابه " الاقتضاب في

شرح أدب الكتاب " ، وقالوا عنه انه " شرح مفيد جدا " (٤) . وقد عرفه بعضهم

- 
- (١) شرح سقط الزند ١ : ٦٦ . وانظر كذلك : ١ : ١٣٤ ، ١٦٤ ، ٢١٢ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٢٧١ ، ٢٩١ ، ٣٣٠ الخ ...
- (٢) شرح سقط الزند ١ : ٣٠٥ .
- (٣) المصدر نفسه ١ : ٣٣١ ، وانظر ١ : ٣٤١ ومواضع أخرى .
- (٤) كشف الظنون : ٤٧ .

باسم " الاقتضاب في شرح آداب الكتاب " (١) أو " شرح أدب الكاتب " (٢). وقد كان ابن السيد أحد شراح اندلسيين كثيرين تناولوا كتاب ابن قتيبة بالشرح ولا ندري كم أفاد من شرح من سبقه ولكن أبا عبد الله بن خلعة النحوي كتب رسالة ناقض فيها الباليوسي وانتهى بانه أغار على شرح لابن بلال المرسي وانتحل له لنفسه وسماه بالاقتضاب (٣)، ولا ندري مبلغ الانداز في هذا القول ولكن يبدو أنه من قبيل المغايرة بين المتعاصرين . وتظهر الغاية من تأليف الكتاب واضحة في الجزء الثاني منه . فابن السيد في هذا الجزء يتبع ابن قتيبة في أكثر من نوع من أنواع الخطأ فقد جعله " في التبيين على ما غلط فيه واضح الكتاب " (٤) . فالفكرة الرئيسية في الكتاب هي تتبع أغلاط ابن قتيبة وأوعامه ومتناقضاته . غير أن هناك القسم الأول في شرح خطبة ابن قتيبة ، والقسم الأخير في شرح أبيات كتابه . وهذا يعني أن الكتاب يقع في ثلاثة أقسام :

١ - " تفسير خطبة الكتاب الموسوم بأدب الكتاب وذكر أعيان الكتبة ومرتبتهم وجل ما يحتاجون إليه في صناعتهم " (٥) .

٢ - " والجزء الثاني في التبيين على ما غلط فيه واضح الكتاب أو الناقلون عنه وما منعه منه وهو جائز " (٦). وفي هذا الجزء يتحدث في " نكت من هذا الديوان يجب التبيين عليها والإرشاد إليها " (٧) .

- |     |                  |               |
|-----|------------------|---------------|
| (١) | الديباج المذهب : | ١٤١ .         |
| (٢) | مغية الوعاة :    | ٢٨٨ .         |
| (٣) | التكملة :        | ٢٠ .          |
| (٤) | الاقتضاب :       | ٢ .           |
| (٥) | المصدر نفسه :    | ٢ ( ١٠٥ - ) . |
| (٦) | المصدر نفسه :    | ٩ ( ٢٨٦ - ) . |
| (٧) | المصدر نفسه :    |               |



٣- والجزء الثالث في شرح أبياته . وهو ما هنا يتحدث في " مشكل اعراب أبياته ومعانيها وذكر ما يحضر ٠٠٠ من أسماء قائلها " (١).

ويبدو واضحاً في هذا التقسيم الهدف التعليمي للمؤلف، لكنه أيضاً معلم عالم فهو لا يكتفي بالشرح وإنما يتتبع الخطأ حيث وجده ويحاول الوصول الى وجه الصحيح . وهذه هي ضروب الخطأ التي تعقبها :

١- الموانع التي غلط فيها ابن قتيبة فنبه ابن السيد عليها . ففي باب " ومن المصادر التي لا أفعال لها " (٢) يقول ابن السيد : " ترجمة هذا الباطل مخالفة للكثير مما تنمضه لأنه ذكر فيه مصادر لها أفعال مستعملة . فمنها قوله : وجل غمر أى لم يجرب الأمور بين الغمارة من قوم أغمار . وهذا فعل مستعمل ، يقال : غمر الرجل غمارة على مثال قبح قباحة " (٣) . ومنها قوله كلبة صارف بينة الصريف وناقصة صروف بينة الصريف ، فهذا له فعل مستعمل أيضاً ، يقال : صرفت الكلبة " (٤) . مثال آخر على ذلك نجده حين يتتبع تفسير ابن قتيبة لبیت عمرو بن قميئة :

" بؤدك ما قومي علي ان تركتهم سليماً اذا هبت شمال وريحها " وقال معناه على ودك " (٥) يقول ابن السيد : " كذا قال يعقوب في كتاب المعاني ومنه نقل أكثر هذه الابواب . وقد غلط يعقوب في معنى البيت واتبعه ابن قتيبة على غلطه . وليس في هذا البيت حرف ابدل من حرف ، ولا ما فيه

(١) الانتساب ١ : ٢٠٢ ( ٢٨٢ - ٤٧٧ )

(٢) المصدر نفسه : ١٨٢ .

(٣) المصدر نفسه

(٤) المصدر نفسه

(٥) المصدر نفسه : ٢٥٦ - ٢٥٧ .

زائدة على ما قال . انما الباء ها هنا بمعنى القسم وما استفهام في موضع رفع على الابتداء ، وتومي خبره . والمعنى بحق العودة التي بيني وبينك اى شي " تومي في الكرم والجود عند هبوب الشمال ، يريد زمان الشتاء .. " (١).

٢- تتبع الخطاب ابن قتيبة حين يميز في موضع من كتابه ما منه في موضع آخر . مثال ذلك : " وقال في هذا الباب : أغامت السماء وأغيمت وتغيّمت وتغيّمت ، ولم يجر غامت . قال المفسر : قد أجاز في باب نعلت وأنعلت باتفاق المعنى : غامت السماء وأغامت ، ونسي ها هنا ما قاله هناك " (٢). مثال ذلك أيضا : " وقال في هذا الباب وهو بثق السيل وهو ملك يميني . قال المفسر : قد ذكر في باب ابيّة الاسماء من كتابه هذا انه يقال بثق وبثق وملك وملك ، ونسي ها هنا ما قاله هناك " (٣).

٣- أشياء جعلها من لحن العامة " وعول في ذلك على ما رواه ابو حاتم عن الاصمعي وأجازها غير الاصمعي من اللغويين كاهن الاعرابي وابي عمر الشيباني ويونس وابي زيد وغيرهم . وكان ينبغي له ان يقول ان ما ذكره هو المختار او الافصح ، او يقول هذا قول فلان ، وان لا يجحد شيئا وهو جائز من أجل انكار بعض اللغويين له ، فيقول ذلك رأى غير صحيح ومذهب ليس بمسديد " (٤). ومن امثلة هذا النوع من انواع التبع : " وقال في هذا الباب - باب مالا يهمز والعوام وتهمزه - علقت الدابة ولم يجر أعلقتها . قال المفسر : قد حكى ابو اسحاق

(١) الاقتضاب : ٢٥٢ . وانظر : ٢٣٠ ومواضع اخرى كثيرة .

(٢) المصدر نفسه : ١٩٢ .

(٣) المصدر نفسه : ٢٠٥ ، وانظر أيضا : ١٨١ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ،

السخ ..

(٤) المصدر نفسه : ١٠٦ .

الزجاج ، علفت الدابة وأعلقتها " (١). مثال ذلك أيضا في " باب ما جاء بالصاد وهم - اى الحامة - يقولونه بالسين " : " وقال في هذا الباب بخصت عينه بالصاد ولا يقال بخصتها ، انما البخن النقصان . وذكر صنجة الميزان والصباح والصندوق ويصق الرجل وبزق ، ولم يجز السين في شيء من ذلك . قال المنسر ، هذه الاشياء كلها تقال بالصاد والسين . حكى ذلك الخليل وغيره . فاما البخن الذى يراد به النقصان ، والمنجة التى يراد بها مشاة الكتان فبالسين لا غير " (٢). ويلاحظ ان ابن السيد في هذا المثل الأخير ، وفي امثلة اخرى كثيرة ، يتجنى على ابن قتيبة ويحتج عليه بروايات شاذة . وابن السيد نفسه يعترف بذلك في مواضع اخرى ، ففي " باب ما جاء بالسين وهم - اى العوام - يقولونه بالصاد " : " قال في هذا الباب : اخذته قسرا ولا يقال قسرا . وقد تهره اى حبسه . ومنه : حور متهورات في الخيام ، فاما القسر فهو التهر . قال المنسر : هذا الذى قتاله هو المشهور . وقد حكى يعقوب اخذته قسرا وقصرا بالسين والصاد بمعنى التهر " (٣). فالذى ذكره ابن قتيبة ، اذن ، هو ، باعتراف ابن السيد ، المشهور .

٤- النوع الرابع والاخير من انواع الخطأ التى يتبعها ابن السيد تلحق المواضع التى وقعت غلطا في رواية ابي علي البغدادي " فاد اعلم اهي غلط من ابن قتيبة أم من الناقلين عنه " (٤) . وقد اشوت اليها في الفصل السابق ومن امثلتهما ايضا ما جاء في " باب النبات " (٥) . " وقال في هذا الباب : الزوجن الكرم ،

(١) الاقتصاب : ١٩٣ .

(٢) المصدر نفسه : ٢٠٤ . وانظر كذلك في هذا المجال : ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢١٣ ، السخ ...

(٣) المصدر نفسه : ٢٠٣ .

(٤) المصدر نفسه : ١٠٦ .

(٥) المصدر نفسه : ١٢٨ .

وقال الاصمعي : هو الخمر ، وهو بالفارسية زرگون ، أى لون الذهب . قال  
المفسر : كذا روى ابو علي الهندادى زرگون بتشديد الراء . وقال كذا اقراييه  
ابو جعفر ابن قتيبة . والصواب تسكينها ، ومعنى زر : ذهب ، ومعنى كسون :  
لون ، كانه قال : لون الذهب " (١).

وهو في كل هذا يسير وفق ترتيب ابن قتيبة فيتبعه بابا بابا : " وانا  
شارع في تبين جميع ذلك وترتيبه على ابواب الكتاب ، بحسب ما أحاط به علمي  
وانتهى اليه فهمي " (٢).

وأتي ابن السيد بالمبارة التي يحترن عليها ، ثم يشفعها بعبارة " قال  
المفسر " - كما شأنا في الأمثلة السابقة - ميرادا موضع الاعتراض .

وابن السيد يرد الاقوال والآراء الى أصحابها . لذلك فان الاسماء تتردد  
كثيرا : " .. هذا الذي قاله ابن قتيبة هو المشهور عن الاصمعي وغيره ممن  
اللدنيين . وقد حكى ابو زيد الانصارى وذكر تاسم بن أصبغ عنه يقال : تصدق  
اذا سأل . وحكى نحو ذلك ابو الفتح بن جني وانشد :

ولو أنهم رزقوا على اقدارهم الفيت أكثر من ترى يتصدق

وذكر ابن الانبارى أيضا في كتاب الاختداد ان المتصدق يكون المعدي ويكون السائل،  
وحكى نحو ذلك صاحب كتاب العين " (٣) . وهذا الحشد من اسماء اللدنيين  
يصحبه ، ولكن في أحيان قليلة نسيا ، ذكر لاسماء المؤلفات ، كما وجدنا في المثل  
السابق ، وكما يمكن ان نجد في مواضع أخرى . (٤)

(١) الاختصار : ١٢٩ .

(٢) المصدر نفسه : ١٠٦ .

(٣) المصدر نفسه : ١١٠ .

(٤) انظر مثلا : ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، الخ ..

وتتردد عبارة " بعض اللغويين " (١) ، او " غيره من اللغويين " (٢).

وربما كانت اهم ظاهرة تنظم هذا الكتاب تلك التي تتعلق بالتحقيقات اللغوية والنحوية والصرفية . فابن السيد لا يترك فرصة تمر دون ان يسجل ملاحظة نحوية او صرفية ، او يسجل او يشرح ظاهرة لغوية . وتبدو لنا هذه الناحية في أول كلمة يقولها : " قال ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، اما بعد حمد الله بجميع محامده ، اما حرف اخبار يدخل على الجمل المستأنفة ، ويتضمن معنى حرف الشرط والفعل المشروط به ولذلك احتاج الى الجواب بالفاء كما يجاب الشرط . . " (٣) . ومثال ذلك أيضا : " . . . محلف بفتح الميم وكسر اللام لانه مكان للاعتلاف وكل فعل على وزن فَعَلَ يَفْعِلُ يفتح العين من الماي وكسرها من المستقبل فان اسم المكان والزمان منه مفعل بكسر العين كالمضرب والمضروب " (٤) .

ونستطيع ان نجد ، هاهنا أيضا ، مجالا للروايات والاخبار والطرائف . ومع ذلك فان المجال لم يكن واسعا في القسمين الاولين وانما معوز ذلك الصالح له هو القسم الثالث حيث شج الشواهد ، والحديث عن مناسباتها وناظميها ، وما الى ذلك .

(١) الاقتضاب : ١٤٥ ، وغير ذلك من المواضع .

(٢) المصدر نفسه : ١١٠ ، وغير ذلك من المواضع .

(٣) المصدر نفسه : ٢ .

(٤) المصدر نفسه : ١١٦ . وانظر كذلك : ١١٨ ، ١٢٨ ، ومواقع اخرى كثيرة .

(٢) الاتجاه الى التأليف المعجبيابن سيده ومعجماء : المخصص والمحكم

## أ- سيرة ابن سيده (١)

ربما كان ابن سيده من أكثر علماء اللغة الاندلسيين الذين لا قيا شهرة واسعة ، وانتشرت مؤلفاتهم في الاندلس وخارجها . وسوف يظهر لنا مدى استحقاقه لمثل هذه الشهرة اثناء البحث في حياة هذا العالم الجليل وفي مؤلفاته . يكفي ان نلم هنا بقول صاحب المغرب : " لا يعلم بالاندلس اشد اعتنا من هذا الرجل باللغة ، ولا اعظم تواليف ، تفخر مرسية به اعظم فخر ، طرّزت به برود الدهر ، وهو عندي فوق ان يوصف بحافظ أو عالم " (٢) .

اوردت المصادر اسم ابيه وجده فحسب فهو علي بن اسماعيل بن سيده ، حتى بالنسبة لاسم جده فليس من الواضح تماما هل هو جده المباشر ام هو احد الاجداد البعيدين ؟

على اية حال فان اسم جده او لقبه يمكن ان يشير الى اصل هذا العالم .

وابن سيده لم يكن - في الغالب - من اصل عربي ، بداليتين : الاولى ، انقطاع سلالة

(١) ترجمته في : الصلة ٢ : ٣٩٦ - ٣٩٧ ، طبقات الامم : ٧٧ ، جذوة المتنبس ،

٢٩٣ - ٢٩٤ ، المغرب ٢ : ٢٥٩ ، الديهاج المذهب : ٢٠٤ - ٢٠٥ ،

وفيات الاعيان ١ : ٤٣١ ، انباء الرواة ٢ : ٢٢٥ - ٢٢٧ ، مطح الانفس : ٦٠ ،

نكت الهميان : ٢٠٤ - ٢٠٥ ، بهجة الوعاة : ٣٢٧ ، نفع الطيب ٤ : ٣٥١ ،

مرآة الجنان ٣ : ٨٣ ( حوادث سنة ٤٥٨ / ١٠٦٦ ) ، شذرات الذهب ٣ :

٣٠٥ - ٣٠٦ ، لسان الميزان ٤ : ٢٠٥ - ٢٠٦ ، تاريخ ابي الفدا ٢ : ١٨٦

( اخبار سنة ٤٥٨ / ١٠٦٦ ) . وانظر : بروكلمان ( ليدن ، ١٩٣٧ ) :

الملحق ١ : ٥٤٢ .

(٢) المغرب ٢ : ٢٥٩ .

النسب عندييه او جده على الاكثر ، والثانية ، هذه الصيغة " سيده " فانها اقرب الى ان تكون اعجمية . " وسيده بكسر السين المهملة ، وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الدال المهملة وبعدهما هاء ساكنة " (١) .

ومع ان اكثر المراجع رأوا انه علي بن اسماعيل ، فان مراجع اخرى رأوا انه علي بن احمد (٢) ، والرأى الاول أشهر . وهناك من ذكر الاسمين (٣) . وذكر آخرون ان اسم ابيه محمد (٤) .

ولم يذكر المؤرخون صراحة البلد الذي ولد فيه ابن سيده ، ولكن اتفق أصحاب التراجم على انه من اهل مرسية . ومن المسير ان نجم بانه ولد هناك ، غير انه ليس عندنا من الدلائل ما يشير الى ولادته في غير هذا المكان . واكثر من ذلك فان الاخبار عن والد ابن سيده تذكر بانه " من اهل مرسية " (٥) . ثم هناك تلك الحادثة المشهورة بين ابن سيده وابي عمر الطنكي التي وقعت في مرسية .

ويمكننا ، بصورة تقريبية ، ان نحدد سنة ميلاد ابن سيده . فلتقدر توفي ، حسب الرأى النال ، عام ٤٥٨ / ١٠٦٦ (٦) ، واتفق أصحاب التراجم الذين ذكروا سني حياته انه عاش ستين سنة او نحوها (٧) . وبذلك نستطيع ان نقول ان مولده كان في حدود عام ٣٩٨ / ١٠٠٨ .

- 
- (١) وفيات الاعيان ١ : ٤٣١ ، شذرات الذهب ٣ : ٣٠٦ .  
 (٢) ملاح الانفس : ٦٠ ، نفع الديب ٤ : ٣٥١ ، جذوة المقتبس : ٢٩٣ .  
 (٣) انباء الرواة ٢ : ٢٢٥ .  
 (٤) بغية الوعاة : ٣٢٧ ، نكت الهميان : ٢٠٤ .  
 (٥) ابن بشكوال ١ : ١٠٥ .  
 (٦) انباء الرواة ٢ : ٢٢٧ ، نكت الهميان ، الصفدى : ٢٠٤ ، بغية الوعاة : ٣٢٧ ، شذرات الذهب ٣ : ٣٠٥ .  
 (٧) انباء الرواة ٢ : ٢٢٧ ، بغية الوعاة : ٣٢٧ ، نكت الهميان : ٢٠٤ .

وأما الاخبار عن ابن سيده فانها قليلة للغاية . وهي لا تتناسب قط مع الشهرة الواسعة التي نالتها مؤلفاته العظيمة . والواقع ان ابن سيده سليل اسرة مثقفة . فابوه من قبل كان عالما ، وقد تتلمذ الفتى ، اول ما تتلمذ ، على يديه . وهناك خبر او خبران يعطياننا صورة عن ابن سيده بعد ان يكون قد اكتمل علمه وذاع امره . ناول صورة نعرفها عنه ، صورة العالم الحافظ المشهور الذي يحتر به اهل مدينته وبخارون به الزائرين من العلماء . والرواية التي رويت على لسان ابي عمر الطلمنكي تبرز هذا الجانب من شخصية ابن سيده : " وقال ابو عمر الطلمنكي : دخلت مرسية فتشبت بي اهلها يسمعون علي الخريب المصنف ، فقلت : انظروا من يقرأ لكم ، وأمسكت انا بكتابي ، فأتوني به رجل اعنى يعرف بابن سيده ، فقرأ علي من أوله الى آخره ، فعجبت من حفظه " (١) . وقد اوردت المراجع هذا الرواية <sup>لنصر</sup> بأشور مختلفة .

وابرز ناحية تميزت بها شخصيته - وكان لها أثر كبير في حياته - ولادته كيف البصر لأب كيف ، فقد كان اعنى بن اعنى (٢) . وربما كان لهذه الناحية أثر في تكوين ابن سيده العقلي ، وقوة ذاكرته . وتشهد له كتبه بالذكاء والفتنة ، كما ان المؤرخين امتدحوه وادلبوا في امتداحه ، فلقد " كان نادرة وقته " (٣) وهو " احفظهم - احفظ علماء الاندلس - حتى انه يستظهر كثيرا من المصنفات . . كغريب المصنف واصلاح المنطق " (٤) .

(١) نفع الطيب ٤ : ٣٥١ .

(٢) المصدر نفسه ، وذكر ذلك أصحاب التراجم الآخرون الذين ترجموا لابن سيده او ترجموا لآبيه .

(٣) انباء الرواة ٢ : ٢٢٥ .

(٤) طبقات الامم : ٧٧ .



وهناك ناحية من شخصيته تعرض لها واحد فقط من المترجمين هو ابن حجر العسقلاني صاحب لسان الميزان ، فإنه ينقل عن اليعرب بن حزم قوله : " انه كان يرى رأى الشعوبية فيفضل العجم على العرب " (١). ولا نعرف بالضبط ما لهذا الكلام من قيمة ، لأن الرواية بهذه الصورة غير وافية بالغرض . وهي رواية لم تتكرر عند غيره من العلماء ، - فيما أعلم - ولكن على كل حال ربما كان مثل هذا التفهيم ، لو وجد ، سببا آخر يدعونا الى الاعتقاد بأن ابن سيده غير عربي الأصل . ولكن نحن لا نعرف الظروف التي برز فيها مثل هذا التفهيم ، فربما كان الامر لا يتعدى رد فعل لحادثة معينة او لاكثر من حادثة . وهو لا يعني ، بذاتية الحال ، لصوق تهمة الشعوبية به .

وانا لنلمح في حديث ابن سيده اعجابا شديدا بنفسه ، كما نلمح فيه قليل الحزم ، سريع الغضب ، صاوت لاذع النقد اذا تحدث عن لشائنه ما حدة في الحكم على الناس . وذلك واضح في أرجوزته ، فهو امرؤا قال انه نشأ " بين أناس لولا الشكل لم تقض لهم بالانسانية ولولا الحسن ما حكمت عليهم بالحيوانية " (٢).

وأوضح مرحلة من مراحل حياته هي تلك التي اتصل فيها بمجاهد العامري منتقلا عن والده الأصلي الى دانية . وقد كان المتوقع أن يكون لجوءه الى كنف أمير مثل مجاهد مخفيا لما في نفسه من نقمة على الناس ، ولكنه كان يحسن بالقلق الشديد وتفاوت الحظوظ فهو يصف مولاه الجديد بأنه " سباج دفعة وشطان بحمار دفعة ، أوحش بلاد الله غربة وأخبشها غصوين : هوا وترية " (٣). ثم نجد ، ينحي على الناس فيها بأنهم شديدا الخصيمة " لا تسمع منها الا تسير كذا

(١) لسان الميزان ٤ : ٢٠٦ .

(٢) المحكم ١ : ١٦ .

(٣) المصدر نفسه

بكذا . . . يتطرحون على الدرهم والدينار ولا يتقنون قبح الاحدثة ولا انتشار العار" (١)، ويغيبه أن يجدهم منعمين بالثمان والجنان والقصور : كل هذا مع اعترافه بانعام الموفق - مجاهد - الذي أثار بذلك الانعام حسد الحساد وغيبهم . " ولما مات الموفق رآش جناحه ومثبث غرره واوانحه خان من ابنه اقبال الدولة وأطاف به مكروه بعض من كان حوله للطلب كحيات مساوره نفر الى بعض الاعمال المجاورة" (٢)، وارسل من منفاه قصيدة يستعطفه فيها أولها ، (٣)

ألا هل الى تقبيل راحتك اليمنى سبيل فان الامن في ذاك واليمننا  
فعلنا عنه ، و " وقع له الرضى عنه عند وصولها اليه ، فوجج " . ويبدو ان انقطاعه الى  
الموفق انشاده من الناحية العلمية كثيراً ، اذ اتاح له من التفرغ وكفاية العيش ما جعله  
يهتم بأمور التأليف . فانه في دانية " أدرك امانيه فأثر تجرده للعلم وفراغه وتفرد  
بتلك الارافة ولا سيما كتابه المسمى بالحكم فانه ابدع كتاب في اللغة وأحكم " (٤) .  
وقد كان لابن سيده حظ في الشعر ، ولكن لم يبق من شعره الا قصيدته  
التي استعطف فيها اقبال الدولة ، والا أجوزته .

وقد أدركت ابن سيده منيته بدانية (٤٥٨ / ١٠٦٦) ويبدو أنه مات  
مفلوجاً : " كان يوم الجمعة صحيحاً سوا في صالة المغرب فدخل المتوفى وأخبر منه  
وقد سقط لسانه وانقطع كلامه وبقي على تلك الحالة الى عصر يوم الاحد ، ثم قضى نحبه" (٥).  
اول ما تتلمذ ابن سيده على ايده . فلقد كان أبوه " من النحاة ومن

(١) المحكم : ١٢ .

(٢) مطمح الانفس : ٦٠ ، وانظر نكت الهميان : ٢٠٤ .

(٣) جذوة المتببس : ٢٩٣ ، مطمح الانفس : ٦٠ ، نكت الهميان : ٢٠٤ .

(٤) مطمح الانفس : ٦٠ .

(٥) نكت الهميان : ٢٠٥ ، وبعض المصادر تذكر انه توفي سنة ٤٦٠ .

احمل المعرفة والذكاء" (١). وكان لذلك الأب اتصالات علمية او "لتي ابا بكر الزهيدى وأخذ عنه مختصر العين" (٢). وقد اتفق العلماء على ان ابن سيده روى عن ابيه ، وبعض المترجمين يجعلون زمن هذه الرواية أيام نشأة الفتى ، فقد كان ابوه أيضا تيمما يعلم اللغة وعليه اشتغل ولده في أول أمره " (٣). ونحن نعلم ان ابن سيده ولد في نهاية القرن الرابع للهجرة ومات ابوه بمرسية بعد الاربعاء بمدة (٤) . فالمدة التي درس فيها على والده ليست طويلة - فيما أرجح - فيمكن القول بأن ابن سيده اخذ عن والده وهو صغير ، ثم تركه ابوه يتلقى الزهيد من العلم على آخرين .

ويتكرر في المؤلفات ذكر اثنين من العلماء أخذ ابن سيده عنهما ، وهما : ابو عمر الطلمنكي وصاعد بن الحسن البغدادى . وقد يتوقع المرء ان يكون هناك آخرون أخذ عنهم ، غير ان المؤلفات تصمت ازاء ذلك وتكتفي بأن تقول : وقد روى " عن ابي عمر الطلمنكي وصاعد اللغوى وغيرهما " (٥).

وقد تحدثت عن صاعد في ما مضى ، اما ابو عمر الطلمنكي (٣٤٠-٤٢٩) / (٩٥١-١٠٣٨) فهو محدث منسّر وقارى . ارتحل الى الشرق ثم عاد الى ترطبة يدرس فيها ، ثم انتقل الى المرسية فمروسة فسوسة . ويبدو ان ابا عمر هذا لم يكن يمتاز بعلم الحديث والتفسير فحسب وانما كان كذلك عالما لنهيا مقتدرا ، يدلنا على ذلك طلب الناس لمصنفات اللغة عليه واشتهاره بذلك . وربما ساعد على امتياز

(١) الصلاة : ١٠٥ ، وقد ذكرته في علماء العصر السابق انظر ص : ١٨٧

(٢) الصلاة : ١٠٥ .

(٣) وفيات الاعيان ١ : ٤٣١ ، شذرات الذهب ٣ : ٣٠٥ .

(٤) الصلاة : ١٠٥ .

(٥) المصدر نفسه : ٣٩٦ ، وفيات الاعيان ١ : ٤٣١ ، شذرات الذهب ٣ : ٣٠٦ ،

نكت الهميان : ٢٠٤ .

في العلوم الدينية ورعه وشده على البدع . وقد توفي ابو عمر الدلمنكي  
في المنكة (١) . وكان اول اتصال بين ابن سيده واللمنكي يوم ان دخل ابو  
عمر مرسية وكانت له تلك المقابلة مع الحافظ الاعشى .

واكثر ما اشتهر به ابن سيده اللغة والنحو ، حتى عد اماما حافظا  
حجة فيهما . وقد ظهرت هذه المقدرة في معجيه المشهورين : المحكم ،  
والمختصر . غير انه كان لابن سيده غروب اخرى من الاهتمام ، من ذلك الاشعار  
وأيام العرب (٢) . واهتمامه بالاشعار هو جزء من اهتمام العصر ، وقد برز  
ذلك في كتابه " الواني في علم القوافي " (٣) وفي شرحه للحماسة . واما  
أيام العرب فلا تعني انه اهتم بالتاريخ بالمعنى الدقيق ، وانما كانت  
له معرفة بشي من اخبار العرب واحداث حياتهم .

وقد وجه ابن سيده شيئا من عنايته الى المنطق ، " كان مسع  
توفره على علوم العربية ، متوافرا على علوم الحكمة واللف فيها تواليف  
كثيرة " (٤) وذلك شي قد ذكرته في غير هذا الموضع . ويصعب في الواقع  
البحث في هذا الأمر لأن هذه التواليف الكثيرة لم تصلنا ، وانما

(١) انظر : الديباج المذهب : ٢٦ ، معجم البلدان ٣ : ٥٤٣ - ٥٤٤ .

(٢) بنمة الوفاة : ٣٢٢ .

(٣) نكت الهميان : ٢٠٥ .

(٤) المصدر نفسه : ٢٠٤ .

(١) من النصوص البهامة التي عثرت عليها هذه القاعة من الاجزوة التي تحدثت عنها في ثبت المؤلفين ومؤلفاتهم لهذا القرن ، وهي تبين لنا ، بلسان ابن سيده ، ثقافة هذا العالم والاساتذة الذين درس عليهم والمصنفات والعلوم التي قرأها : (انظر مجلة المشرق العدد ٣٦ : ١١٠ - ١١١) .

قرأت بالوحي وسني اربع	وقبل ست تم عندي اجمع
حتى اذا حلمت بالتنزيل	نظرت في حقائق التأويل
ولم ادع لعالم تحبيرا	الا وقد ظلمت بها خبيرا
فلا ابن عباس اضعفت وضعه	ولا ابن سلام تركت جمعه
ولا كتاب ابن حميد عهد	الا انخرت كل ذاك عندي
حتى اذا استضلعت بالحجج	قرأت كتب كل جبر نجاج
كتب ابي اسحق ذي المعاني	أوضح به لمشكل القرآن
وكل ما احمله من سند	عن الفقيه الطلمنكي أحمد
ثم قرأت كتب الموطأ	عليه دون كسل مستبطاً
ثم اشعرت من البخاري	رواية ، فتم لي فخراري
ولم اضع كتب ابي عبيد	جميعها في ريتي وقيدى
ثم قرأت علم سيبويه	لب القواد فهما عليه
على ابي عثمان شيخي نافع	وكان فيه جد جبر هانج
ثم فاومت ابا العلا	في كتب الصفات والاسماء
روائي الغريب والاصلاح	حتى انسار فجرها ولاحسا
ثم رقاني الى الالفاظ	رواية ، فعدت في الحفاظ
وقد قرأت كتب المجاز	علمه ، من قرموطة الشيرازي
بعد سماء في الفقيه	أحمد ذي الظهير والتقيه
ثم قرأت كتب الرمانى	والفارسي وابنه عثمان
كل كتاب لغة وعميت	وكل شعر لهم رويت
ثم تأملت حدود المنطق	ومن يرم حقيقة فليندلق

ومن هذه الابيات يظهر لنا اهتمام ابن سيده بمختلف العلوم ، فلقد درس الفقه والحديث واللغة والمنطق ، حتى برع بهذه الامور جميعا ، وعدد لنا شيوخه المباشرين وغير المباشرين من العلماء الاول . وذكر لنا كيف انه بدأ العلم انفسا في الرابعة فلما اتم السادسة كان قد اتم حفظ القرآن ، ثم تحول الى العلوم الاخرى . وتجدر الاشارة هنا الى ان كتاب سيبويه كان لا يزال ، في هذا القرن ، المعتمد الاول للدارس اللغوى .

وقد خلط المشاركة بين مؤلفات ومؤلفات ابن سيد الذي عاش في القرن الرابع فعدت في مؤلفاته ما نسبته من قبل الى هذا الثاني ، من ذلك : شرح كتاب الاخفش ، والعالم والمتعلم على المسألة والجواب ، والعالم في اللغة علمى الاجناس ، وغير ذلك . ولذا كان الاعتقاد في سرد اسماء كتبه على المشاركة كالصدي وابن حجر والسيوطي أمرا موارطا في الخطأ .

### ب - المخصص (١)

#### ١ - الداعي الى التأليف :

اعجب ابن سيده بالمؤلفات اللغوية التي كتبت من قبله غير انه لم يجد ما كاملة فقال : " تأملت ما ألفه القدماء في هذه اللسان المعربة الفصحى وصفوه لتقييد هذه اللغة المتشعبة الفصيحة فوجدتهم قد اوروها بذلك فيما علموا نفيسة جمّة ، واقتروا لنا منها قلوبا خفيفة غير ذمّة الا اني وجدت ذلك نشرا غير ملتئم ونشرا ليس بمنظم ، اذ كان لا كتاب نعلمه الا وفيه من الفائدة ما ليس في صاحبه . ثم اني لم ار لهم فيها كتابا مشتقلا على جملها فضلا عن كلها ، مع اني رأيت جميع من مدّ الى تأليفها يدا وأصل في توطئتها وتصنيفها منهم ذهنا وعلما قد حرموا الارتياض بصناعة الاعراب ولم يرفع الزمن عنهم ما أسدل عليهم من كثيف ذلك الحجاب " (٢) . ويبدو لنا ابن سيده من هذا النص متعجبا بنفسه ، يتتبع سقطات غيره من اللغويين : " فانا نجدهم لا يبينون ما انقلب فيه الالف عن الياء مما انقلب الواو فيه عن الياء ولا يحدّدون الموضع الذي انقلب الالف فيه عن

(١) جامع الكتاب بمصر - المطبعة الكبرى الاميرية في ١٧ جزءا : ١٣١٦ / ١٨٩٩ - ١٩٠٤ / ١٣٢١ .

(٢) المخصص ١ : ٧٠ .

الياء أكثر من انقلابها عن الواو مع عكس ذلك ، ولا يميزون ما يخرج على هيئة  
المقلوب ما هو منه مقلوب وما هو من ذلك لانتان ، وذلك كجذب وجذب وشس  
وأيس ورأى ورأ ونحوه مما سترأه في موضعه مفصلاً مَحَلّاً محتجياً عليه . وكذلك  
لا يميزون على ما يسمعون غير ميموز مما أصله الهمز على ما ينبغي ان يعتقد منه  
تخفيفاً قياسياً وما يعتقد منه بدلاً سماعياً ولا يفرقون بين القلب والابدال ولا بين  
ما هو جمع يكسر عليه الواحد وبين ما هو اسم للجمع وربما استشهدوا على كلمة من  
اللغة ببيت ليس فيه شيء من تلك الكلمة . . . (١).

ولما كان أمر الكتب اللغوية والمجامع السابقة على مثل هذه الحال فقد  
أمل ابن سيده في ان يقدم لنا شيئاً يسد النقص : " فاشأيت نفسي عند ذلك الى  
ان اجمع كتاباً مشتملاً على جميع ما سقط الي من اللغة الا ما لا بال به ، وان أبع  
على كل كلمة قابلاً للنظار تحليلها وأحكم في ذلك تفريعها وتأصيلها . وان لم تكن  
الكلمة قابلاً لذلك ونعتها على ما ونحوه وتركها على ما ودعوه تحبيراً أثبتت  
وأرففه وتعبيراً اتقنه وأزخره " (٢).

ولتأليف الكتاب داع آخر ، يقول ابن سيده : " ومبين قبل ذلك لم  
نعته على غير التجنين بأنني لما وجدت كتابي الموسوم بالمحكم مجسماً لأدل الباحث  
على فائدة الكلمة المطلوبة أردت ان أعدل به كتاباً أضعه مبوباً حين رأيت ذلك  
أجدي على الفصح المدور والبليغ المفرد والخطيب المصقع والشاعر المجيد المدتسع ،  
فانه اذا كان للمسمى اسماء كثيرة وللموصوف أوصاف عديدة تنقى الخطيب والشاعر  
منها ما شاء واتسعا فيما يحتاجون اليه من سجع او قافية على مثال ما

(١) المخصص ١ : ٧

(٢) المصدر نفسه ١ : ٨

نجده نحن في الجواهر المحسوسة" (١).

وعذا بالبيعة الحال هو الوازع الاول لتأليف الكتاب . غير ان ابن سيدة يتبع كلامه هذا بحديث يبرز فيه ما يزعم انه فضل مجاهد العامري في التأليف . ويطلب ابن سيدة ادلتابا شديدا في وصف ما لمجاهد من شجاعة وتتوى ومروءة ، وعلم أيضا : " لم تزل العناية بالعلم تصده ومجالسة المهرة من حملته وكده حتى نفاق كل باع نلقه ونناطق قوله ، فأخرج العلم من الفساد الى الكون ومن العدم الى الوجود كما فعل ذلك في غيره من أجزاء الفاضل التي اعلقت به القلوب وأصبحت اليه النفوس كالكرم والعدل والعفو .. " (٢) . ولا يفت الامر عند حد التشجيع ، كما يزعم ابن سيدة ، وانما يتجاوز ذلك الى التعليم والارشاد " .. هداني سواء السبيل الى علم كيفية التأليف وأراني كيف توضع قوانين التصريف وعرفني كيف التخلل السلي اليقين .. " (٣) . والواقع ان مثل هذا الكلام ، وهو قليل من كثير ، لا يمكننا ان نأخذه مأخذ الجد . فأولا ، ابن سيدة اخبرنا عن السبب الحقيقي للتأليف ، ذلك ان حاجة في نفسه تحركت بعد ما رأى من نقص في الكتب السابقة ، فنحاول استكمال هذا النقص . والكتاب نفسه ينسجه على منوال " الخريب المصنف " ليدلنا على انه من عل ابن سيدة وحده بغير ارشاد ولا نصائح .

(١) المخصص ١ : ١٠ .

(٢) المصدر نفسه ١ : ٩ .

(٣) المصدر نفسه



## ٢- منهج الكتاب :

ينقسم المصنف الى كتب يبحث كل منها في موضوع محدد ، او ، على

الأقل ، كان يفترض ان يبحث في موضوع محدد : " كتاب خلق الانسان " (١) ، " كتاب  
الزرائع " (٢) ، " كتاب النساء " (٣) ، " كتاب الخيل " (٤) ، " كتاب الابل " (٥) ،  
الخ ..

وتنقسم هذه الكتب ، من حيث المبدأ ، الى ابواب . غير ان هذه  
الابواب قد تتباين طولاً ، فبينما نراها احيانا تقصر الى نصف سطر (٦) ، نراها  
في احيان اخرى تشغل صفحات كثيرة (٧) . على ان هذا التقسيم ليس دقيقاً دائماً .  
فتجد يأتي الباب مستقلاً عن الكتاب تدون تحته موضوعات مستقلة (٨) . غير ان مصطلح  
باب لم يرد في كل حالة ، بل كثيراً ما كانت ترد عناوين كثيرة دون ان تميز ، ثم  
يميز عنوان لاحق بالمصطلح " باب " او " ابواب " دون ان يكون لهذا العنوان  
أهمية خاصة تفرد ، دون ما سبته من عناوين . فـ " كتاب اللباس " مثلاً ترد بعده  
العناوين التالية : " عامة الثياب " ، " الرقيق من الثياب " ، " الكثيف من الثياب " ،  
" المزابر من الثياب " ، ثم يأتي بعد ذلك " باب المخطط من الثياب " (٩) ، فطبعي

(١)	المخصص	١ : ١٥ .
(٢)	المصدر نفسه	٢ : ١٤٨ .
(٣)	المصدر نفسه	٣ : ١٥٤ .
(٤)	المصدر نفسه	٦ : ١٣٥ .
(٥)	المصدر نفسه	٢ : ٢ .
(٦)	المصدر نفسه	٤ : ٦٦ ، ٦ : ١٣٣ ، ١٤ : ٨٤ .
(٧)	المصدر نفسه	٦ : ١٣٥ ، ٧ : ٩٥ .
(٨)	باب الفصاحة	٢ : ١١٢ ، ابواب النسب ١٣ : ٢٣٦ .
(٩)	المخصص	٤ : ٦٣ - ٦٦ .

ان المصطلح " باب " هنا لا يميز بشي' هذا العنوان عما سبقه . ومن هنا فان هذا المصطلح يحتويه الكثير من التشويش والفض ، ويزيده تشويشا ان ابن سيده ربما ترك بابا من غير ان يميزه في حين انه يختلف عما سبقه من أبواب .

وقد جعل ابن سيده المفردات تدور حول فكرة ما او موضوع ما او أسماء متعددة لمسمى واحد . ويورد في هذا المجال المفردات جميعها التي يرى انها تدخل في موضوعه . ونسأ' الكتاب على حسب الموضوعات ليس من ابتكار ابن سيده . ولقد لجأ العرب الى هذه الطريقة منذ اول تبهمهم الى ضرورة جمع اللفظة . فكان اللغوي منهم يذهب الى البادية ليقابل الاعراب ، او يأتي الاعراب اليه ليقابلوه ، متاجرين بلغتهم ، وكان حينئذ يلجأ الى جمع الالفاظ والشواهد التي تدور حول موضوع واحد . من هؤلاء اللغويين الأهمي في " كتاب الخيل " مثلاً .

وربما كان كتاب النذر بن شميل ( - ٢٠٣ / ٨١٩ ) من اوائل الكتب العامة التي لا تختص بموضوع خاص ، فقد قيل عنه : " هو كتاب كبير يحتوي على عدة كتب : الجزء الأول يحتوي على خلق الانسان والجود والكرم وصفات النساء . والجزء الثاني يحتوي على الأخيصة والبهوت وصفة الجبال والشعاب والأمتعة . والجزء الثالث للابل فقط . والجزء الرابع يحتوي على الغنم ، والطيور ، والشمس ، والقمر ، والليل ، والنهار ، والالبان ، والكساء ، والآبار ، والحياض ، والأرشية ، والدلاء ، وصفة الخمر . والجزء الخامس يحتوي على الزرع ، والكرم ، والحب ، واسماء البقول ، والاشجار ، والرياح ، والسحاب ، والامطار " (١) .

ولعل كتاب " الغريب المصنف " اكثر الكتب تأثيرا بابن سيده في تأليفه

(١) فهرست ابن النديم : ٥٢ ، وفهات الامعان ٢ : ٢١٤ .

للمخصص . وقد رأينا كيف انسه كان نادرا على روايته منذ أول عهده بالعلم .  
وتتبعه القدامى الى ذلك فقال ابن خيرون : " والكتاب المخصص في اللغة . . مرتب  
كالغريب المصنف " (١) . وقال القاضي صاعد : " كتاب المخصص مرتب على الابواب  
كنزيب (٢) المصنف " (٣) .

وقد اعتمد ابن سيده في كل باب من الابواب على ما ألف في ذلك الباب  
لمؤلف او اكثر . وكان من نتيجة ذلك ان كثرت ورود اسماها ببعضها في ابواب ، وتلت  
في ابواب اخرى . فثبت مثلا وهو صاحب " كتاب في خلق الانسان " (٤) ، يتردد  
ذكره كثيرا في الجزء الأول الذي يدور حول هذا الموضوع ، ولكننا سنجد صعوبة  
بالغة في العثور على اسمه في الاجزاء الاخرى من المخصص .

وينبغى المؤلف في مقدمة كتابه الى دليقته في التأليف فيلخصها بقوله :  
" تقديم الأعم فالأعم على الأخص فالأخص ، والاتيان بالكليات قبل الجزئيات ،  
والابتداء بالجواهر والتفقيص بالاعراض على ما يستحقه من التقديم والتأخير ، وتقديمناكم  
على كيف ، وشدة المحافظة على التقييد والتحليل . مثال ذلك ما وصفته في  
صدر هذا الكتاب حين شرعت في القول على خلق الانسان فبدأت بتثقله وتكونه شيئا  
فشيئا ثم اردفت بكلية جوهري ثم بحوائفه وهي الجواهر التي تألف منها بكليته ثم  
ما يلحقه من العظم والصغر ، ثم الكيفيات كالألوان الى ما يتبعها من الاعراض  
والخصال الحميدة والسيئة " (٥) .

(١) فهرسة ابن خيرون ، ٣٥٦ .

(٢) الاصح على الاغلب : كالغريب .

(٣) طبقات الاسم ، القاضي صاعد الاندلسي : ٢٢ .

(٤) طبع في الكويت ١٩٦٥ بتحقيق عبد الستار احمد فراج .

(٥) مخصص ١٠١١

### ٣- خصائص كتاب المخصص (١)

#### أ - الاستطراد وتوارد الخواطر :

لم يبدأ ابن سيده في معجمه هذا من آفة ذلك الزمان في الاستطراد وعدم التقيّد بطلب الموضوع . وكان هذا الاستطراد يجره ما يورد على فكر ابن سيده من أمور مجانسة أو أمور مناقضة . وقد يبدأ الحديث عن الدخام (١) وينتهي في آخر الباب بحديث عن المساكن (٢).

غير أن هذا الاستطراد ليس في الموضوعات فحسب وإنما هو في الألفاظ وفي التفصيلات بعمامة . فان كلمة ما قد تجذبه الى كلمة مشابهة أو مناقضة ، وان صفة ما قد تذكره بصفة أخرى لمؤخّص آخر .

#### ب - ظاهرة الجمع :

من الذواهر البارزة للغة في تأليف الكتاب جمع التفسير المتعلقة باللفظة الواحدة ووصفها بصورة من الصور . وقد تأتي المادة بهذه الصورة مناقضة بعضها للبعض الآخر وقد تأتي متممة أو مؤيدة ، " والقَدْأَوَّلَى الذي يتأرب المشي من كل شي' يقتلوا في مثيه نشاطا ومرحا ونها ، ويتأاو يقارب الخالو ، والانشى قطوطة نأما وزنه فذهب ابو عبيد الى انه فَعَوَّلَى وأما سيبويه فذهب الى انه فَعَلَعَلْ وذهب غيره الى انه فَعَوَّلَل " (٣) ، لقد اختلفت الآراء هنا وتناقضت النتائج ، ولكن قد تأتي الآراء متممة فيكون كل واحد منها جزءا من الحقيقة : " ابن

(١) المخصص ١١٨ : ٤

(٢) المصدر نفسه ١١٨ : ٤

(٣) المصدر نفسه ١١٨ : ٤

(٤) المصدر نفسه ١١٨ : ٤

دريد : يقال للاحمق مَنْطَبَةٌ وقد نطبت أذن الرجل انطباها نطبا - ضربتها .  
ابن السكيت ، وجعل ارن بين الرعونة - احمق . وقد رَعْنُ رَعُونَةً ورعانة  
ورعنا .. " (١) . ومما يؤيد بعضه بعضا ، " ابن السكيت : غنت الرجل عينها ،  
اصبته بحين فهو معين ومعين ، وأنشد :

قد كان قومك يحسبونك سيذا      واخال أنك سيد معين  
وهذا مطرد وانما ذكرته لتقوية ، وذكرها الزجاجي وذلك أنه قال : المعين:  
المصاب بالعين . والمعينون : الذي به عين " (٢) .

### جـ - التحقيقات اللغوية والصرفية :

يميل ابن سيده الى ابراز الناحية اللغوية في متجمعه ، ويجمع  
لنا الآراء التي ذكرت في مادة من الموارد ، ذاكرا بناء اللفظة وأصلها ومشتقاتها:  
" سادهم يسودهم سيادة . ابن جني : واستادهم . ابو عبيد : وقد سَوَّدته  
... والسؤدد : فعلل منه ، وقال : ساودني فسدته ، من السيادة ... وليس  
هذا بمطرد عند سيويه . وقالوا سيّد وسائد . صاحب العين : رئيس القوم ،  
كبيرهم ، والجمع رؤساء ورؤساء . قال علي : ليس لرئيسا عندى وجه ألبنة ،  
الا ان تكون الهمزة في رؤساء أهدلت واوا ابدالا صحيحا ليس على حد جُون ، ثم  
قلبت الواو لفير علّة الا طلب الخفة ، ثم قلبت الهمزة كسرة لمكان الياء " (٣)

(١) المخصص ٣ ، ٤٩ .

(٢) المصدر نفسه ١ : ١٢١ .

(٣) المصدر نفسه ١ : ١٥٨ - ١٦٠ .

### د - صعوبة العثور على اللفظة المطلوبة :

ليس من السهل البحث عن كلمة من الكلمات في هذا المعجم الكبير . والواقع قد يكون ذلك مستحيلا في كثير من الاحيان . اذ ربما عثرت على لفظة في مكان لا تمت الى موضوعه بصلة . وقد زاد المشكلة صعوبة متاعب الاستطارد وعدم وجود منهج دقيق .

غير انه يمكن الاعتذار عن ابن سيدة ، بأن الكتاب لم يؤلف لبحث فيه عن الألفاظ المنردة ، وانما كما ذكره في مقدمة كتابه انه اراد اثراء المادة المتيسرة <sup>للأديب</sup> ~~للمطالع والخطيب~~ وتسهيل الامر عليه بجمع هذه المادة له مبوبة حسب الموضوع الذي ينظم شعره فيه او يدهج خطبته .

### هـ - شخصية ابن سيدة غير واضحة :

كان من نتيجة تراكم المواد وأسلوب الجمع الذي اتبعه ابن سيدة ان كان المعجم ناطقا باسماء اللغويين الذين اخذ المؤلف عنهم ، وليس باسم المؤلف نفسه . وربما كان السبب في ذلك ان اللغة ، عند ابن سيدة ، تؤخذ عن الاعراب ، وقد كانت الاندلس غير قادرة ، لذلك ، على الادلاء بدلوها في هذا المجال ، ولم يكن لعلمائها سوى النقل .

ومع ذلك فقد نستطيع ان نعثر على آراء لابن سيدة وخصوصا في المشكلات النحوية والمرفئية : " ابو حاتم ، الظمي : قلة دم اللغة ولحمها . رجل أظمي وامرأة ظميا " . علي ( علي بن اسماعيل بن سيدة ) : ليس الظمي من لفظ الظلم ، ذلك مهموز وهذا معتل ، الا ان يكون تخفيفا بدلما وليس هذا بالواسع والا فهما مختلفا اللفظين كاجنطأت واجنطيت (١) . والواقع ان

ملاحظات ابن سيده ليست نادرة (١) ، وإنما هي خائفة في خضم الآراء ، وليس لها  
كيان واضح مجسم .

ومع الضرور الشديد الذي لاحظناه في حديثنا عن مقدمة الكتاب ،  
ومع زعمه انه سيصلح أنباء من سبقه من العلماء ويقدم على تليفها ، إلا انه لم  
يوفق حتى في إزالة التناقض في كثير من مواضع نقله . ولم يكن ابن سيده يلجأ الى  
التمييز أو التفصيل بل يوصف الآراء بمنير ان يقدم واحدا على واحد . وهذا مما يزيد  
في طمس شخصيته .

ولعل من الاسباب التي زادت في تفكك شخصيته انه كثيرا ما كان يلجأ  
الى عبارات غامضة غير محددة المعالم مثل : غيره ، وغير واحد ، قيل ، وقال  
اناس من العرب . ويصعب حصر مثل هذه العبارات لأنها منتشرة في كل صفحة ، او  
في كل صفحة تقريبا . ومن العدل ان نقر بان هذه التعبيرات ليست من خصائص  
ابن سيده وحده ، ولكن هذا لا يغير من الحقيقة شيئا ، وتبقى شخصيته غير واضحة .

## ج - المحكم (٢)

### ١- الداعي الى تأليف الكتاب :

يقول ابن سيده في مقدمة كتابه " فلما وضع له - للموفق -

مكان الحاجة الى هذه اللسان الفصيحة ، الزائدة الحسن ، على ما اوتيته سائر  
الاسم من اللسان ، أراد جمع الفاظها ، فتأمل لذلك كتب روايتها وحفاظها ، فلم يجد  
منها كتابا مستقلا بنفسه ، مستغنيا عن مثله ، مما ألف في جنسه بل وجد كل

(١) المخصص ١ : ٢٦ ، ٣٥ ، ٣٨ ، ٧٤ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١٣٧ ، ١٤٥ ،  
١٥٣ ، ١٦٥ .

(٢) صدر منه ثلاثة اجزاء حتى اليوم .

كتاب منها يشتمل على ما لا يشتمل عليه صاحبه ، وشل لا تعاند عليه وراده ، وكلا لا تحاقد في مثله رواده ، لا تشبه فيه ناب ولا فاطمة ، ولا تغنى منه خنوا ولا هشيمة " (١) . من هنا نستطيع ان نتصور ان الهدف الاول الذى قصده ابن سيدة من تأليف معجمه كان جمع المواد اللغوية المشتقة في الدراسات والرسائل المختلفة . وطبعي ان دور المؤلف هنا لا يعدو التشجيع وتهيئة جو التأليف .

غير ان هذا التوزع في المادة اللغوية لم يكن الداعي الوحيد للتأليف فلقد " لاحظ مناظر تحيرهم ، وسافر تحيرهم ، فما ادبى شي من ذلك له ناظرا ، ولا سلك منه جنانا ولا خاطرا ، وذلك لما اوتيه وما حرموه ، وأوجده وأعدموه ، من ثبات النظر ، واصابة الفكر ، وكان اكثر ما نغمه - سده الله - عليهم ، عدولهم عن الصواب ، في جميع ما يحتاج اليه من الاعراب ، وما اوجبهم من ذلك الى ما منعه " (٢) . فابن سيدة لا يأخذ على السابقين التجزئة وعدم الشمول فحسب ، وانما هو ينعى عليهم " عدولهم عن الصواب " . فهو هنا ، ان ، يعدنا بتغييرين جذريين ، تغيير في المنهج وتحسين في الدقة .

## ٢- منهج الكتاب :

ينقسم معجم ابن سيدة الى حروف مرتبة وفق المخارج على النحو التالي : العين ، الحاء ، الهاء ، الخاء ، الغين ، الطاف ، الكاف ، الجيم ، الشين ، الصاد ، السين ، الزاى ، الطاء ، التاء ، الدال ، الذال ، التاء ، الراء ، اللام ، النون ، الفاء ، الباء ، الميم ، الهعزة ، اليا ، الوار ، والالف .

(١) المحكم ١ : ٣ .

(٢) المصدر نفسه ١ : ٣ - ٤ .



وكل حرف من هذه الاحرف ينقسم الى الابواب التالية : الثاني المضاعف الصحيح ،  
 الثاني الصحيح ، الثاني المضاعف المعتل ، الثاني المعتل ، الثلاثي اللفيف ،  
 الرباعي ، الخماسي ، السداسي ، وقد اطلعت هذه الابواب بالتأليف ، وهو النظام  
 الذى اتبعته مدرسة العين ، ورايناه فى كتاب البارع .

ويبدو ان ابن سيده كان واعيا لأمر ، وكان ينبغي توخيها والسير عليها .  
 وينح فى مقدمة كتابه خدعة محكمة يوسم بها سبيله فى التأليف : " ومن غريب  
 ما تضمنه هذا الكتاب ، تمييز اسماء الجمع من الجموع ، والتبيين على الجمع  
 المركب ، وهو الذى يسميه النحويون جمع الجمع ، فان اللغويين جمعا لا يميزون  
 الجمع من اسم الجمع ، ولا ينبهون على جمع الجمع . ومن الأبهة ما يجوز  
 ان يكون جمعا ، وان يكون جمع جمع ، وذلك ادق ما فى هذا الجنس المقتضى  
 للجمع . فاذا مررنا فى كتابنا بمثل هذا النوع من الجمع اعلنا أيهما أولى به  
 الجمع أم جمع الجمع " (١) .

وسوف يدور بنا الامر لو نحن حاولنا اقتباس ما قاله ابن سيده فى  
 مقدمة كتابه عن خطائه فى التأليف ، ولقد اطلال اطالة عظيمة واتى بالامثلة  
 الموضحة . ويمكن تلخيص عمله بما يلي :

أ - حذف ما اعتقد انه يزيد فى حجم الكتاب بلا مبرر . من ذلك المشتقات  
 القياسية ، وجمع اسم الفاعل من الاجوف على فُعْلَةٍ ، او الفاتح على فُعْلَةٍ ، او المؤنث  
 على فواعل ، والمصدر الميمي واسمي المكان والزمان ، وافعال التعجب . ولا يذكر  
 من كل ذلك الا الشاذ .

ب- وقد نبه على أمور ثلاثة قد يؤدي إغفال ذكرها الى الالتباس ، ومن ذلك : اسم المفعول الذي لا فعل له او المبنى من الفعل اللازم ، والافعال التي لا مصادر او لا ماخي لها ، او لها مصادر من غير لفظها ، والنسب الشاذ ، والمؤنث بغير علامة ، والالفاظ التي يشعر ظاهرها انها للفرد والجمع ، وما لا يصح .

ج- ويميز بين اسماء الجمع من الجمع وجمع الجمع ، واسم الفاعل الجارى على فعله بعطفه عليه بالفاء من اسم الفاعل غير الجارى عليه بعطفه بالواو ، والمهموز اصلا من المهموز شذوذا ، والمعتل الواوى من اليائي .

د- راعى في ترتيب الالفاظ في داخل المواد تقديم المفرد على الجمع ، وجمع القلعة على الكثرة ، والمجرد على المزيد . (١)

ويمكن الاستشهاد على هذا كله بكلام المؤلف من مقدمة كتابه . غير انه ، كما سنلاحظ ، لم يستطع ان يتقيد تماما بهذه الخطة ، وغلبت المادة الهائلة التي أتى بها في احيان كثيرة فتزعزع ترتيبه .

### ٢- مصادر الكتاب :

يضع ابن سيده في مقدمة كتابه شتا بالمؤلفات التي اخذ عنها ، وهو يقسم هذه المؤلفات الى قسمين : لغوية ونحوية ، " وأما ما ضمناه كتابنا هذا من كتب اللغة ، فنصنف أبي عبيد ، والاصانح ، والالفاظ ، والجمهرة ، وتفسير القرآن ، وشرح الحديث ، والكتاب الموسوم بالعين ، ما صح لدينا منه ، وأخذناه بالوثيقة عنه ، وكتب الأصمعي ، والفراء ، وأبي زيد ، وابن

(١) راجع فيما يتعلق بهذه الخطة كتاب المعجم العربي : ٢٤٦ - ٢٤٧ .

الاعرابي ، وابي عبيدة والشيباني ، والحياني ، ما سقط اليها من جميع ذلك ، وكتب  
ابي العباس احمد بن يحيى : العبالر ، والفصح ، والنفادر ، وكتبا ابي حنيفة ،  
وكتب كُراع ، الى غير ذلك من المختصرات ، كالزهرى ، والفكنى ، والمبني ، والمثنى ،  
والاعداد ، والمبدل ، والمتلوب ، وجميع ما اشتمل عليه كتاب سيبويه من اللغة  
المعللة العجيبة ، الملحصة النهرية ، المؤثرة لفظها ، والمسترد لمثلها ،  
وهو حلي كتابي هذا وزنه ، وجماله وعينه ، مع ما اخفته اليه من الابنية (١)  
التي فأت كتاب سيبويه معللة ، عربية كانت او دخيلة . واما ما نشرت عليه من  
كتب النحويين المتأخرين ، المتضمنة لتعليل اللغة ، فكتب ابي علي النارسي :  
الحليسات ، والبغداديات ، والاموازيات ، والتذكرة ، والحجة ، والاقبال ،  
والايضاح ، وكتاب الشعر . وكتب ابي الحسن بن الرماني ، كالجامع ، والاغوان ،  
وكتب ابي الفتح عثمان بن جني ، كالمنزوب ، والتقام ، وشرحه لشعر المتبني ،  
والخصائص ، وسر الصناعة ، والتحاقيب ، والمحتسب (٢) . وكانت هناك مصادر أخرى  
لم يستطع ابن سيده حصرها اختارها وجمع موادها من هنا ومن هناك ، وهو يسجل  
ذلك فيقول : " الى أشياء اقتبستها من الاشعار الفصحى ، والخطب النهرية الصحيحة (٣)  
وبالاحظ انه نسب مادة كتابه كلها الى الاصول المشرقية ، بنير الالتفات الى  
المؤلفات اللغوية الاندلسية . وقد كان لفئة من سبق ابن سيده اصال تشهد  
لهم بالتقدم والمقدرة ، كما رأينا عند القالي والزبيدي وابن القوامية . وأغلب  
الثلث ان ابن سيده استفاد منهم وادلى على مؤلفاتهم ، وان كان يصعب اثبات  
(١) لعله استفاد في ذلك من كتاب " الاستدراك على سيبويه " لابي بكر الزبيدي  
الذي تجده موكوفا في ص : ١٦ - ١٠٤ من هذه الرسالة .  
(٢) المحكم ١ : ١٥ .  
(٣) المصدر نفسه

ذلك ، لأن مصادر القالي والزبيدي وابن القوطية وابن سيده هي في الأساس واحدة ، جاءت من المشرق ، وجميعهم طوروا أساليب وطرائق أخذوها عن المشاركة ، لذلك ليس سهلاً التأكد هل استفاد ابن سيده من الفرع أم رجوع إلى الأصل . ولا بد أن ابن سيده عرف أيضاً مصادر شفهية عديدة غير أنه لا يفرق في معجمه بين مثل هذه المصادر وبين المصادر المكتوبة .

#### ٤ - خصائص كتاب المحكم :

إن اختيار مادة من المواد ودراستها وتحليلها يجعلنا اقرب إلى خصائص ابن سيده في هذا المعجم ، وندرك على أبرز الخصائص الهامة . ولتكن مادة " العين والظاف والتاء " (١).

" المعتق : خلاف الرق .

عَتَقَ يَعْتِقُ عِتْقًا ، وَعِتْقًا ، وَعِتَاقًا ، وَعِتَاقَةً ، فهو عَتِيقٌ وَجَمْعُهُ

عِتْقَاءٌ " . فقد اعدنا أولاً الاسم ومعناه ، ثم الفعل الثلاثي والمجرد ومصادره المختلفة ثم الصفة منه في حالتي الافراد والجمع .

" وأعتقه فهو مُعتَقٌ وعَتِيقٌ . والجمع كالجمع " فانتقل اذن من المجرى إلى

المزيد . غير أنه يذكر اسم المفعول القياسي " معتق " وهو هنا لا يعني بما وعدنا به في المقدمة من حذف المصادر وأسماء المناعيل القياسية .

وبعد أن بدأ بالاسم ثم شئى إلى الافعال فأعدنا المجرى منها والمزيد ،

انتقل إلى الاسماء والصفات المشتقة من الافعال " عتيق : اسم الصديق .. قيل

(١) المحكم ١ : ١٠٠ - ١٠٢ .

سمي بذلك ، لأن الله تعالى اعتقه من النار " ، " ونور عاتق : سابق " ،  
 " ورجل معناق الوسيطة : اذا طود حريدة سبق بها . وقيل : اذا سبق بهما  
 وأنجاها " ، " والعاتق : الناهض من فراج القطا ، قال ابو عبيد : ونرى انه  
 من سبق . وقيل : العاتق من الطير : فوق الناهض ، وهو في أول ما ينحسر  
 ريشه الأول ، ونبت له ريش جُلْدَى : اى شديد . وقيل : العاتق من الحمام :  
 ما لم يُسَنّ ويستحكم ، والجمع : عَتَق " . ونسجل ها هنا ان ابن سيده وقع  
 فيما وقع فيه القالي من قبل فاورد المعلومات دون ان يوازن بينها ، مما ادى الى  
 وصف معان متناقضة احيانا دون ترجيح .

ثم يعود الاسم مرة أخرى فيذكر ان " العتق الشجر التي تتخذ منهما  
 القسي العربية ... والعتيق : فحل من النخل معروف ، لا تنفض نخلته ...  
 وعتيق الطير البازي ، قال ليلى :

فانتضلنا وابن سلمى قاعد كعتيق الطير يغضي وجل

ابن سلمى النعمان ، وانما ذكر مقامته مع الربيع ، بين يدي النعمان " . فهو يلجأ  
 الى تفسير ما هو غامض مما لا علاقة له بالمادة الأصلية .

" والعتيق : القديم من كل شيء " ، وقد عَتَقَ عَتَقًا وعتاقة . والبيت  
 العتيق : مكة ، لقدمه ، لانه أول بيت وضع للناس . وقيل لانه اعتق ممن  
 الفرق أيام الحواريين . وقيل سمي عتيقا ، لانه لم يملكه أحد " . فابن سيده  
 يذكر المعاني المختلفة دون ان يرد الآراء الى اصحابها ، ويكثر من استعمال كلمة  
 " قيل " ، او " قال بعض حذاق اللغويين " .

واما ابيات الشعر فانه لا يتبع قاعدة معينة في ذكر اسم الشاعر

او عدم ذكره . ففي هذه المادة " عتق " التي ندرسها سبعة شواهد شعرية ذكر اسما أصحابها ، وهناك شاهدان لم يذكر اسمي تأثيلهما ، ربما لانه لم يعرفهما . واذا صح ذلك فاننا نستطيع القول بانه يذكر صاحب الشاهد اذا عرفه .

" فلما قول الأعشى :

وكان الخمر العتيق من الاسفط — مزوجة بما زلال

فانه قد يوجه على تذكير الخمر ، فلما ان يكون تذكير الخمر مرفوعا ، ولما ان يكون وجهها على ارادة الشراب ، ومثله كثير ، أعني الحمل على المعنى . قال ابو حنيفة : وان شئت جعلت فعلا هنا في معنى مفعول كما تقول : عين كحيل ، فتكون الخمر مؤنثة ، على اللفظ المشهورة " . وهذا يدلنا على اهتمام ابن سيدة بالمسائل الصرفية وادراجه لها في معجمه . وقد رأينا ان من جملة مصادر مجموعة من كتب النحو والابنية . وهو يدرك ما في كتابه هذا من صعوبة فيقول : " وليست الاحادلة بعلم كتابنا هذا ، الا لمن مهر بصناعة الاعراب " (١) ،

ويعد ان يتحدث عن الاسماء يعود الى الفعل المنه من العجود بخير ضابط : " عتق بنيه ، عتق . وعتق العال عتقا : صلح . واعتقه أصلحه . وعتق بعد استعلاج فهو عتيق : رقيق " ثم يعود مرة اخرى الى الاسماء : " العتيق اسم للتمر ، فكلم ، وأنشد قول منيرة :

كذب العتيق وما شن بارد ان كنت سائلة غوثا فاذهي

والعائق : ما بين المنكب والعتق " .

(١) الحكم ١ : ١٤ .

وبعد ان يستوفي الكلمة بكل ما فيها من فروع ومعان ينتقل المصنف  
 "مقلوبه (ق ت ع) : قطع يقطع قُتوعاً : انقطع وذلك " .

يمكننا ، اعتمادا على المادة السابقة وغيرها من المواد ، ايجاز  
 الملاحظات التالية :

- أ - لا يفي بما وعدنا به في المقدمة من حذف المصادر واسماء المفاهيم القياسية .
- ب - ولا يفي أيضا بما وعدنا به من انه سيراى في ترتيب الالفاظ داخل  
 المواد تقديم المفرد على الجمع ، وتقديم المجرى على المجرى ، وترتيب الاعلام  
 بلا تشويش ، مما جعل العثر على اللفظة المطلوبة امرا عسيرا ، وبخاصة اذا  
 كان اللفظ مزيدا او مشتقا .
- ج - يلجأ الى طريقة التفسيرات المترجمة بغير تصنيف بحيث يأتي بعضها ،  
 احيانا ، مناقضا لبعض .
- د - قلل كثيرا من الاعتماد على الاشعار بحيث لم تعد مقصودة لذاتها وانما  
 لتقوم بعملها في توضيح الدلائل اللغوية . وهو يورد الشاهد الى صاحبه اذا عرفه .
- هـ - نسر الالفاظ الصعبة التي ترد في النصوص حتى ولو لم تكن من المادة  
 الاصلية التي يتعرض لها .
- و - لا يهتم بذكر المصادر ولا يورد الآراء الى اصحابها الا نادرا ، ويكتفي بلفظة  
 قيل او ما شابهها .
- ز - ولكنه كان يسجل اسم صاحب الراى اذا كان رأيه قاعدة وليس مجرد تفسير (١) .

(١) انظر المحكم ١ : ٢٦١ ، ٢ : ١٦٥ ، ٣٨٠ .

ج - يهتم بالنواحي الصرفية ومعالجتها بانفاضة .

ط - قلل من الاستطراد الى الروايات والاخبار التي تجرما لفظة ما ، ولكنه لم يستطع ان يتخلص من ذلك نهائيا . (١)

وبرغم المآخذ التي سجلناها عليه ، فانه استطاع ، الى حد ما ، ان يقدم لنا هذه العادة الهائلة بما قدر عليه من تنظيم ، وبشيء من الاختصار أيضا ، وملأ معجمه بتخرجات نحوية وصرفية .

وقد أثار هذا الكتاب نشأة كيرا ، واعتمد أصحاب المعجمات المتأخرون كابن منظور والفيروز ابادي ، " وطن فيه السهيلي في الروض عند الكمام على نقض الصحيفة فقال : وما زال ابن سيده يحشر في هذا الكتاب ، يعني المحكم " (٢) ، " ورد عليه ابن برجان عبد السلام بن عبد الرحمن ناقدًا محللًا " (٣) . واثني عليه أصحاب التراجم فوصفوه بالشهرة (٤) ، وقيل فيه " لم ير مثله في نفسه ولا يعرف قدره الا من وقف عليه ... لو حلف الحالف انه لم يصف مثله لم يحث " (٥) .

(١) المحكم ١ : ٢٥٢ - ٢٥٨ ، ٢٥٦ ، ٢ : ١٧١ .

(٢) لسان الميزان ٤ : ٢٠٥ .

(٣) التكملة : ٥٨٥ ، ٦٤٦ ( الطبعة الأوروبية ) ، وانظر ترجمته أيضا في بغية الوعاة : ٣٠٦ .

(٤) تاريخ أبي الفدا ٢ : ١٨٦ .

(٥) انباء الرواة ٢ : ٢٢٥ .



خاتمة

## خاتمة

الآن وقد بلغت كلمة الختام أرى أن أجعل الصورة العامة لهذه الرسالة ، فلقد درست الحياة اللغوية الاندلسية ، في حقبة تزيد على اربع مائة عام . وكانت تلك الفترة ناشطة منذ بدايتها . وان كان القرن الرابع للمهجرة هو ما يمكن ان نسميه بالعصر الذهبي لها ، فان هذا العصر هو نتيجة لما تقدمه من نشاط ، وقمة للتطور الطبيعي في حياة اللغة .

وقد قدمت للبحث بمقدمة عالجت فيها امور اللغة والمجتمع قبل الفتح العربي وتوزع الاجناس العربية بعده ، ووضحت مكانة اللغة عند الاندلسيين والعوامل الفعالة التي كان لها التأثير العظيم المستمر في تطوير اللغة .

وقد تدرجت مع الزمن معالجا منذ الفصل الأول حتى الفصل الخامس والأخير تطور الحياة اللغوية ونموها ، ودعت ما وضحته من تيارات مختلفة بأمثلة منصلة من سير المؤلفين الكبار وأهم مؤلفاتهم . وقد قصدت من هذه السير والمؤلفات الى ابراز الصورة وتوضيح ما يمكن ان يكون قد ظل غامضا حين الحديث عن التيارات والاتجاهات والعوامل المؤثرة والوان النشاط المختلفة .

واعتقد انني حققت أمرا رئيسين مهمين :

- 1- كانت هذه الرسالة بناء جديدا ، لم يتوكأ على بناء سابق ، فجا حركة رائدة ، له ما للريادة من فضل التقدم والاستكشاف . وان تكن

هذه الريادة قد اعطت البحث قيمة ، فانها قد زادت علي صعوبة . نالي جانب  
عظم الفترة التي تخليها دراستي فان جدة البحث قد كانت عاملا شاقا يتطلب  
التقريب الدليل في المصادر ويجعل تدور الموضوع غاية في الصعوبة . والواقع لم استلح  
ان احيط بالمصادر وان اتصور البحث على موارثه الحالية الا بعد اطلاع واسع وبحث  
دائب وعمل جاد أمين ، لفترة طويلة من الزمن .

٢- والأمور الثاني الذي اعتقد ان له هو الآخر أهمية بالغة ، انني بهذا  
البحث قد أسهمت في تصور جزء من تراثنا اللغوي ، وقدمت بحثا عن تاريخ اللغة  
في الاندلس ارجو ان يفيد منه الدارسون . ولعلني لا أبالغ اذا قلت ان اللغة  
في الاندلس جديرة اعظم الجدارة بالدراسة والوصف والتحليل والبناء . وهناك  
نواح - منها اللغة العامية الاندلسية - لا تزال بحاجة الى دراسات مفصلة  
موضحة ، واذا كنت أقدم مثل هذا المجهود فانما ارد شيئا من الحق الذي  
اصحابه . فأمل الاندلس - بجهوداتهم اللغوية المختلفة - قد أضافوا الى  
تراثنا ، فحق لهم الاعتراف بالفضل .

ولأول مرة - فيما أعتقد - يتكامل بحث واحد ليبين دور المؤرخين  
في حياة اللغة بالاندلس ، يأخذ بعين الجد والاستقصاء جهود المهاجرين من  
المشاركة والكتب المهاجرة من المشرق والرحلة في طلب اللغة ويتلمس نواحي "النظرية"  
اللغوية بالاندلس ، ويفصل القول في المؤلفات اللغوية الهامة وأصحابها ويعطي  
لاندلس في الجانب اللغوي ما تستحقه من اهتمام وتقدير .

ولست أقول : ان هذا هو جهد العتل ، فكل عمل علمي انما  
هو جهد العتل ، أعني أنه لبننة تتساند مع غيرها في نطاق البناء الكلي .

## مراجع الدراسة

## ١ - المراجع العربية

- ١ - ابو العلاء وما اليه :  
عبد العزيز المعني  
اعظم كره ١٣٤٤ هـ
- ٢ - احكام صنعة الكاشم :  
ابو القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي  
صورة بدار الكتب المصرية مأخوذة عن نسخة خطية بمكتبة الاستاذ  
حسن حسني عبد الوهاب .
- ٣ - الاحكام في اصول الاحكام :  
ابو محمد علي بن حزم الاندلسي  
تحقيق : احمد محمد شاكر  
ط القاهرة ، ١٣٤٥ - ١٣٤٨  
٨ ج
- ٤ - أرجوزة ابن سيدة :  
مجلة المشرق ، السنة السادسة والثلاثون
- ٥ - ازهار الرياض في أخبار عماس :  
شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني  
تحقيق : مصطفى السقا ، ابراهيم الايمارى ، عبد الحفيظ شلبي

القاهرة ، ١٩٣٩ - ١٩٤٢

٦ - الاستدراك على سيبويه :

أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي

تحقيق : اغناطيوس غويدي

روما ، ١٨٩٠

٧ - الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى :

أبو العباس أحمد بن خالد الناصري

الدار البيضاء ، ١٩٥٤ - ١٩٥٦

ج ١

٨ - أعمال الأعلام في من يوسع قبل الاحتلام من ملوك الاسام :

لسان الدين ابن الخطيب التلمساني

تحقيق : ليفي برونفسال

الطبعة الثانية - بيروت ، ١٩٥٦

٩ - الأفعال الثلاثة والرعاية :

أبو بكر محمد بن عمر ابن القوطية

تحقيق : اغناطيوس غويدي

ليدن ، برينسل ، ١٨٩٤

١٠ - الاقتضاب في شج أدب الكتاب :

أبو محمد عبد الله ابن السيد البطليوسي

تلفاظ وميداني - بيروت ، ١٩٠١

## ١١ - الامالي :

ابو علي القالي

الطبعة الثالثة - القاهرة ، ١٩٥٣ - ١٩٥٤

ج ٢

## ١٢ - انباء السراة على انباء النحاة :

جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف القطني

تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم

القاهرة ، ١٩٥٠ - ١٩٥٥

ج ٣

## ١٣ - الانتصار من عدل من الاستبصار :

ابو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي

تحقيق : حامد عبد المجيد

القاهرة ، ١٩٥٥

## ١٤ - الانصاف في التبيين على الاسباب التي اوجبت الاختلاف بين المسلمين في

آرائهم :

ابو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي

مطبعة الموسوعات بمصر ، ١٣١٩ هـ

## ١٥ - البارع في اللغة :

ابو علي القالي

تحقيق : أ. س. فليسن

لندن ، ١٩٣٣

١٦ - بغية الملتقى في تاريخ رجال أهل الاندلس :

أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي

ط مجريط ١٨٨٤

١٧ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة :

جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

الطبعة الاولى - القاهرة ، ١٣٢٦

١٨ - البيان المغرب في أخبار المغرب :

ابن عذارى المراكشي

تحقيق : ليفي بروفنسال

ط باريس ، ١٩٣٠

١٩ - تاريخ الادب الاندلسي :

عصر سيادة قرطبة

الدكتور احسان عباس

نشر دار الثقافة - الطبعة الاولى - بيروت ، ١٩٦٠

٢٠ - تاريخ الادب الاندلسي :

عصر الطوائف والمرابطين

الدكتور احسان عباس

نشر دار الثقافة - الطبعة الاولى - بيروت ، ١٩٦٢



٢١ - تاريخ الأدب العربي (١) ،

كارل بروكلمان

ترجمة : عبد الحليم النجار

القاهرة ١٩٥٩ - ١٩٦٢

ج ٣

٢٢ - تاريخ افتتاح الاندلس :

محمد بن عمر ابن القوطية

تحقيق : عبد الله انيس الطباع

دار النشر للجامعيين ، بيروت ، ١٩٥٧

٢٣ - تاريخ العلماء والرواة للعلم بالاندلس :

عبد الله بن محمد بن يوسف ابن الفري

القاهرة ، ١٩٥٤

ج ٢

٢٤ - تاريخ قضاة الاندلس :

ابو الحسن بن عبد الله النباهي

تحقيق : ليفي بروئنسال

دار الكاتب المصري - ١٩٤٨

---

(١) حين كت استعين بالأصل الألماني كت أضيف ، " طبعة ليدن " ، أو اكتفي  
بلفظة : " الملحق " .

٢٥ - تذكرة الحفاظ :

ابو عبد الله شمس الدين الذهبي

الطبعة الثالثة - مطبعة حيدر آباد ، ١٩٥٥ - ١٩٥٨

٤ ج

٢٦ - تعريف العلماء بأبي العلاء :

اشراف : الدكتور طه حسين

القاهرة ، ١٩٤٤

- ٢٧ - التقريب لحد المنطق والمدخل اليه :

ابو محمد علي بن حزم الاندلسي

تحقيق : الدكتور احسان عباس

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت ، ١٩٥٩

٢٨ - التكملة لكتاب الصلة :

ابو محمد عبد الله محمد بن عبد الله ابن الابار

القاهرة ، ١٩٥٥ - ١٩٥٦

٢ ج

٢٩ - التكملة لكتاب الصلة :

ابو محمد عبد الله محمد بن عبد الله ابن الابار

الطبعة الاوروبية

٣٠ - التبيين على اوهام ابي علي في اماليه :

عبد الله بن عبد العزيز البكري

الطبعة الثالثة - القاهرة ، ١٩٥٤

٣١ - الجاسع في أخبار أبي العلاء وآثاره :

محمد سليم الجندى

دمشق ، ١٩٦٢

٢ ج

٣٢ - جذوة العقثبن في ذكر ولاية الاندلس :

محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدى

تحقيق : محمد تايوت الطنجي

الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٩٥٢

٣٣ - الجغرافيا والجغرافيون في الاندلس :

الدكتور حسين مؤنس

صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، المجلد ٧ ، ٨

٣٤ - جمهرة أشعار العرب :

محمد بن أبي الخطاب القرشي

دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٣

٣٥ - جمهرة انساب العرب :

أبو محمد علي بن حزم الاندلسي

تحقيق : ليفي بروفنسال ( ١٩٤٨ )

وتحقيق : عبد السلام هارون ( ١٩٦٢ )

دار المعارف بمصر

٣٦ - الحقائق في المطالب العالية الفلسفية :

أبو محمد عبد الله ابن السيد البطليوسي

تحقيق : محمد زاهد بن الحسن الكوثري

الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٣٦٥ هـ

٣٧ - حضارة العرب في الاندلس :

لينى برنيسال

ترجمة : ذوقان قرقوط

منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت

٣٨ - الحلة السيرة :

أبو محمد عبد الله محمد بن عبد الله ابن الأبار

تحقيق : الدكتور حسين مؤنس

القاهرة ، ١٩٦٣

٢ ج

٣٩ - خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب :

عبد القادر بن عمر البغدادي

الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٢٩٩ هـ

٤ ج

٤٠ - خلق الانسان :

ثابت بن ابي ثابت

تحقيق : عبد الستار أحمد فراج

الكويت ، ١٩٦٥

٤١ - دار الطراز في عمل الموشحات ،

ابن سناء الملك

تحقيق : جودة الركابي

دمشق ، ١٩٤٦

٤٢ - دول الطوائف :

محمد عبد الله عثمان

الطبعة الاولى - طبعة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٠

٤٣ - الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب :

برهان الدين ابراهيم بن علي ابن فرحون المالكي

الطبعة الاولى - القاهرة ، ١٣٥١ هـ

٤٤ - ديوان ابن قزمان :

محمد بن عيسى بن عبد الملك ابن قزمان

نشر دافيد جنزبرغ

١٨٩٦

٤٥ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة :

ابو الحسن علي ابن بسّام الشتريني

القسم الأول من الجزء الأول

القسم الثاني من الجزء الأول

القسم الأول من الجزء الرابع

القاهرة ، ١٩٣٩ - ١٩٤٢ ، ١٩٥١

٤٦ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة :

أبو الحسن علي ابن بسام الشنتوني

القسم الثاني والقسم الثالث ، مخطوطة بغداد

٤٧ - ذكر بلاد الاندلس :

مؤلف مجهول

مخطوطة الرباط رقم ٨٥ ج

٤٨ - الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة :

محمد بن عبد الملك المراكشي

تحقيق : الدكتور احسان عباس

نشر دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٤ - ١٩٦٥

ج ٤ ، ج ٥

٤٩ - الرد على النحاة :

أحمد بن عبد الرحمن بن مضاء القرطبي

تحقيق : شوقي ضيف

الطبعة الأولى - دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٤٧

٥٠ - رسائل ابن حزم الاندلسي :

تحقيق : الدكتور احسان عباس

مكتبة الخانجي بمصر ، ١٩٥٤

٥١ - رسائل في اللغة :

(من بينها جزء من المسائل والاجوبة لأبي محمد عبد الله ابن السيد الهليوسي)



تحقيق : ابراهيم السامرائي

بغداد ، ١٩٦٤

٥٢ - الروض المعطار في خبر الاقطار :

ابو عبد الله محمد بن عبد الله الحميري

تحقيق : ليفي برونفيسال

القاهرة ، ١٩٣٧

٥٣ - رياض الجنات في أحوال العلماء والسادات :

محمد باقر موسى

الطبعة الثانية ، طهران ، ١٣٤٧

٥٤ - الزميل في الاندلس :

عبد العزيز الأهواني

القاهرة ، ١٩٥٧

٥٥ - شذرات الذهب في اخبار من ذهب :

عبد الحي ابن العماد الحنبلي

القاهرة ، ١٣٥٠ - ١٣٥١ هـ

٨ ج

٥٦ - شرح سقط الزند :

ابو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي (وأخوان )

القاهرة ، ١٩٤٥ - ١٩٤٨

٥ ج

٥٧ - الصلوة :

ابو التاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال

القاهرة ، ١٩٥٥

٢ ج

٥٨ - صورة الارض :

ابو التاسم بن حوئل النصبي

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت

٥٩ - طبقات الاطباء والحكام :

ابو داود سليمان بن حسان الاندلسي ابن جلجل

تحقيق : فؤاد سيد

القاهرة ، ١٩٥٥

٦٠ - طبقات الاسم :

ابو التاسم صاعد بن احمد الاندلسي

تحقيق : الأب لويس شيخو

المطبعة الكاثوليكية - بيروت ، ١٩١٢

٦١ - طبقات النحويين واللغويين :

ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي

تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم

الطبعة الاولى - القاهرة ، ١٩٥٤



- ٦٢ - العاطل الحالي والمرخص النهائي :

صفي الدين الحلبي

تحقيق : ولهمس هونريخ

فيسبادن ، ١٩٥٥

- ٦٣ - العبر وديوان المبتدأ والخبر ( تاريخ ابن خلدون ) ،

عبد الرحمن ابن خلدون

طبعة بولاق ، ١٢٨٤ هـ

ج ٧

- ٦٤ - عيون الانباء في طبقات الاطباء :

موفق الدين احمد بن القاسم ابن ابي اصيبعة

دار الفكر - بيروت ، ١٩٥٦

- ٦٥ - غاية النهاية في طبقات القراء :

شمس الدين ابو الخير محمد ابن الجزري

تحقيق : ج ٠ برجستراسر

القاهرة ، ١٩٣٢

ج ٣

- ٦٦ - فجر الاندلس :

حسين مؤنس

الطبعة الاولى - القاهرة ، ١٩٥٩

٦٧- الفصل في الملل والاهواء والنحل :

ابو محمد علي ابن حزم الاندلسي

الطبعة الاولى - القاهرة ، ١٣١٧

ج ٥

٦٨- فصل المقال في شرح كتاب الامثال :

عبد الله بن عبد العزيز البكري

تحقيق : الدكتور احسان عباس والدكتور عبد المجيد عابدين

الخرطوم ، ١٩٥٨

٦٩- الفهرست :

ابن النديم

تحقيق : فلوجل

بيروت ، ١٩٦٤

٧٠- فهرست ابن خير :

ابو بكر محمد ابن خير

تحقيق : كوديرا ورييرا

بيروت ، ١٩٦٣

٧١- فوات الوفيات :

محمد بن شاکر الكنبي

تحقيق : محيي الدين عبد الحميد

القاهرة ، ١٩٥١

ج ٢

٧٢ - قضاة قرطبة :

محمد بن حارث الخشني

نشره عزت العطار الحسيني - القاهرة ، ١٣٧٢ هـ

٧٣ - فلاحة العتيان :

الفتح بن خاقان

ط بلاق ، ١٢٨٣

٧٤ - كتاب سيويه :

أبو بشر عمرو بن قنبر سيويه

الطبعة الاولى - ١٣١٦ - ١٣١٧

٢ ج

٧٥ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون :

حاجي خليفة

استانبول ، ١٩٤١ - ١٩٤٣

٢ ج

٧٦ - السالك في شج الأمالي :

عبد الله بن عبد العزيز البكري

تحقيق : عبد العزيز الميمني

القاهرة ، ١٩٣٦

٢ ج

٧٧ - لحن العوام :

أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي

تحقيق : الدكتور رمضان عبد التواب

الطبعة الاولى - القاهرة ، ١٩٦٤

٧٨ - لسان الميزان :

شهاب الدين أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني

الطبعة الاولى - حيدر آباد الدكن ، ١٣٢٦ - ١٣٣١ هـ

ج ٦

٧٩ - المحكم والمحيط الأعظم في اللغة :

علي بن اسماعيل ابن سيده

نشر مصطفى الباهي الحلبي

القاهرة ، ١٩٥٨ -

ج ٣

٨٠ - المختار من شعر بشار :

اختيار الخالدين

تحقيق : محمد بدر الدين العلوي

مطبعة الافتاد - القاهرة ، ١٩٣٤

٨١ - المخصص :

علي بن اسماعيل ابن سيده

طبع بمصر ، المطبعة الاميرية الكبرى ، ١٨٩٦ - ١٩٠٤

ج ١٧

٨٢ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان :

ابو محمد عبد الله بن اسعد اليافعي

حيدر آباد ، دائرة المعارف النظامية ، ١٣٣٧ - ١٣٣٩ هـ

ج ٤

٨٣ - الزهر في علوم اللغة وانواعها :

جلال الدين السيوطي

القاهرة ، ١٢٨٢ / ١٨٦٥

- ٨٤ - المسالك والممالك :

عبد الله بن عبد العزيز الهكري

مخطوطة الرباط ٤٨٨ ق

- ٨٥ - المطرب من اشعار المغرب :

ابو الخطاب عمر بن حسن ابن دحية

تحقيق : ابراهيم الايباري ، حامد عبد المجيد ، أحمد أحمد بدوي

القاهرة ، ١٩٥٤

- ٨٦ - مطح الأنفس ومسح التأنس في ملح أهل الاندلس :

ابو نصر الفتح بن محمد ابن خاتان

الطبعة الاولى ، مطبعة الجواب - القسطنطينية ، ١٣٠٢ هـ

## ٨٧- المعجب في تلخيص أخبار المغرب :

محيي الدين عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي

مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٤ هـ

## ٨٨- معجم الأدباء :

شهاب الدين ياقوت الحموي الرومي

مكتبة عمى البايي الحلبي ، ١٩٣٨

٢٠ ج

## ٨٩- معجم البلدان :

شهاب الدين ياقوت الحموي الرومي

دار صادر - بيروت ، ١٩٥٥

٧ مجلدات

## ٩٠- المعجم العربي :

الدكتور حسين نصّار

دار الكاتب العربي بمصر - القاهرة ، ١٩٥٦

٢ ج

## ٩١- المغرب في حلى المغرب :

علي بن موسى بن سعيد

تحقيق : شوقي ضيف

دار المعارف - القاهرة ، ١٩٥٣

٢ ج

- ٩٢ - المقتبس في تاريخ رجال الاندلس :  
 ابو مروان حيان بن خلف ابن حيان  
 تحقيق : الأب انطونية ملشور  
 باريس ، ١٩٣٢
- ٩٣ - المقتبس في تاريخ رجال الاندلس :  
 مخطوطة مدريد
- ٩٤ - مقدمة ابن خلدون :  
 عبد الرحمن ابن خلدون  
 تحقيق : الدكتور علي عبد الواحد وافي  
 القاهرة ، ١٩٥٢ - ١٩٦٠
- ٩٥ - المكتبات وهواة الكتب في اسبانيا الاسلامية :  
 خوليان ريبيرا  
 مجلة معهد المخطوطات  
 المجلد الرابع ، الجزء الأول : ٧٧  
 المجلد الخامس ، الجزء الأول : ٦٩
- ٩٦ - نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب :  
 أحمد بن محمد المقرئ التلمساني  
 تحقيق : محيي الدين عبد الحميد  
 المكتبة التجارية ، ١٩٤٩

٩٧ - نكت الهميان :

صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى  
ط مصر

٩٨ - نهاية الأرب في فنون الأدب :

أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب النيمى  
دار الكتب المصرية - القاهرة ، ١٩٢٣ - ١٩٥٥  
ج ١٨

٩٩ - الوافي بالوفيات :

صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى  
بمناية هلموت روتر وآخرين  
ج ١ - ٤

١٠٠ - الوافي بالوفيات :

صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى  
مخطوطة بمكتبة أحمد الثالث رقم ٦٦٠

١٠١ - وفيات الأعيان وأنباء أبنائ الزمان :

شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان  
تحقيق : محيي الدين عبد الحميد  
الطبعة الأولى ، ١٩٤٨

ج ٦



١٠٢ - يتيمة الدمر :

ابو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي

تحقيق : محيي الدين عبد الحميد

القاهرة ، ١٩٥٦

٤ ج

ب - المراجع الاجنبية

Geschichte der arabischen litteratur:

- ١٠٣

C. Brockelmann

Leiden, 1937 - 1949

5 vols.

Hispano-Arabic Poetry:

- ١٠٤

Nyk1, A.R.

Baltimore, 1948

Histoire de l'Espagne Musulmane:

- ١٠٥

Levi Provencal, vol. I-III

Paris, 1950 - 1953

Islam d'Espagne:

- ١٠٦

Henri Terrasse

Paris, 1958

Nouvelle Histoire d'Espagne:

- 1.7

Maurice Legendre

Paris, 1938

Origines del Espagnol:

- 1.8

Ramon Menendez Pidal

3<sup>d</sup> ed., Madrid, 1950

Spanish Islam:

- 1.9

R. Dozy

London, 1913.

## فهرست المحتويات

تعميم

٣

### الكتاب الأول :

الحركة اللغوية بالاندلس حتى اواخر القرن الثالث الهجري

٢

مقدمة

٣

١- حالة المجتمع واللغة في العهد القوطي

٥

٢- الاجناس المختلفة في الاندلس بعد الفتح العربي

١٢

٣- حال اللغة بين هذه الاجناس المختلفة

٢٢

٤- مقام اللغة بين الاندلسيين

٢٥

٥- عوامل فعالة في تطور العناية باللغة في الاندلس

٢٧

الفصل الأول : بواكير الحركة اللغوية في الاندلس

٢٧

١- نشوء طبقة المؤيدين اللغويين

٣٢

٢- الرحلة ولقاء العلماء المشارقة

٣٥

٣- رحلة لغويين مشارقة الى الاندلس

٣٨

٤- هجرة الكتب المشرقية الى الاندلس

٤٠

٥- النشاط الشفوي في ميدان اللغة

٤٣

٦- حركة التأليف اللغوي حتى اواخر القرن الثالث

٤٧

٧- اشهر المدرسين وتلامذتهم

٨- هل كان هذا النشاط اللغوي وقتا على العناصر

٥١

العربية في الاندلس

الكتاب الثاني :

الحركة اللغوية بالاندلس في القرن الرابع الهجري

٥٤

الفصل الثاني : عوامل النهضة اللغوية ومظاهرها في هذا القرن

٥٤

١- العوامل الجديدة

٥٤

أ- تعهيد

٥٦

ب- جهود الحكم في النهضة اللغوية

٦٢

ج- المنصور بن ابي عامر واثره في النهضة اللغوية

٧٠

٢- العوامل التقليدية

٧١

أ- الرحلة الى المشرق

٧٣

ب- التأديب والتدريس

٧٤

٣- المظاهر الكبرى

٧٤

أ- ظهور الدارس اللغوي المتخصص

٧٧

ب- المناظرات اللغوية

٧٨

ج- تنوع حركة التأليف واتساعها

٨٤

٤- انصاف الاندلس في الميدان اللغوي

٨٧

الفصل الثالث : أئمة اللغة ومؤلفاتهم في هذا القرن

٨٧

أولا- ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ومؤلفاته

٩٦

الاستدراك على سيبويه

١٠٤	لحن العامة
١٢١	ثانياً - ابن القوطية ومؤلفاته
١٢٥	الافعال
١٣٩	ثالثاً - ابو علي القالي ومؤلفاته
١٥٨	البارع
١٦٨	كتاب الأمالي
١٧٧	تذييل على الفصل السابق

### الكتاب الثالث :

الحركة اللغوية بالاندلس في القرن الخامس الهجري  
 الفصل الرابع : العوامل المؤثرة في توجيه الحركة اللغوية

١٨٩	في القرن الخامس
١٨٩	١- صورة موجزة للاحوال السياسية في هذا العصر
١٩٤	٢- العوامل الجديدة التي اثرت في الحركة اللغوية :
	أ - الخصب اللغوي الذي اوجده القالي
١٩٤	وتأثيراته
١٩٥	ب - تعدد المراكز الثقافية
١٩٩	ج - الاهتمام بإنشاء المكتبات
٢٠٢	د - التسامح النسبي
٢٠٥	٣- الظاهرة النظرية في حياة اللغة :
٢٠٦	أ - البحث في أصل اللغة

- ٢٠٧ ب - مشكلة الاشتقاق
- ٢٠٧ ج - بطلان العلل النحوية
- ٢٠٨ د - الصلة بين اللغة والشرعة
- ٢١٢ ٤ - صلة اللغة بالسواتع العملي
- ٢١٢ أ - وضع معلم اللغة
- ٢١٣ ب - وضع اللغة بين العلوم الأخرى
- ٢١٥ ج - صلة اللغة بالحياة العملية
- ٢٢٣ ٥ - العوامل التقليدية وأثرها في الحركة اللغوية
- ٢٢٣ أ - الهجرة إلى الأندلس
- ٢٢٨ ب - الهجرة من الأندلس
- ٢٢٨ ج - التدريس وأشهر المدرسين
- ٢٣٧ الفصل الخامس : حركة التأليف اللغوي وجهاته في هذا العصر
- ٢٣٧ أولا - صورة عامة للمؤلفات
- ٢٤٥ ثانيا - اتجاهان في التأليف كيران
- ٢٤٦ (١) الاتجاه إلى الشح
- ٢٤٦ ١ - أبو عبيد البكري وكتابه : فصل المقال
- ٢٤٦ والسلكي
- ٢٤٦ أ - شيء من سيرة البكري
- ٢٤٩ ب - فصل المقال
- ٢٥٢ ج - السلكي في شح الإمالي

## ٢- ابن السيد البطليوسي وكتابه :

٢٥٥ شرح السقط والاختطاب

٢٥٥ أ - سيرة ابن السيد

٢٥٨ ب - شرح مستند الزند

٢٦٠ ج - الاختطاب في شرح ادب الكتاب

٢٦٢ (٢) الاتجاه الى التأليف المعجمي

٢٦٢ ابن سيده ومعجمه : المخصص والمحكم

٢٦٢ أ - سيرة ابن سيده

٢٧٥ ب - المعاصر

٢٧٥ أ - الداعي الى التأليف

٢٧٩ أ - منهج الكتاب

٢٨١ أ - خصائص الكتاب المخصص

٢٨٤ ج - المحكم

٢٨٤ أ - الداعي الى التأليف

٢٨٥ أ - منهج الكتاب

٢٨٧ أ - مصادر الكتاب

٢٨٩ أ - خصائص كتاب المحكم

٢٩٤ خاتمة

٢٩٨ مراجع الدراسة

٣٢٠ فهرست المحتويات

## تصويبات

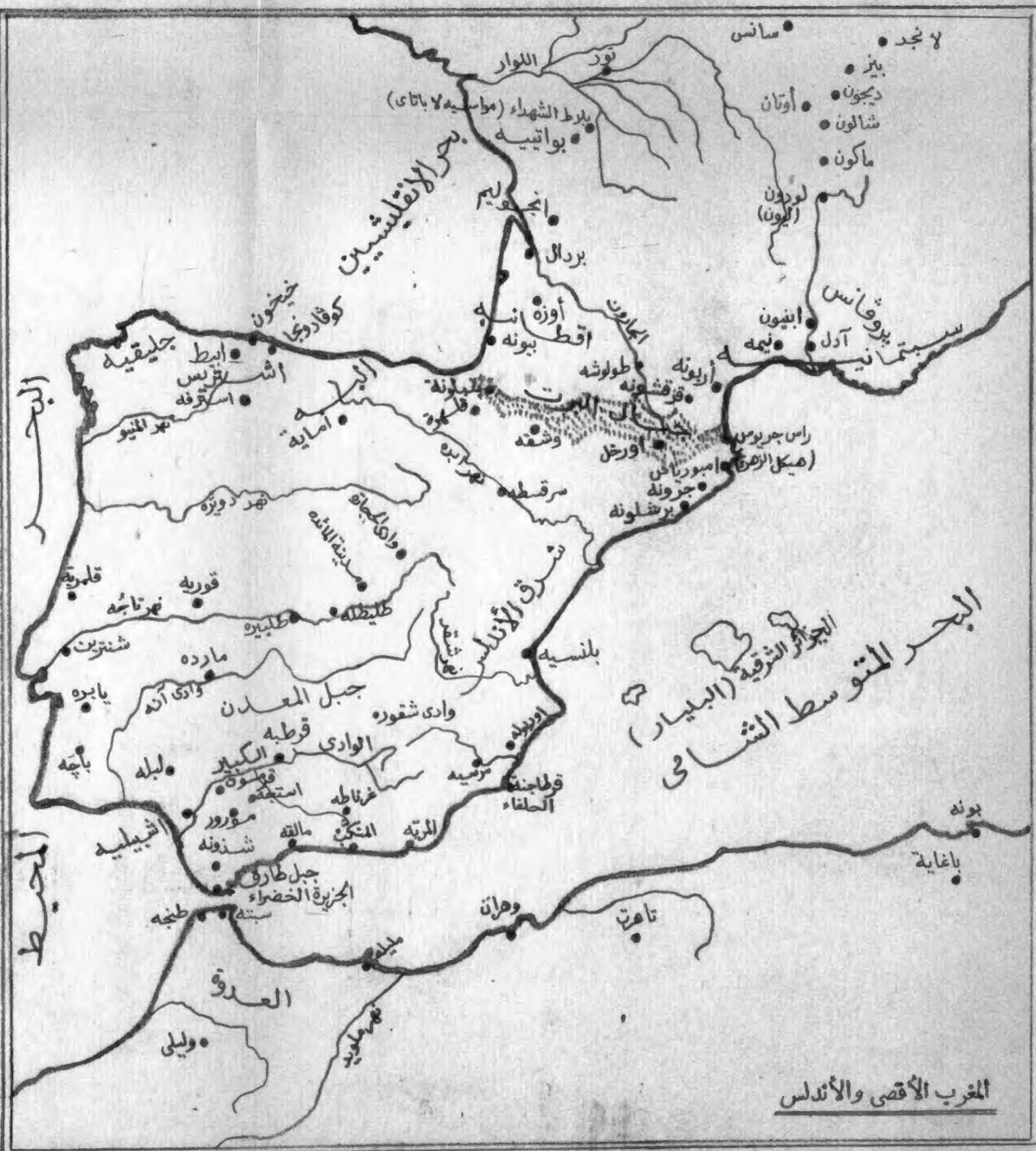
<u>الصفحة</u>	<u>المصدر</u>	<u>الخطأ</u>	<u>الصواب</u>
٥	٣	افذاذ	افذاذا
ح	١	الدراسة	الدراسة؛
٤	٥	عبيد	عبيدا
٢٥	١٣	ثلاثة	ثلاث
٣٩	١٠	الحكم	للحكم
٤١	١٢	معرفة	معرفة
٤٥	٣	عروضا	عروضها
٦٩	٨	مفلس	مفلسن
٦٩	١١	خنزاية	خنزاية
٧٢	٦	الأمـد	الأمـدى
٧٧	١٧	بكر الزيدى	ابوبكر الزيدى
٨٨	٩	لتاجها	نتاجها
٨٩	٨	فيها	فـهـ
٨٩	١١	(إضافة هذه الإشارة (؟) بعد فيوم)	
٩٥	١٥	وعن	والسـ
٩٧	١٦	مستعربة	مستغربة



<u>الصفحة</u>	<u>المصدر</u>	<u>الخطأ</u>	<u>الصواب</u>
١٠٤	٩	لكان	لكن
١٢٤	١٨	تأليف	تألفنا
١٤٢	١٤	خمسة	ثلاثمائة
١٥١	٩	يتقدر	يتقدر
١٥٤	٥	فاستفاد	" فاستفاد
١٥٦	٧	ولم يصلنا هذا الكتاب،	
		وانما	وتتد
١٥٧	٩	وهنا ايضا	( تشطب )
١٥٩	٣	يرى	يسرى
١٦٢	١٠	احمد	احمر
١٦٢	١١	خبي	حبي
١٦٧	١	( شطب الكلام المنسوخ بالخط اليدوى )	
١٧٨	٧	والمدة	وتذكرنا المدة
١٧٨	١٣	غير ان	اما
١٩٠	٣	امراء	فتيان
١٩٠	١٠	اصال الاعلام	اصال الاعلام : ١١٢-٢٤١
١٩٧	١١	المهية	المهية
١٩٩	١٥	منتقيا	منتقيا
٢٠١	٤	كثيرا	كثير

<u>الصفحة</u>	<u>السطر</u>	<u>الخطأ</u>	<u>الصواب</u>
٢٠٢	٧	الاستقرار	الاستقراء
٢٠٢	٢٠	المقدمة	المقدمة : ٢٣-٢٤
٢٠٥	١	والفلسفة	الفلسفة
٢٠٥	١٩	مجاهد	مجاهدا
٢١٥	١٠	نفرض	نفرض
٢٢٠	١	اخبارهم	مؤلفاتهم
٢٤٤			(يضاف كتاب آخر للجرجاني هو شرح الجميل للزجاجي)
٢٤٦	١٣	حالا	جالا
٢٤٧	٦	ولكن	ولكني
٢٥٢	٨	منشورها	منشورها
٢٥٦	١٢	روي	روي
٢٦٨	٤	رأت	روت
٢٦٩	٢	سليلا اسرة	ابن بيثة
٢٧٤	٢	التي عثرت عليها	(تشطب)
٢٧٧	٢	الوازع	الدافع
٢٧٧	١٤	ليدلتنا	يدلتنا
٢٧٩	٩	متاجمين بلغتهم	(تشطب)

<u>الصفحة</u>	<u>السطر</u>	<u>الخطأ</u>	<u>الصواب</u>
٢٧٩	١٩	بابن	في ابن
٢٨٢	٩	اللغومة	الصرفية
٢٨٤	١٠	في كل صفحة ، او	(تشطب)
٢٨٦	٢	الثلاثي	الثلاثي



المغرب الأقصى والأندلس



المغرب الأقصى والأندلس